



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

تخصص التاريخ الإسلامي الوسيط

أطروحة لنيل شهادة الماجستير

## تجارة المسلمين مع الهند والصين خلال القرن الرابع الهجري العاشر للميلاد

تحت إشراف

إعداد الطالب

أ.د عبد العزيز لعرج

جمال بن مجذوب

السنة الجامعية: ٢٠٠٩-٢٠١٠



## مقدمة:

ظل النشاط الاقتصادي خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) قائما صامدا رغم الفتور السياسي الذي كان يمر به العالم الإسلامي و خاصة الجانب الشرقي منه نتيجة صراع الأجنحة حول السلطة، و الذي تمخض عنه استيلاء البويهيين على بغداد و خلع المستكفي، سنة 334 هجرية (945 م) مما أدى إلى ارتفاع المكوس و الضرائب التي أثقلت كاهل أصحاب المهن و الزراعات و التجار.

فمن بين الأنشطة الاقتصادية التي صمدت أمام هذه الظروف السياسية الاستثنائية، النشاط التجاري حيث كان في أوج عطائه خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، نتيجة الازدهار الاقتصادي المحلي و التطور الفكري الحاصل في عدة مجالات، و الذي أرسى دعائمه الخلفاء العباسيون السالفون، فكان له الأثر القوي على صلة العرب في عهد الخلافة العباسية بالأمم الأخرى، و تبادل الوفود الدبلوماسية و التجارية بين المسلمين و بلاد الصين و الهند، و صادف ذلك تطور علم الجغرافيا عند المسلمين و انتشار معارفها و استعدادات المسلمين لخوض غمار المجهول، فظهرت الرحلات الجغرافية البرية و البحرية التي أنجزت من خلالها عملية مسح كبيرة لجل الأراضي و البحار من طرف الرحالة و الجغرافيين المسلمين و الذين ساهموا هم أيضا في التأريخ للتجارة الإسلامية و ذلك من خلال تدوينهم لأخبار رحلاتهم و أسفارهم الشاقة فكانت رحلاتهم إلى الهند و الصين مجالا خصبا لذلك حيث ذكروا المدن التي نزلوها و المسافات التي قطعوها و الصعوبات التي تغلبوا عليها، فوصفوا البلدان و زرعها و صناعاتها و تجاراتها.

و الواقع أن صلة العرب بالصين و الهند تجاريًا كانت أقدم من الإسلام و كانت مادتها الأولى آنذاك التجار الهنود و الصينيين، غير أن ظهور الإسلام و انتشاره، و تأسيس الدولة الإسلامية و ازدهارها و استقرار الأوضاع السياسية بها في العصرين الأموي و العباسي ساهم مساهمة كبيرة في عقد الصلة التجارية بين البلاد الإسلامية و بلاد الهند و الصين و تكثيف التبادل التجاري و تعميقه بين المنطقتين، فنشطت المبادلات التجارية بينهما إلى أن بلغت ذروتها خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي). فمن مرفأ سيراف على ساحل إيران، و من الأبلّة و البصرة في العراق، كانت تنطلق السفن الإسلامية المحملة ببضائع التجار المسلمين باتجاه سواحل الهند الغربية و في طريقهم إلى سيلان يلتقون بنظرائهم الصينيين ليتاجروا معهم، بينما كان آخرون يواصلون سفرهم إلى الصين للمتاجرة هناك برغم المخاطر التي كانت تترصد لهم عبر هذه الطريق الشاقة و الطويلة، حتى بل مدينة "كانتون". و في مقابل ذلك، كانت مراكب التجار الصينيين المثقلة بالبضائع النفيسة تصل إلى سيراف التي كانت حينذاك بمثابة المستودع الكبير للخليج الفارسي.

كذلك بالنسبة لطريق الحرير البرية، التي اكتسبت سمعة طيبة و شهرة لا مثيل لها، نتيجة نوعية البضاعة التي اشتهرت بها و سميت باسمها، و التي لم تشد انتباه و اهتمام التجار و الرحالة فحسب بل كانت محط اهتمام الملوك و الممالك التي كانت تمر عبرها قوافل التجار متعددي الجنسيات، إذ لم تكن مجرد مسلك لتجار الحرير فقط، بل كانت أيضا بمثابة قناة ربط و تزواج بين ثقافات متعددة و متنوعة و تواصل و تلاقح بين حضارات عريقة.

غير أنّ الفتح الإسلامي لبلاد الشرق و امتداده إلى ما بعد نهري جيحون و سيحون دعم أكثر و قوى روح التواصل الاقتصادي و التجاري بينها و بين بلاد الإسلام.

لذلك، فقد أدى هذا النشاط التجاري المكثف بين أولئك التجار إلى نشوء ترابط وثيق بين الشعوب و البلدان التي ينتمون إليها سواء، على امتداد المحيط الهندي أو طريق الحرير البرية، فكان من ثماره ازدهار الجاليات الإسلامية في العديد من المدن الهندية و الصينية التي ساهمت بشكل فعال في رفع لواء الدعوة إلى الإسلام بها.

و بسبب تنامي الرواج بين الصين و بين العرب و الفرس، اتخذت أسرة "سونغ" عدّة إجراءات لتوسيع التجارة الخارجية، فأنشأت دائرة للتجارة و الملاحة في كانتون(خانقو) و تسي تون ( زيتون) و التي تدعى الآن "تشياو نتشو"، إضافةً إلى عدد آخر من المدن التجارية الساحلية و الحدودية.

كما ساهم أيضاً في تقدّم و ازدهار التجارة الإسلامية خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، الاهتمام البالغ و الرعاية الفائقة للذان حظيت بهما من قبل السلطة الإسلامية، فقد أولاها الخلفاء العباسيون كأسلافهم الأمويين اهتماماً كبيراً ، خصوصاً بعد تأسيس مدينة بغداد، فشقوا الطرق لها و حفروا الآبار و بنوا الأسواق للتجار و الحرفيين و شيّدوا الخانات و الفنادق للتجار الأجانب و شجعوا التجارة. كما عملت الإمارات الإسلامية التابعة للدولة العباسية في بلاد فارس و شرقها كالسّمانيين (261/389هـ) - (874/902م) و البويهيين (334/447هـ) - (945/1060م) و الغزنويين (351-582هـ) - (954/1195م) على تأمين طرق التجارة و توفير سبل ازدهارها، حتى أصبحت سمرقند و غيرها من المدن الإيرانية كبخارى و أصفهان من أعظم المراكز

التجارية و معبراً للتجارة الشرقية و الغربية ومن المحطات التجارية الرئيسية التي لعبت دور الوسيط بين تجارة الصين و الهند و التجارة الإسلامية عموماً، حيث كانت سمرقند ترتبط بشبكة من الطرق التجارية البرية تمتد عبرها من حدود بلاد الصين و كشمير و منغوليا لتصل منها إلى مدن العرب و المسلمين في بغداد و حلب و دمشق و منها إلى مصر و الإسكندرية.

بينما يمتد الطريق البحري جنوباً من موانئ الصين و الهند إلى الموانئ الجنوبية الإسلامية في الخليج العربي، كميناء سيراف، أو موانئ اليمن كميناء عدن و موانئ البحر الأحمر، و من هذه الموانئ يتم توزيع السلع و مواد التجارة، براً إلى الحواضر الكبرى في بغداد و الشام و مصر و بلاد فارس، لدرجة أن احتلت تجارة المسلمين في العصر العباسي في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) المكانة الأولى في التجارة العالمية آنذاك مما أدى إلى رواج كبير لها ساهم في ذلك التجار المسلمون من أقوام عديدة، فضلاً عن اليهود و النصارى بمختلف طوائفهم، من الشرق إلى الغرب.

كما تنوع التبادل التجاري بين المسلمين و بلاد الهند و الصين من حيث العناصر المساهمة فيها، فقد تنوعت السلع و مواد التجارة تنوعاً كبيراً استطاعت أن تقي بحاجيات هذا العدد الهائل من سكان هذه المناطق العديدة، بحيث أصبح تبادل المواد الصناعية و الفنية أمراً مألوفاً كالمنسوجات و الحرير و التوابل و الخزفيات و الأحجار الكريمة و المعادن و الجلود و الفرو و المسك و الكافور.

كما كان للتجارة الإسلامية الأثر البالغ في نشأة الأسواق و المدن و تطورها، بحيث أصبحت الملامح الرئيسية للمدن ذات الطابع التجاري، فانعكس التطور العمراني للمدن الإسلامية على نمطية أسواقها، بحيث عرفت نوعا من الانفصال عن التجمعات السكانية.

كانت هذه المعاني المختلفة تُشغلي وأنا أَتَطَّلُعُ لاختيار موضوع البحث، وكلما ابْتَعَدْتُ عنه لِمَوْضُوعٍ غَيْرِهِ رَجَعْتُ إِلَيْهِ أَتَحَسَّسُ خباياه وَأَسْرَارَهُ بَاحِثًا عن سبب انشغالي به، وخلال ذلك أدركت أنه بالرغم مما كُتِبَ عن العصر العباسي وعن الدولة العباسية من مئات الكتب ومئات الأبحاث والدراسات في شتى الجوانب فإن الجانب الاقتصادي والتجاري ظَلَّتِ الكتابةُ عنه في حُكْمِ الْغِيَابِ لِقِلَّتِهَا ، وما هو مَوْجُودٌ منها فهو امتدادٌ لبعض الكتابات الغربية من المستشرقين والدارسين الأوروبيين ، وهي بدورها قليلة إذا ما قورنت بعظمة هذه الدولة وطول أمدّها وقوة إسهاماتها في إعلاء عظمة العرب الحضارية والعلمية.

فعلى هذا الأساس استقر اختياري على موضوع تجارة المسلمين مع الهند و الصين خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) نظرا لأهميته التي ارتأيتها فيه مما حفزني إلى المضي في ذلك بالشروع في جمع ما استطعت من كتابات حوله سواء "أحدثا أو قديما لأشكّل منه هذا البحث الذي هو بين أيديكم.

غير أنني، و من خلال عرض الموضوع من حيث التعريف به و أهميته يتبادر إلى الذهن مجموعة من المعطيات و المعايير التاريخية و المعرفية تشكل تصورا عاما للبحث يمكن صياغتها على شكل تساؤلات يركز البحث حولها للإجابة عليها و هي:

إلى أي مدى بلغ الرواج التجاري بين المسلمين و بلاد الصين؟

ما هي الوسائط التجارية التي تعامل المسلمون في نشاطاتهم مع غيرهم من شعوب الشرق، و ما هي المراكز و الطرق التي سلكوها في رحلاتهم التجارية ببلاد الصين و الهند في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بصفة خاصة؟

من هي الطوائف التي كانت لها الريادة في التجارة مع الشرق الأقصى (الصين و الهند) و كيف كانت تتعامل فيما بينها؟ و كيف كانت علاقاتها ببعضها من حيث المعاملات التجارية: سببها، وسائلها، موادها و تنظيماتها؟ تشكل هذه التساؤلات محاور للبحث و الدراسة.

أما فيما يخص الدراسات السابقة في هذا الموضوع، نستطيع القول بأن ما كتب من دراسات حوله من طرف المتأخرين من المؤرخين و الباحثين سواء كانوا عربا أو مسلمين أو غربيين و مستشرقين إنما مرجعه الأصلي هو ما كتبه الرحالة العرب و المسلمون الذين عاصروا تلك الحقبة المشرقة من تاريخ التجارة الإسلامية، حيث أن جل أولئك الرحالة جغرافيون، بل منهم من كان يمتهن التجارة أو الملاحة.

فكون القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) كما أسلفنا قد بلغت الجغرافيا فيه مرحلة متقدمة من النضج، فإن جل كتاباتهم المتمثلة في الأسفار التي تركوها لنا لا تعدو أن تكون إلا وصفا أو مسحاً جغرافياً لتلك البلدان التي زاروها، فكان تركيزهم جلياً حول هذا الجانب بالرغم من الجهود التي بذلوها في التأليف حول جوانب أخرى لا تقل أهمية عنها، و المتعلقة

بموضوعنا المتمثل خاصة من الناحية التجارية، إلا أنها لم تكن بالقدر الكافي الذي يروي غليل الباحثين في هذا المجال،

فقد عُرِفَ عن هذا الجيل الأول من الرحالة الجغرافيين العرب و المسلمين تأثره بالمدرسة اليونانية الرومانية التي يتزعمها بطليموس، فمن بين أولئك الرحالة الجغرافيين: ابن خرداذبة (207-300هـ/ 822/913م) صاحب المسالك والممالك (232هـ/876م)، اليعقوبي (المتوفى سنة 284هـ/897م مؤلف كتاب البلدان، و ابن رسته المتوفى سنة 290هـ/903م واضع الأعلام النفيسة، و غيرهم من الذين كان لهم الفضل من هذا الجيل في ترسيخ تقاليد الرحلة العلمية، حيث أصبحت كتبهم التي ألفوها في هذا الميدان مصادر إلهام لأجيال أخرى من الرحالة و الجغرافيين.

و الآن سوف نعطي لمحة مختصرة عن هذه المؤلفات:

1- كتاب المسالك و الممالك لابن خرداذبة: هو كتاب قد تناول فيه الكاتب وصف الطرق و المسالك التي كانت تربط ما بين الأقاليم و الممالك و خاصة تلك التي تربط آسيا بأوروبا في عهده (القرن الثالث الهجري/الثامن الميلادي)، كما تناول أيضا المحطات البرية و البحرية محددا المسافات التي تفصل بين البلدان أو بين تلك المحطات و مدققا في مبلغ خراج الأقاليم و إحصاء جبايتها، واصفا مختلف الممالك في خصائصها و غرائبها فقد سمح له محيطه الأسري الذي ترعرع فيه باعتبار أن والده كان حاكما على ولاية طبرستان و وظيفته التي كان يتمتع بها كصاحب البريد و الشرطة في عهد الخليفة المعتمد (256/297هـ)-(869/870م) بمعرفة المسالك و الدروب و توسيع مداركه العلمية و من ثمة قَسَمَهُ إلى سبعة أقسام، حيث خص القسم الثالث و الرابع و الخامس و السادس بذكر مسالك الممالك في الشرق كبلاد فارس



و الهند و الصين، و الغرب كبلاد الشام و مصر و المغرب و بلاد الروم  
و لم يهمل الشمال كبلاد أرمينية و الخزر و بحر قزوين و انتهى ببلاد  
العرب.

إلا أن الملاحظ في كتابه عموماً الشمول و الاختصار، و موازاةً  
مع ذلك يبدي اهتماماً في الخوض في ذكر بعض التفاصيل الثانوية و أحيانا  
المتشعبة، حيث نجد أن الكتاب في مجمله أقرب إلى البيانات الإدارية منه  
إلى التأليف الأدبي، الشيء الذي يثير نوعاً من الفتور لدى البعض ممن ليسوا  
من أهل الاختصاص، إلا أننا نشمن عمله الكبير هذا، حيث يعتبر كتابه هذا  
مرجعاً أساسياً للرحالة و أصحاب البريد، و محط إعجاب الغربيين  
و المستشرقين، و لقد تم تأليفه سنة (232 هـ/876 م).

لذلك فإن أول من قام بنشر الكتاب و طبعه بارييه دومينار  
« BARBIER DE MEYNARD » مع ترجمة فرنسية في المجلة الآسيوية بباريس  
سنة 1865 م، ثم أدخله "دي خويه" « DEGOEGE » في مكتبته (مكتبته  
الجغرافية)، فنشره في المجلد السادس منها سنة: 1989 م في ليدن، مستنداً إلى  
مخطوطات أكثر دقة و ضبطاً بالإضافة إلى ترجمة فرنسية و مقدمة إضافية  
بالفرنسية كذلك.

2- كتاب "البلدان" لليعقوبي: يعد أيضاً من أمهات الكتب في الجغرافيا إذ  
يعتبر مؤلف هذا الكتاب الذي ينتسب إلى العباسيين من الأوائل الذين اهتموا  
بالجغرافيا البشرية كما كان حريصاً على تدوين ملاحظات عن الجغرافيا  
الطبيعية و عن المجتمعات التي تعرف إليها، و لقد قضى جل شبابه في التنقل  
بين البلدان و خاصة في ديار الإسلام، و فيه يقول: "إني عنيت في عنفوان  
شبابي بعلم أخبار و مسافة بين كل بلد لأنني سافرت حديث السن

و اتصلت أسفاري و دام تغربي، فكنت متى لقيت رجلا من تلك البلدان سألته عن وطنه و مصره" ثم عاد إلى بغداد أين عاش بقية حياته و توفي هناك سنة 284 هـ/ 897 م فقد كان هذا الكتاب ثمرة تلك المجهودات الجليلة التي قام بها خلال السنوات الطوال التي قضاها في الترحال، و الملاحظ في هذا الكتاب، هو عدم تقسيمه إلى أقاليم كما يفعل جل الرحالة و الجغرافيين، بل اكتفى بذكر البلدان التي زارها و وصفها، مع ذكر خصائص كل بلد بأسلوب أدبي جميل.

3- كتاب الأعلام النفيسة "لابن رسته": يعتبر هذا الكتاب موسوعة نادرة خص المؤلف الجغرافيا بجزء منها (و هو الجزء السابع) و كان ذلك في أواخر القرن الثالث الهجري حوالي 900 م فقد أعطى الشؤون الفلكية قسطا وافرا من اهتمامه حيث نجد فيه أثر بطليموس واضحا جليا من خلالها.

كما تناول أيضا وصفا تفصيليا للمدن و الممالك التي مر بها أو نزل فيها، جامعا كل ما استجد من أخبار حولها، و هو في ذلك كبعض الجغرافيين يجمع بين الحقائق و الأساطير، لكن كانت معرفته أغزر من غيره و كثير منها كان مبنيا على المشاهدة.

إلا أنه و بالرغم من أهمية هذا الكتاب الثمين، فقد ضاعت أغلب صفحاته، فلم يصلنا منه إلا عددا من الأبواب، حيث قام دو خويه ( De goege ) بنشرها و طبعها سنة 1891 م.

أما خلال الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، فقد اشتهر فيه ثلثة من الرحالة و الجغرافيين المبدعين على اختلاف مناهجهم و مذاهبهم العلمية، حيث عُرف الصنف الأول بما يسمّى «الجغرافيون الرحالة» أشهرهم: "المسعودي"، وهو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، و هو من أصل

مغربي، ولد ببغداد سنة 287هـ (897م)، أمضى معظم حياته في الترحال، حيث بدأ رحلته سنة 305هـ (915م) متوجّهاً إلى "إصطخر"، ثم أكمل رحلته باتجاه كل من "السند" و"الهند" و "الصين" ثم عاد إلى "زنجبار"، ثم قفل راجعاً إلى "عمان"، و منها إلى بغداد. بينما قادته رحلته الثانية إلى شواطئ بحر قزوين و أرمينيا و الشام و فلسطين ثم مصر التي أدركته فيها المنية سنة 345هـ (955م).

فقد سمحت له هذه الرحلة الطويلة باكتشاف عوالم أخرى و التعرف على العديد من الأجناس و المجتمعات وعاداتها المتنوعة و أديانها المختلفة، الشيء الذي مكّنه عن طريق هذا الكم الهائل من المعلومات الهامة التي جمعها، في ضوء تجربته الطويلة و خبرته الكبيرة التي اكتسبها من خلال مشاهداته الشخصية و معاشته للأحداث عن طريق تنقلاته و أسفاره العديدة عبر تلك الأمم و الدول، من تصنيف عدّة مصنفات علمية في غاية الأهمية ، حتّى أنّ هذه الرحلة لم تُثْنِه كذلك عن الكتابة في مجال الأدب و الشعر و الفلسفة ناهيك عن التاريخ و الجغرافيا، والتي لم يصل إلينا معظمها. و قد عني المسعودي عناية كبيرة بالأسلوب و الصنعة اللفظية، بل و كثيراً ما يلجأ إلى السجع و المحسنات البديعية.

ألف المسعودي كتابه الأوّل "أخبار الزمان" سنة 332هـ (943م)، و الذي يحتوي حسب ما جاء في بعض الأبحاث نحو ثلاثين جزءاً ضاعت كلها و لم يصل إلينا منها شيء، ثم قام بتأليف كتاب آخر مهم لكن بحجم أصغر بكثير من الأوّل و المتكوّن من جزأين فقط، و هو المعروف باسم "مروج الذهب و معادن الجواهر". و في آخر حياته ألف كتاباً سماه: "التنبيه والإشراف"، و في هذا الكتاب صحح المسعودي بعض الآراء التي كان قد عرضها في مؤلّفاته السابقة في ضوء معلوماته الحديثة.

غير أنه ما يؤخذ عليه الكاتب، بناءً على قراءتنا النقدية لمصنفاته العلمية على وجه الخصوص، هو توظيفه للحس العاطفي أثناء تفسيره لبعض الأحداث أو الروايات و عدم التمحيص و التدقيق فيها، حتى أنه في بعض الأحيان لا يكاد يفرق بين الروايات الأسطورية و الحقائق التاريخية.

كما اشتهر أيضاً رحالة آخر يدعى "أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد" (الذي اشتهر في أوائل هذا القرن) و الذي أرسله الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة 309هـ / 921م إلى ملك البلغار ليعرفه بشعائر الإسلام، فدوّن كل ما رآه خلال رحلته الشاقة و المشوّقة في نفس الوقت، في مذكرة سفره، واصفاً فيها بلاد الخزر.

و هناك أيضاً أبو دلف مسعر بن المهلهل الخرجي الينبوعي (الذي اشتهر في النصف الثاني من الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أي حوالي 390هـ / 1000م، حيث أمضى وقتاً طويلاً في بلاط نصر الثاني السماني و عند الصفاريين في سجستان، و صاحب بن عبّاد البويهى بالري. سافر برّاً إلى الصين ثم عرّج إلى الهند و سجستان فكتب عن أهم ما رآه و اللحظات الهامة التي عاشها خلال رحلته الطويلة في البلدان التي زارها، ضمن رسالتين، حيث درس الرسالة الأولى " فلستنفد " سنة 1842 و طبعها " شلوزر " سنة 1845. و طبع " مينورسكي " الرسالة الثانية سنة 1955 ثم " بلغاكوف " و " خالدوف " سنة 1960.

إلاّ أنه برز بعد ذلك جيل آخر خلال نفس القرن ، حيث أظهر نوعاً من الاستقلالية عن الجيل الأول، و بالتالي التحرر من المدرسة

الإغريقية، فوضعوا لأنفسهم طريقة و منهاجا خاصا بهم، فهؤلاء هم أصحاب المدرسة العربية الإسلامية أو كما سماهم كراتشوفسكي «جغرافيو المدرسة الكلاسيكية في القرن العاشر»، فكان من أبرزهم أبو زيد أحمد بن سهل البلخي (235هـ/849م - 322هـ/934م) الذي سميّ مصنفه " صور الأقاليم " أو " تقويم البلدان" و هو أول من استقل عن بطليموس من حيث الطرح و رسم الخرائط و شرحها.

ثم يأتي من بعده "أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإصطخري" الفارسي المعروف بالكرخي صاحب كتاب "المسالك و الممالك" الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) عاصر ابن حوقل و اتصل به سنة 340 هـ. حيث اغتتم فرصة ابتعاده عن بلده "إصطخر" نتيجة الظروف السياسية للتفرغ للترحال و الكتابة و الاحتكاك بالرحالة و الجغرافيين الذين سبقوه إلى هذا الميدان.

ألف الإصطخري كتابه السالف الذكر معتمدا في ذلك على ما كتبه البلخي، و يبدو أنه كان متأثرا به كما سنرى حين نتعرض لكتابه.

و يلي الإصطخري رفيقه في الرحلة " أبو القاسم محمد" المعروف بـ: "ابن حوقل" (توفي 367هـ / 981م) و مؤلف كتاب المسالك و الممالك المعروف باسم (صورة الأرض)، و الذي كان لقيه و تعرف إليه خلال الرحلة التي قادتتهما إلى الهند سنة (340هـ/951م) حيث أخذ عنه بدوره و اشتهر من بعده في ميدان الجغرافيا.

4- كتاب المسالك و الممالك للإصطخري: و لقد أتم تأليف كتابه في نفس السنة التي توفي فيها البلخي (322هـ/934م)، ، فقبل قيامه برحلة من الخليج العربي إلى بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) ثم بحر قزوين، كان قد

كتب كتابه هذا الذي بين أيدينا، حيث اعتبره بعض النقاد و المستشرقين أمثال: "دوخويه Degoege" في مقدمة طبعته التي قام بتحقيقها (سنة 1871) بأنه لم يكن في الحقيقة سوى ملخصا لكتاب "الممالك و الممالك الذي ألفه البلخي".

تعرض الإصطخري في هذا الكتاب لوصف البلدان، و خاصة منها الولايات الإسلامية، و بعض المدن الهندية و البحار و الطرق. و خلال رحلته إلى الهند التقى بالرحالة الشاب "بن حوقل"، الذي كان يحمل نسخة من كتابه و التي كان قد سجل حوله ملاحظات هامة فكلفه الإصطخري بتنقيحه.

و الملاحظ على الإصطخري أنه تطرق بالتفصيل إلى بلاد فارس لمعرفة بهاء، باعتباره ابن المنطقة، بينما يوجز كل الإيجاز حين يتطرق إلى المغرب مثلاً، كما نسجل أيضاً اهتمامه الكثير برسم الخرائط عن الأقاليم التي زارها.

5- كتاب المسالك و الممالك (صورة الأرض) لابن حوقل: هذا الكتاب ليس سوى تهذيباً لكتاب "الممالك و الممالك" الذي ألفه رفيقه في السفر "الإصطخري" حيث كلفه هذا الأخير كما أسلفنا بتنقيحه، فقرر "ابن حوقل" كتابته من جديد محتفظاً بعنوانه: "الممالك و الممالك"، متمماً إياه بمعلومات أدق و أحدث التي استقاها من رحلته.

و يظهر من خلال هذا الكتاب أنه بالرغم من محاولة "ابن حوقل" في الحفاظ على الشكل و التوبيخ الأصلي للكتاب، فقد أدخل عليه تحسينات في غاية الأهمية، حيث تناول بصفة خاصة الفصول التي خصصها الإصطخري لمصر و المغرب و الأندلس و صقلية و العراق و بلاد ما بين النهرين، أما الفصل الذي يصف فيه بلاد فارس، فإن النص الأصلي للكتاب

أفضل من الذي نقحه ابن حوقل، و يبدو أنه أتم كتابه هذا بعد الرحلة التي قام بها إلى صقلية و المغرب و الأندلس، أي في حدود 367 هـ/977 م.

لكن بالرغم من التحسينات التي أدخلها ابن حوقل على هذا الكتاب إلا أننا نلاحظ حين نقارن بين الكتابين فضل الإصطخري على ابن حوقل، حيث نجد أن هذا الأخير اتخذ عنوان الكتاب نفسه، و تبنى نفس الخطة في التصميم و التأليف، و نقل عنه الكثير من الفصول، ثم يضيف عليها بعض الإضافات و الملاحظات القيمة.

و قد استفاد من كتابه هذا الجغرافيون و المؤرخون الذين جاؤوا من بعده و خاصة ياقوت الحموي (575-625 هـ/ 1179-1229 م ) في معجم البلدان، إلا أن ابن حوقل تعرض للنقد من طرف المختصين نظرا لعدم تدقيقه في بعض المرويات، و كذلك سرعة إصداره لبعض الأحكام.

و لكن مجهوداته في مجال الجغرافيا لا يستهان بها، و كل تعاليقه و إضافاته، تعتبر مبادرات لإرساء علم الجغرافيا لدى المسلمين. في مشارق الأرض ومغاربها، و ممن استفاد من هذه الكتابات والمناهج رحالة مغاربة، لا يقل شأنهم في هذا الميدان عن معاصريهم المشاركة في سعة الإطلاع وقوة الملاحظة ودقة التسجيل.

لكن، في غضون القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد) أيضا، ظهر نمط جغرافي آخر، اقتصر فيه المصنفون على دراسة قطر واحد داخل دار الإسلام أو خارجها و سمي هذا المنهج «بالمناهج الإقليمية»، اشتهر به " شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي البشاري (335هـ/946م-390هـ/1000م)، فقد سمحت له رحلته و تجواله في أقاليم دار الإسلام من عام 356هـ/966م حتى وفاته، و التي استطاع فيها

التوفيق بين غاياته الثلاث: العلمية و التجارية و الدينية، في مباشرة أبحاثه العلمية، فعكف على دراسة العالم الإسلامي إقليمًا إقليمًا ثم تطرق بالتفصيل إلى المدن والحوضر التابعة لها و شعوبها، مع ذكر خصائص كل منها، حيث توصل إلى أن يصنع من خلال الكم الهائل من المعلومات الهامة التي جمعها حول هذه الأقاليم، مادةً علميةً غزيرة جاهزة، لينهل منها الذين جاؤوا من بعده، و هذا يتضح من خلال قوله: «و ما تمّ لي جمعه إلّا بعد جولاني في البلدان، و دخولي بلاد الإسلام»، ما يدلّ دلالة واضحة على أن عمله هذا يُعدُّ فعلاً إنجازاً عظيماً كان محلّ إعجاب وثناء المستشرقين الذين صنّفوه كأعظم جغرافي الاتجاه الإسلامي و أعظم جغرافي العالم في عصره، فكانت ثمرة جهده مصنّفه المعروف بكتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم".

6- كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي: يعتبر هذا الكتاب من أحسن ما ألف في الجغرافيا، حيث تناول فيه الكاتب وصف الأقاليم الأربعة عشرة، وصفاً طبيعياً و بشرياً و اقتصادياً بشكل تفصيلي.

بالنسبة لأسلوبه، فقد تميز بالسرد أحياناً، و بالتحليل تارة و بالنقد والتمحيص تارة أخرى. فقد قام مثلاً بانتقاد ابن خردادبة و الجيحاني لإفراطهما في الإيجاز، و ابن الفقيه لكثرة استطراداته.

إلا أن الملاحظات التي سجلت حول هذا الكتاب هو أن المؤلف لا يرى فائدة في التطرق إلى بلاد الكفار، حيث أنه ركز دراسته على البحار و المحيطات و الأنهار و عدد من الجزر و خاصة في المحيط الهندي كما وصف العواصم و البلدان المشهورة و ذكر خيراتها، و كذلك إعجابه



و افتخاره بما كتب، الذي يرجعه إلى معرفته الواسعة للنظريات و اللغات و مخالطة العلماء و التجار.

و هناك أيضاً، ضمن نفس النمط و الاتجاه، "الهمذاني"، و هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف المعروف بابن الحائك أو بابن الدمينية، الذي ظهر في النصف الأول من القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد) (334هـ/945م)، صاحب كتاب "صفة جزيرة العرب" الذي يعتبره "سبرنجر" أروع ما كتبه العرب في الجغرافيا هو و كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي.

لذلك، فقد أصبحت هذه الكتب التي ألفها أولئك الرحالة العرب و التي تعتبر عصارة جهودهم و تجاربهم في ميدان الرحلة و الاستكشاف منهلاً للذين جاؤوا من بعدهم من الرحالة و الجغرافيين و مرجعاً أساسياً لهم.

أما المتأخرين من الرحالة و الجغرافيين الذين جاؤوا بعد هذين الجيلين، و الذين جابت شهرتهم الآفاق، نستطيع أن نقول بأنهم هم أيضاً قد بذلوا جهوداً معتبرة فيما خاض فيه أسلافهم الذين سبقوهم إلى هذا الميدان ثمّ أبدعوا فيه، بل إنّ أحدهم كانت له اليد الطولى في إرساء علم الجغرافيا و الإبداع فيه و الذي مهد لعصر الرحلة و الاستكشاف بالنسبة للأوربيين ألا و هو الإدريسي (ولد سنة 463 هـ/1100 م)، ثم جاء من بعده ثلثة من الرحالة منهم ابن جبير (ت 614 هـ/1217 م)، و ابن سعيد المغربي (610-640 هـ/1214-1243 م)، و ابن بطوطة (703-779 هـ/1304-1377 م) و غيرهم كثير في هذا الميدان، أما بالنسبة للمؤرخين و الباحثين في العصر الحديث، و خاصة منهم المستشرقين، فقد بذل ثلثة منهم جهداً لا يستهان به في البحث و التنقيب في هذا المجال الحيوي، و لكن لم تخرج عن دائرة مؤلفات

الرحالة و الجغرافيين السابقين، إلا أنهم استعانوا في بعض بحوثهم بالتخصصات العلمية الحديثة كعلم الآثار و الحفريات و ذلك لإضفاء نوع من المصداقية عليها و تعزيز آرائهم و اجتهاداتهم.

إلا أنه ينبغي نشير إلى نقطة مهمة و التي ربما قد تثير تساؤلاً، و هو أنه جاء ذكر بعض المصادر في المقدمة دون الاعتماد عليها في النص، و الجواب على ذلك، أن ذكرنا إياها خلال تقديمنا لهذا البحث، إما أن يكون لأهميتها فقط وليست لها علاقة به، إذ ليس هناك ما يدعو للاعتماد عليها باعتبارها متخصصة في الأقاليم التي ليست لها علاقة بموضوعنا، أو تطبيقاً لنظام الأولوية في اختيار المصادر، و بالتالي تفادياً للتكرار.

أما بالنسبة لمنهجية البحث، نقول بأن البحث العلمي يعتمد على أكثر من منهج، و بعبارة أخرى يعتمد الباحث في التاريخ على منهج عام مركب يمكنه من تحقيق الغرض من البحث و الوصول إلى نتائج يتوخاها الباحث في إشكاليته، و يعتمد في الأساس على تشخيص الأحداث ووصفها اعتماداً على النصوص التاريخية الأصلية من المصادر العامة و المتخصصة، و هو منهج وصفي.

و لكن ذلك لا يحقق النتائج دون الاعتماد على منهج آخر هو المنهج التحليلي المقارن الذي يعتمد على فهم النصوص و تحليل مضامينها و مقارنتها و جعلها تتحاور فيما بينها لاستخلاص النتائج و استنباط المعطيات للوصول إلى المقاربة من حقيقة الأحداث و الواقع.

أما بالنسبة للخطة التي رسمتها لبحثي فتتمثل في: مقدمة و أربعة فصول ثم الخاتمة، ففي المقدمة تطرقت إلى التعريف بالموضوع ودواعي

اختياره ثم عرضت بإيجاز الإشكالية وقمت بتحليل لأهم المصادر التي اعتمدت عليها.

1. و في الفصل الأول الذي يعد كمدخل تمهيدي تكلمت فيه عن التجارة في الإسلام بين الأثر الديني و البعد الجغرافي و خصائص القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد)، فعرفت من خلاله بالتجارة من الناحية العلمية و اللغوية و الاصطلاحية ثم أعقبته بذكر أهمية التجارة عند العرب و المسلمين، و في الشطر الثاني من المدخل تطرقت إلى أهم العوامل التي ساهمت في تنشيط الحركة التجارية للمسلمين مع الهند و الصين ركزت من من خلالها على أثر الإسلام في انتشار التجارة الإسلامية والبعد الجغرافي و التاريخي للعلاقات التجارية بين المسلمين و الهند و الصين و كذا خصائص القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد).

تعرضت في الفصل الثاني إلى تصنيف التجار و الشركات التجارية، حيث قسمته إلى مبحثين: ففي المبحث الأول ذكرت فيه أصناف التجار حسب أدوارهم ثم حسب عرقياتهم و أديانهم، ثم تطرقت في المبحث الثاني إلى تصنيف الشركات التجارية ثم مشروعاتها، أما الفصل الثالث فقد كتبت فيه عن تنظيم التجارة بحيث قسمته إلى ثلاث مباحث، في المبحث الأول تطرقت إلى تنظيم المعاملات المالية بين التجار ساردا لبعض الوسائل و الطرق في ذلك. و في المبحث الثاني عرجت إلى ذكر طرق و أساليب التعامل التجاري، في المبحث الثالث ذكرت فيه تنظيم الأسواق و مراقبتها مع ذكر أشهرها.

بالنسبة للفصل الرابع الذي تناولت فيه النقل التجاري، ففيه مبحثان ذكرت في الأول النقل البحري و محطاته ومسالكه، و في المبحث

الثاني ذكرت فيه النقل البري و محطاته البرية و مسالكه، و أخيرا تطرقت إلى السلع المنقولة و المتبادلة بين بلاد الإسلام و الهند و الصين، و المتمثلة في الصادرات و الواردات.

فيما يخص الخاتمة، فقد أفرزت من خلالها زبدة البحث، مجيباً على كل التساؤلات التي كنت قد طرحتها في المقدمة.

أما الصعوبات التي واجهتها أثناء إنجازي لهذا البحث و التي يواجهها أغلب الباحثين المبتدئين و خاصة الجزائريين هي صعوبة جمع المادة العلمية الموازية لنقص المعلومات الناجم عن فقر مكتبتنا إلى المصادر و المراجع المتخصصة، في مثل هذه المواضيع الهامة، و التي أرى أنها ضرورية، ككتاب مشهور و الذي يعتبر من أروع الكتب و أنذرها التي ألفت حول الرحلات التجارية الذي ألفه سليمان التاجر إذ يعتبر أول من ألف حول هذا الموضوع.

و هناك مشكل آخر و المتمثل في قلة الوقت و الإمكانيات بحيث أن ظروف عملي كباحث بعيد عن مجال العلم والثقافة، فعدم توفر الوقت الكافي و اللازم لإنجاز مثل هذا العمل و كذا إمكانياتي المحدودة لا تسمحان لي بالتنقل و التحرك بصفة حرة و الاتصال بالجهات التي التمسث فيها روح المساعدة أو السفر لمعاينة بعض الجوانب المتصلة بالموضوع، كل ذلك شكل عوائق كثيرة في وجه إنجاز البحث على الصورة التي كنت أطمح إليها بالرغم من الجهد والطاقة التي أفرغتها فيه.

و في الأخير أقول إن بحثي هذا قد تم بعون الله و رعايته تم بمساعدة و إشراف الأستاذ الدكتور عبد العزيز لعرج، الذي وقف بجانبني في السراء و الضراء، و سهر من أجل إنجاز بحثي، و ذلك بالتصحيح تارة

و بالاقتراحات تارة أخرى، و عدم بخله علي بنصائحه القيمة و توجيهاته  
السديدة و الحكمة و ملاحظاته الهامة التي أثرت موضوعي فأشكره جزيل  
الشكر على ذلك.

كما لا ننسى بعض الأساتذة الأفاضل الذين نفعوني بآرائهم  
و نصائحهم الهامة، فلهم جزيل الشكر، و كذا جميع من وقف بجانبي و مد لي  
يد العون من الزملاء و الأصدقاء.

## فصل أول: مدخل تمهيدي

التجارة في الإسلام بين الأثر الديني و البعد الجغرافي و خصائص  
القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد)

2. تعريف التجارة
3. مكانة التجارة في الإسلام و أهميتها عند العرب و المسلمين
4. أثر الإسلام في انتشار التجارة الإسلامية
5. البعد الجغرافي و التاريخي للعلاقات التجارية بين المسلمين  
و الهند و الصين
6. مستجدات القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد)

عرفت التجارة منذ عصور موعلة في القدم كوسيلة لتبادل المصالح و المنافع بين الناس، فكانت صلة الوصل بين الشعوب في الحرب والسلم. لذا، فقد نظر الإسلام إلى التجارة نظرة تشريف لأهميتها في تلاقي الأمم و تواصلها و تبادل المنافع فيما بينها، فكيف كانت حالة التجارة و أوضاعها في ظل الإسلام؟.

## 1. تعريف التجارة:

تعتبر التجارة وسيلة من الوسائل التي تتخذها بعض الفئات من الناس لتسهيل تبادل المنافع و المصالح فيما بينها أو بينها و بين مجتمعاتها و للحصول على أرباح من ورائها، وذلك عن طريق المقايضة بالسلع أو البيع و الشراء بالأموال. و لذلك يقول القرطبي في تعريفه للتجارة عند تفسيره الآية الكريمة: " إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ " <sup>1</sup>: «والتجارة هي البيع والشراء»، <sup>2</sup> مصداقا لقوله تعالى، ويعرفها بن خلدون بقوله: «إعلم أنّ التجارة محاولة الكسب بتتمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء» <sup>3</sup>.

---

1 سورة النساء، الآية 29.

2 أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار التراث العربي، بيروت 1965، ج 5، ص 151.

3 عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة من كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ضبط و وضع الحواشي خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت 1421هـ - 2001م، مج 1، ص 346..

## 2. مكانة التجارة في الإسلام و أهميتها عند العرب و المسلمين:

لو تفحصنا القرآن الكريم لوجدنا بأنّ التجارة ذكرت في مواطن عديدة منه نظرا لمكانتها الرفيعة عند الله، كقوله تعالى: «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ»<sup>1</sup>، بل وأكثر من ذلك ذكرت في مواضع أخرى منه على سبيل المجاز لحث المسلمين على العمل الصالح كقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله و رسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون»<sup>2</sup>.

و لكن بالرغم من ذلك بقيت كلمة البيع هي السائدة في فقه المعاملات الإسلامية القديمة، بل حتى الحديثة، نظرا لمدلولها الفقهي الواضح في التشريع الإسلامي انطلاقاً من قول الله تعالى: « وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا »<sup>3</sup>.

و أما إذا تكلمنا عن أهمية التجارة و مكانتها عند العرب و المسلمين، فقد كانت التجارة بالنسبة إليهم هي أحب الأعمال وأفضل الكسب عندهم.

فقبل مجيء الإسلام كان العرب في غالب الأحيان يعتمدون على التجارة كمصدر رئيسي للرزق وللكسب الشريف، ولذلك يقول الألويسي: «وهي — أي التجارة — أشرف الأسباب وأعلاها قدراً، ولهذا في الحديث (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ مَعَ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ) لاسيما سكنة الحجاز ونجد وما

1 سورة البقرة، الآية 282

2 سورة الصف، الآية 11

3 سورة البقرة، الآية 275



شابهها من الأقطار المقحطة).<sup>1</sup>

و بما أن معظم أراضيهم جذبة، كان من البديهي أن يختاروا التجارة كمصدر يدر عليهم أرباحا وافرة تعوض عنهم ما شحت عليهم أراضيهم وخاصة أن طرق التجارة العالمية حينذاك تمر عبر بلادهم.

و نظرا لشغف العرب بالتجارة وتعلقهم بها، أخذت بالبابهم في جل جوانب حياتهم، وإذا ما قارناها بالحرف والمهن الأخرى، نجد التجارة عندهم أسمى هذه المهن وأشرف الكسب حتى أن مصيرهم كان معلقا بالآلهة التي كانوا يعبدونها لأنهم في زعمهم أن هذه الآلهة كانت تحفظ لهم تجارتهم من عواقب وتقلبات الدهر وغصصه.

و لذلك جاء في تفسير سورة قريش عند قوله تعالى: «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ»،<sup>2</sup> أي اعبدوا رب هذا البيت — مخاطبا القرشيين — الذي أطعمكم بالتجارة من الجوع وأمنكم بواسطة هذا البيت الأمن من الخوف، وليس بعبادتكم لتلك الأوثان التي لا تضر ولا تنفع.

فالعرب إذاً، لم يكن لهم خيار ولا حيلة سوى ممارسة التجارة، ولقد قيل: «العرب قوم تجارة وبيع وشراء».<sup>3</sup>

فلا بد إذاً أن تكون التجارة أول أسباب المعاش عندهم، فعكف

---

1 محمد شكري الألوسي البغدادي: بلوغ الأرب، عني بشرحه محمد بهجت الأثري، الكتب العلمية،

بيروت (بدون تاريخ)، ج 3، ص 85.

2 سورة قريش، الآيتين 3.4.

3 سعيد الأفغاني: أسواق العرب، ط2، دار الفكر، دمشق، 1379 هجرية — 1960 ميلادية، ص 18.

أكثرهم عليها وتمادحوا في كسب المال، وأخذوا يمشون في مناكب الأرض يبتغون الرزق من هذه المهنة، حتى أصبحت لديهم المكانة المشرفة في التجارة العالمية.<sup>1</sup>

و لعلّ المطلع على سورة قريش يجد بأن قبيلة قريش والتي تنتمي إلى عرب الحجاز لم يكن ليصبح لها ذلك الشأن الكبير لولا الرحلتان التجاريتان اللتان مَنَّ بهما الله على أهلها، لتضرر معظمهم من الفقر والجوع.<sup>2</sup>

فهذا الحرص والاهتمام لم يكن ميزة القرشيين وحدهم، بل ويقاسمهم في ذلك بقية العرب، ومن سور ذلك عادة أهل المدينة، المتمثلة في طريقة ترحيبهم بقدوم القوافل التجارية، تعبيراً عن فرحتهم وسعادتهم، بها وذلك بضرب الدف والغناء، ولقد جاء ذلك في شروح المفسرين،<sup>3</sup> لقوله تعالى: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا.. الآية».<sup>4</sup>

إضافة إلى ذلك، فقد اشتهر عن عرب الحيرة و البصرة كثرة الترحال في شتى بقاع المعمورة سعياً وراء الكسب و الثروة.<sup>5</sup>

ولهذا، فقد امتاز العرب عن غيرهم من الأمم بالحرص الكبير على

---

<sup>1</sup> سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص24. 25.

<sup>2</sup> ذلك بأن قريشا إذا أصاب واحدا منهم مخمصة، جرى هو وعياله إلى موضع معروف، فضربوا على أنفسهم الخباء فماتوا))، (أنظر أبو عبد الله القرطبي: المصدر السابق، ج20، ص 204).

<sup>3</sup> أنظر: (أحمد المراغي، تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ)، ج 28، ص101).

<sup>4</sup> سورة الجمعة، الآية 11.

<sup>5</sup> أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمداني المعروف بابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، مطبع بريل، طبع بمدينة ليدن المحروسة 1302هـ—1885م، نشر دار الكتاب اللبناني، ص191.

التجارة، وتشجيع كبرائهم وسادتهم لها، وبالرغم من احتكار غيرهم من الأمم للتجارة، وخاصة اليهود، إذ يقول في ذلك ديورانت: « هذا إلا أن العرب لم يكونوا كأشراف الأوروبيين يسخرون من التجار ويزدرونهم، ولهذا لم يلبثوا أن انضموا إلى المسيحيين واليهود والفرس في نقل البضائع من المنتج إلى المستهلك بأقل ما يمكن من الربح لكليهما».<sup>1</sup>

في مقابل ذلك، نجد أن الأمم الشرقية خاصة الصينية منها<sup>2</sup>، كغيرها من الأمم المتحضرة العريقة على الرغم من الغنى الذي كانت تتمتع به أراضي بلادهم، كان ولعهم شديداً بالتجارة،<sup>3</sup> فقد عرفت التجارة عندهم كغيرها من المهن و الحرف كالزراعة و الحرف اليدوية و خاصة في عهد الأسرة الصينية هان (25م – 220م)<sup>4</sup> تطوراً ملموساً نجم عنه شق الطريق التجارية البرية المعروفة بطريق الحرير، ثم ازدهرت و تطورت

---

1 ويل ديورنت: قصة الحضارة، ترجمة أحمد بدران، ط 1 دار الجليل بيروت، 1992، ج 13-14، ص 109.

<sup>2</sup> يتصل نسب الصينيين إلى عامور بن تنويل بن يافث بن نوح عليه السلام، فأول من ملك عليهم منهم هو نسطر صاس بن فاغور، و كان دار ملكه مدينة "أتموا"، و كانت مدة ملكه ثلاثمائة سنة وفرق أهله في تلك الديار و شق الأنهار و غرس الأشجار و استطاع أن يوفر الأمن الغذائي لشعبه (أنظر: أحمد بن يوسف القرمان: أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ، دراسة و تحقيق أحمد حطيط و فهمي سعد، ط1، عالم الكتب 1416هـ-1992م، بيروت، مج3، ص166).

<sup>3</sup> بزرك بن شهريار الناحذة الرامهرمزي: عجائب الهند برها وبحرها، تحقيق عبد الله محمد الحبشي إصدارات المجمع الثقافي، 1421هـ-2000م أبو ظبي، ص 110 .

<sup>4</sup> أسرة هان سلسلة من الأباطرة حكمت الصين مدة تزيد عن أربعمائة (400) سنة و قد أنشأ ليوبانج هذه الأسرة عام 202 ق.م و ذلك بعد سقوط أسرة شن، (أنظر الموسوعة العربية العالمية: ترجمة بتصرف عن دائرة المعارف العالمية Woorld Book Encyclopedia، مدير الترجمة و التحرير صلاح الدين الزين الطيب، النسخة الدولية 1994، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع ، الرياض، ، ج22، ص41).

بشكل كبير في عهد الأسرة تانج (617م-907م)<sup>1</sup> رافق ذلك تطوّر المواصلات البرية و البحرية، التي تمّ بفضلها إقامة علاقات اقتصادية و ثقافية واسعة مع كثير من البلدان مثل اليابان و كوريا و الهند و بلاد فارس و البلاد العربية.<sup>2</sup> فكانت سفنهم تجوب المحيطات والبحار لتُزاحم سفن الإمبراطوريات العظمى فيها. كما كانت موانئها الزاخرة في القديم مقصد و محطّ التجار الأجانب من مختلف الجنسيات الذين جذبهم جو الاستقبال الحسن و المعاملة اللائقة و العادلة الذي وفرته لهم السلطات الصينية.<sup>3</sup>

لذلك، فقد أشارت العديد من القصص إلى أولئك التجار الأجانب الذين أوغلوا في الصين، ولكن للأسف لم تذكر هذه السجلات شيئاً عن جنسيات أولئك التجار، كما اكتشفت بعض التماثيل الخزفية و اللوحات الزيتية في قبور أباطرة أسرة تانج.<sup>4</sup>

كما أن للاتصالات الواسعة القديمة بين الأمم المنتشرة عبر الامتداد الشرقي للمحيط الهندي و المطلة عليه ميزاتها و تقاليدھا الخاصة، فهي قديمة قدم التجارة المعتمدة على الرياح الموسمية، فمنذ أكثر من ألفي عام كانت

---

<sup>1</sup> أسرة تانج أو تانغ سلسلة من الحكام الذين حكموا الصين من سنة 618 إلى 907 م، و يعتبر الكثير من المؤرخين الفترة التي حكمت فيها هذه الأسرة بالعصر الذهبي في الحضارة الصينية، إذ كانت عاصمتها آنذاك شengan (زيان حالياً) أحد المراكز الثقافية العظمى في العالم. وحدّ حكام تانغ الصين، و أسسوا فيها حكومة عسكرية مركزية قوية. (أنظر الموسوعة العربية العالمية السابقة، ج6، ص38).

<sup>2</sup> تشين شي: الصين، ط1، دار النجم الجديد، بكين 1993، ص29.

<sup>3</sup> Dominique Sourdél et Janine Sourdél :La civilisation de l'islam classique, collection des grandes civilisation, Arthaud, Paris 1968. P.319

<sup>4</sup> ذانج هو: دراسة حول المعاملات بين الصين و العرب في العصر الوسيط، ندوة الدراسات العمانية "حصاد" ذو الحجة 1400هـ/ نوفمبر 1980م، وزارة التراث القومي و الثقافة، ج6، ص16.

السفن تحمل البضائع من جنوبي الهند إلى سومطرة<sup>1</sup> و جاوة<sup>2</sup> و بالي<sup>3</sup> و الصين، و كانت سفن أخرى قبل ألف و سبعمائة سنة تنتج من سومطرة نحو إحدى الموانئ الهندية.<sup>4</sup>

إذاً، فقد عرفت التجارة الصينية نجاحاً لا مثيل له نظراً لجودة بضائعها التي اشتهرت بها. لكن، فلسفة التجارة خلال تلك الفترة الذهبية اقتضت أن تكون نوعية البضائع هي التي تتحكم في أسعارها و تحدّد سقف الطلب، فنرى مثلاً أنه برغم الرواج الكبير الذي حظيت به التجارة الصينية، و نظراً لحاجة بلادهم الماسة هي أيضاً لبعض المواد و المنتجات الضرورية، كان التجار الصينيون يحرصون كل الحرص على جلبها مهما كان ثمنها، الشيء الذي جعل بعض التجار الصينيين من كانتون<sup>5</sup> يدفعون مبالغ باهظة مقابل الحصول على بعض الأخشاب الثمينة،

---

<sup>1</sup> سومطرة: تقع غربي جزيرة جاوة الأندونيسية و هي أكبر جزيرة في أرخبيل الملايو وخامس الجزر الكبرى في العالم تقدر مساحتها بـ 440 كيلومتر، و يمر خط الاستواء بمنتصفها تماماً، (أنظر دائرة المعارف الإسلامية، يصدرها بالعربية: أحمد الشنتاوي و إبراهيم زكي خورشيد و عبد الحميد يونس، مج12، ص390).

<sup>2</sup> جاوة: أهم جزر أرخبيل الملايو الأندونيسية، و تبلغ مساحتها 2390 ميلاً مربعاً و تقع شرقي سومطرة (أنظر دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، مج6، ص250، 249).

<sup>3</sup> بالي: أشهر الجزر الأندونيسية، تقع غربي جاوة عبر مضيق ضيق يبلغ عرضه حوالي كيلومترين و نصف (أنظر: الموسوعة العربية العالمية: المرجع السابق، ج4، ص131).

<sup>4</sup> ريتشارد هول: إمبراطوريات الرياح الموسمية، ط1، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية، أبو ظبي 1999، ص49.

<sup>5</sup> كانتون و تسمى أيضاً قوانق زهو أو قوانق تشاو، أكبر ميناء بالصين يقع على رأس قوانق دونغ عند مصب نهر كزي جيانغ، كانت مركزاً تجارياً قديماً كحلقة وصل مع كل من الهند والعالم الإسلامي (أنظر: A-Kondo et Kondratiev : Nouveau Larousse Encyclopédie, Larousse, Paris Cedex 06 - 2003, Vol 1, P261) .

## في القرن الثامن الميلادي.<sup>1</sup>

بينما كان التجار الهنود إلى جانب التجار الروم و الفارسيين و العراقيين و اليهود هم أنشط التجار شرقي المملكة الإسلامية.<sup>2</sup> غير أنّ الملاحظ بالنسبة لتجارة الهند الخارجية لم ترقى إلى مستوى نظيرتها الصينية لاعتبارات عديدة، منها كما ذكرنا آنفاً، اهتمام الأسر الصينية الحاكمة بالتنظيم التجاري و تشجيعهم للتجارة الخارجية، و كذا امتلاكهم لأساطيل بحرية كبيرة و متطورة، و رسوخ قَدَم التجار الصينيين في هذه المهنة العريقة، عكس التجار الهنود الذين كان أغلبهم يكتفي بعرض بضائعهم النفيسة بأسواقهم الكبيرة التي كانت مقصد التجار الأجانب و نقاط تلاقعهم<sup>3</sup>، و بَعْضُهُمْ يفضل الخروج إلى عرض البحر في زواريق لهم يحملون معهم بعضاً من بضائعهم ليقايسونها بما يحتاجونه من المتاع.<sup>4</sup>

مع ذلك، هناك دراسة تشير إلى ازدهار تجارة الهند مع كل من الشرق و الغرب خلال القرنين الثاني و الثالث قبل الميلاد، حيث كانت سفن جنوبي الهند تمخر عباب البحر إلى بلاد العرب و إلى الشاطئ الشرقي من إفريقيا و إلى إندونيسيا و جنوبي الصين. غير أنّ

---

<sup>1</sup> تيم سقرن: رحلة السندباد، ترجمة سامي غريز، وزارة التراث القومي و الثقافة 1405هـ-1975م، سلطنة عمان، ص 295.

<sup>2</sup> آدم متمر: الحضارة الإسلامية، في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة، الدار التونسية للنشر، تونس 1405هـ - 1986م، ج2، ص797.

<sup>3</sup> إدوارد بروي: تاريخ الحضارات العام (القرون الوسطى)، ط3، منشورات عويدات، بيروت 1994، مج 3، ص 190.

<sup>4</sup> أحمد بن إبراهيم الهمداني: المصدر السابق، ص 12.

تجارة الهند خلال القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد)، عرفت ازدهاراً خاصاً مع جارتها القديمة الصين.<sup>1</sup>

غير أنه، و بعد مجيء الإسلام و تشييد صرح الحضارة الإسلامية، عرفت التجارة مُتَنَفِّساً جديداً و تطورا منقطع النظير، في ظل تعاليم الدين الإسلامي السامية، بحيث أولى الإسلام التجارة اهتماما كبيرا وَأَفْرَدَ لها عناية خاصة، والدليل على ذلك أن الفقهاء والعلماء و منهم الأئمة الأربعة قد خصصوا لها بابا واسعا خاصا بها يشمل كل المسائل والفتاوى المتعلقة بها، سموه باب البيوع أو التجارات، بل حتى كتب الحديث، والتي فيها جميع أقوال وأفعال ومعاملات النبي صلى الله عليه وسلم، ما تفحصنا واحدا منها إلا وجدنا حظ البيوع أو التجارات فيها كبيرا، كصحيح البخاري (في كتاب البيوع)<sup>2</sup> و مسلم (في باب البيوع)<sup>3</sup> و سنن الترمذي (في باب البيوع)<sup>4</sup> و النسائي (في باب التجارة)<sup>5</sup> وغيرهم.

و أكبر من ذلك كله نجد في القرآن ما يشير إشارة واضحة إلى

---

<sup>1</sup> رالف لتون: شجرة الحضارة، تقديم محمد سويدي، "الأنيس" سلسلة العلوم الإنسانية تحت إشراف علي

الكتز، موفم للنشر 1990، الجزائر، ج3، ص208.

<sup>2</sup> أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي: صحيح البخاري، ضبط و ترقيم و شرح و فهرسة و تخريج الأحاديث الدكتور مصطفى ديب البغا، نشر مشترك موفم للنشر مع دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 1992، ج2. ص 721.

<sup>3</sup> أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، بشرح النووي محيي بن زكريا، دار المنار للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة 1423هـ-2003م، ج10، ص 118.

<sup>4</sup> أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: سنن الترمذي، ط 1، تخريج و ضبط و ترقيم صديقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت 1422هـ-2004م، ص371.

<sup>5</sup> أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي: سنن النسائي، شرح السيوطي، حاشية السندي، دار الكتاب العربي، بيروت، (بدون تاريخ)، مج4، ج7، ص244.

أهمية التجارة، شريطة أن تكون موافقة لتعاليم الإسلام، كقوله تعالى: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا».<sup>1</sup> و يتبين من خلال هذه الآية الكريمة أن البيع في الأصل حلال وأن هناك نوعان من البيع أو التجارة: حلال و حرام.

لذلك، فالإسلام أعطى الحرية لممارسة التجارة، ولم يقيد بها برسوم ولا تسعير،<sup>2</sup> بل قد أفتى جمهور العلماء بعدم جواز التسعير في الأقوات أو في غيرها سواء في حالة رخص أو غلاء، و أجازها مالك في الأقوات مع الغلاء.<sup>3</sup> لذلك، فقد جعل الإسلام التجارة حرة تعتمد على العرض والطلب، ولكنه في نفس الوقت أوصد الأبواب في وجوه الذين يريدون أن يستغلوا هذه المهنة الشريفة لصرفها عن وجهتها الصحيحة، وقطع الطريق أمام كل من سَوَّلَتْ له نفسه أن يَبْنِي أو يُنَمِّي ثَرَوَتَهُ على رقاب الضعفاء وعلى حساب الفقراء، فحرم كل أشكال وطرق البيع غير السليمة التي تضر بالمجتمع و تمس حقوق البسطاء وحرم مثلاً: الربا،<sup>4</sup> الاحتكار،<sup>5</sup> الغش،<sup>6</sup> بيع

---

1 سورة البقرة، الآية 275.

2 المجيلدي: كتاب أحكام التسعير، تحقيق موسى لقبال، ط 2، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر 1970، ص 44.

3 أبو الحسن علي بن محمد بن الحبيب البصري البغدادي الماوردي: الأحكام السلطانية و الولايات الدينية،

ط2، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابلي الحلبي و أولاده بمصر 1386هـ-1966م، ص256.

4 الربا: بمعنى الزيادة،( أنظر تفسير الآية 275 من سورة البقرة، أبو عبد الله القرطبي: المصدر السابق ص (151).

5 الاحتكار: هو ادخار الطعام واحتباسه انتظاراً لوقت الغداء ( أنظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ط2، دار صادر بيروت 2004، ج4، ص 184 ).

6 الغش: هو التدليس مع إبداء المحاسن وإخفاء العيوب ( أنظر: جمال الدين محمد بن منظور، المصدر نفسه، ج11، ص52).



الغرر،<sup>1</sup> النجش،<sup>2</sup> و غيرها من البيوع المحرمة.

كما حث الإسلام التجار على الالتزام بالصدق والأمانة والوفاء عند الاتجار، وَاضِعًا نَصَبَ أَعْيُنِهِمْ حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَ بَيَّانًا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَ كَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا ».<sup>3</sup>

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً يُقْتَدَى به في الاتجار، كيف لا وهو التاجر الأمين الذي مارس التجارة منذ نعومة أظفاره وأداها أحسن الأداء، فشجع المسلمين على ممارستها، وهو الذي قال لما سئل أي الكسب أطيب، قال: « عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ ».<sup>4</sup>

و لذلك، فقد تم وصف ممارسة النبي صلى الله عليه وسلم للتجارة وصفاً بديعاً: « وكان صلى الله عليه وسلم برهة من الدهر تاجراً، وشخصاً مسافراً، وباع واشترى حاضراً، ولاشتهار أمره في ذلك، قال المشركون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، فأوحى الله تعالى إليهم: « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلاَّ إنَّهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق... الآية »،<sup>5</sup> فأخبر جلا اسمه أن الأنبياء قبله قد كانت لهم

---

1 نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الغرر كبيع السمك في الماء ( أنظر جمال الدين محمد بن منظور نفسه، ج11، ص30)

2 النجش: هو الزيادة في السلعة لمن يريد شراءها ليقع غيره فيها ( أنظر بن حجر العسقلاني: فتح الباري، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1406 هجرية، ج 4، ص 282).

3 رواه البخاري، ( أنظر إسماعيل البخاري: المصدر السابق، ج2، ص 736 ).

4 رواه البزار وصححه الحاكم (أنظر محمد بن إسماعيل الأمير اليميني الصنعاني: سبل السلام، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ، ج 3، ص788).

5 سورة الفرقان، الآية 20.

## تجارات وصناعات»<sup>1</sup>.

كما كان الخلفاء الراشدون أمثال أبي بكر<sup>2</sup> و عمر<sup>3</sup> تجارا، وكثيرا من السلف الصالح تجارًا ، فكان يقول بعضهم: « الأسواق موائد الله في أرضه فمن أتاها أصاب منها»<sup>4</sup>.

### 3. أثر الإسلام في انتشار التجارة الإسلامية:

انطلاقا من تلك التعاليم الربانية والتوجيهات والمحفزات النبوية، اندفع التجار المسلمون بتجارتهم التي تحمل مبادئ دينهم السمحة، مخترقين الآفاق، بأخلاقهم الفاضلة، يجوبون الأقطار والأصقاع يبيعون و يبتعون مع التجار والأهالي، دون زيغ أو انحراف عن هذه التوجيهات بل أكثر من ذلك صارت لديهم تلك التجارة وسيلة من وسائل الدعوة إلى الدين الإسلامي، شعارهم في ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم « رحم الله رجلا سمحا إذا باع سمحا إذا اشترى وإذا اقتضى»<sup>5</sup>.

كذلك كان المسلمون الذين كانوا يترددون بتجارتهم على الهند و الصين، بحيث أعجب بهم الناس بأخلاقهم ومعاملاتهم الصادقة الطيبة، فاحتضنوا دينهم وتجارتهم، ولعل ذلك كان أكبر نجاح حققه بتلك المنطقة.<sup>6</sup>

---

1 أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي: اللطائف و المعارف، دار المناهل للطباعة والنشر،

ط1، بيروت، 1416 هـ — 1960م، ص 80.

2 بن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ص 242.

3 أبو منصور الثعالبي: المصدر السابق، ص 81.

4 نفسه ، ص 81

5 رواه البخاري، (أنظر إسماعيل البخاري: المصدر السابق، ج2، ص 730).

6 مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الرابع، ص 96.

وكان شعوب تلك المنطقة و على وجه الخصوص الهند، كانت تنتظر اليد التي تنتشلها من تلك المحن والفوضى والفتن التي كانت غارقة فيها، حتى ظهر الإسلام على أيدي أولئك المسلمين فوجه تلك الشعوب الهائلة على وجوهها وجهة صالحة،<sup>1</sup> فأنقذهم من تلك الحروب الأهلية المدمرة التي كادت أن تأتي على دعائمها وتقضي على حضارتها.<sup>2</sup>

فمن الطبيعي إذاً، أن يحاول التاجر العربي المسلم التحدّث عن دينه الإسلامي و دعوة أصدقائه و معارفه في موانئ الهند و مراكزها التجارية التي يرتادها لأغراض تجارية، بل و يحاول نشرها بين أهل الهند الذين يشهد لهم بالنزعة الدينية و حبّهم للعرب.<sup>3</sup>

و هكذا فتحت صفحة جديدة من التاريخ الحضاري و الاقتصادي بعد أن انطلقت جحافل العرب المسلمين التي تحدوها قوّة عارمة و يدعّمها تنظيم بارع بثّهما الرسول صلى الله عليه و سلّم في صفوفها، فسيطر على الشرق و الجنوب والغرب وخرج ذلك العالم القديم من بوتقته الثقافية السابقة، حيث أوغل التجار العرب المسلمون في الشرق الأقصى المترامي الأطراف إيغالاً شارف فيه الصين و الهند.<sup>4</sup>

---

1 دتلف نلسن وأصحابه: التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين علي، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1958 م، ص 114.

2 ( محمد إسماعيل الندوي: تاريخ العلاقات بين الهند والبلاد العربية، ط 2 دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ، ص5.

3 ويل ديورانت: المرجع السابق، مج 2، ج 4، ص126.

4 ( زغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، و كمال الدسوقي، مراجعة مارون عيسى الخوري، ط6، دار صابر بيروت 2000م، ص 25.

ثم يأتي الفتح الإسلامي لهذه المنطقة بعد ذلك كبشرى زفت إليها وإلى أهاليها، ابتداء من فتح السند في العهد الأموي، إلى الفتح الأعظم في أواخر القرن الرابع الهجري على يد القائد الفاتح (محمد بن سبكتكين)، والذي أرسى لأول مرة دعائم الخلافة الإسلامية بالهند.<sup>1</sup>

و بالتالي، فإنّ هذا الفتح لم يكن عملاً عسكرياً مجرداً كما يظن البعض، ولكنه كان فتحاً حضارياً،<sup>2</sup> بل إن جهود الدعاة المسلمين وخاصة التجار ساهمت في تحويل الملايين من الهنود إلى الإسلام بالكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة و التعليم و الإقناع.<sup>3</sup>

ولهذا لم يكن لتلك المبادئ السامية التي حملها التجار المسلمون المتجسدة في أخلاقهم ومعاملاتهم الطيبة أثراً بالغاً في كسب قلوب الشعوب فحسب، بل كان لها أثر بارز في كسب مودة وتأييد بعض الحكام لهم، ولعل ما ذكره البلاذري عن ذلك الملك الذي اعتنق الإسلام على أيدي أولئك التجار المسلمين لأقوى دليل على ذلك.<sup>4</sup>

كذلك الأمر بالنسبة للصين، فإن معظم التجار المسلمين الوافدين إليها كان مرده حسب ما أشارات إليه بعض الدراسات الصينية إلى ضرورة دينية.<sup>5</sup>

---

1 ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ط 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون تاريخ، ج 7 ص 87.

2 توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، عبد الحميد عابدين، و إسماعيل الخراوي، ط 4، مكتبة النهضة، القاهرة 1971 م، ص 285.

3 توماس أرنولد: المرجع نفسه، ص 265.

4 أبو الحسن البلاذري: فتوح البلدان، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى 1350هـ-1932م، ص 433.

5 ذانج هو: المرجع السابق، ج 6، ص 20.

#### 4. البعد الجغرافي و التاريخي للعلاقات التجارية بين المسلمين و الهند و الصين:

يعتبر الموقع الجغرافي للبلاد العربية الإسلامية، وبلادي الهند و الصين ذا أهمية بالغة، حيث كان له الدور التاريخي في نشأة العلاقات الاقتصادية بينهما، وهو، فضلاً عن ذلك، كان عاملاً رئيسياً في ازدهار الحركة التجارية بصورة مكثفة ودائمة بينهما منذ القدم، كما كان انسجام ذلك الموقع في امتداده عبر المناطق الثلاثة في محيط واحد هو المحيط الهندي عاملاً جامعاً لشعوب تلك المناطق وسبيلاً من سبل التواصل والاتصال بينهما. فاهمية الهند و الصين تكمن في كونهما تتمتعان بموقع استراتيجي هام ذي بعد اقتصادي، إذ تحتلانّ جل الشريط الساحلي الجنوبي للقارة الآسيوية، و تتربعان على الجزء الأكبر من الكتلة المكوّنة لما يسمّى اليوم بالشرق الأقصى،<sup>1</sup> فضلاً عن إنتاجهما الغني بمواد الترف و الكماليات التي تزخران به.<sup>2</sup>

تقع الهند في جنوب القارة الآسيوية، و تشكل شبه قارة مستقلة، بل شبه جزيرة، بين بحر العرب غرباً و خليج البنغال شرقاً، و كلاهما متفرعان عن المحيط الهندي و تنتهي جنوباً عند رأس كمرون، و بمضيق بلك الذي يفصلها عن سيريلانكا، يحدها شمالاً النيبال و التبت، و كشمير، و باكستان، سيريلانكا، تتبع الهند كلّ من جزر لكاديف، و مينيكوى، و أندمان

---

1 مصطلح جغرافي سياسي يطلق على جنوب شرق آسيا ويشمل قديماً الهند والصين أما حالياً فيشمل كل من الصين واليابان وكوريا و الفيتنام و لاوس و كمبوديا و تيلاندا و بورما و الملايو و أندونيسيا و الفلبين و الهند، (أنظر الكيلاني: موسوعة السياسة، ط2، المؤسسة العربية لدراسات النشر، بيروت 1993م، ج 3، ص 454).

2 زغريد هونكه: المرجع السابق، ص 22-23.

و نيوكوبار في خليج البنغال.

أرض الهند عبارة عن سهل رسوبي واسع في حوض الغانج والهندوس يمتد في باكستان فاصلاً جبال الهمالايا عن هضاب جزيرة الدكن، ثمّة جبال و تلال مشرفة على ساحل مالابار بجهة الغرب، و على ساحل كروماندل بجهة الشرق، و في الشمال هناك سهول البنجاب، و في الغرب صحراء ثارا، و في الشمال الشرقي برهما بترا، و أعلى قمم جبال الهند واقعة في جبال الهمالايا التي تفصلها عن النيبال و التبت، و أشهرها قمة كنججونغا 8585 م، و أشهر أنهار الهند نهر الغانج، و الهندوس، و براهما بترا، و غوافاري، و كستا. أمّا مناخ الهند حار استوائي بالجنوب، معتدل في الشمال<sup>1</sup>.

بينما تقع الصين في نصف الكرة الأرضية الشمالي، كل أراضيها بما فيها البحار و الجزر شمال خط الاستواء ، حيث تمتد حدود الصين التي يتجاوز طولها العشرين ألف كيلومتر تمتد شرقاً من مصب نهر "بالو" الواقع على الحدود بين الصين و كوريا، ثم تتاخم كوريا و روسيا و منغوليا و قازاقستان و قرغيزستان و طاجيكستان و أفغانستان و باكستان و الهند و النيبال و سيكيم و بوتان و ميانمار و لاوس و فيتنام و غيرها من خمسة عشرة دولة. و يبلغ طول سواحلها حوالي ثمانية عشرة ألف كيلو متر من مصب نهر "بالو" شمالاً إلى مصب نهر "بيلون" الواقع في الحدود بين الصين و الفيتنام جنوباً ، تبرز نحو البحار بشكل هلال، و أراضي سواحلها منبسطة و على هذه السواحل موانئ كثيرة هامة، و يحيط بالبر الصيني بحر بوهاي الداخلي و البحر الأصفر و بحر الصين الشرقي و بحر الصين الجنوبي في

---

1 يحيى شامي: موسوعة المدن الإسلامية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت 1993، ص 347.

الشرق و الجنوب، المتصلة بالمحيط الهادي، و تتناثر في مناطق بحرية تابعة للصين أزيد من ستة آلاف جزيرة أكبرها تايوان<sup>1</sup>.

غير أنه، لابد من التمييز بين الصين الأصلية و الصين الحالية، فلقد فصل سور الصين العظيم، الذي يزيد عمره عن ألفي سنة، بين أراضي الصين الأصلية، حيث العمارة و الأراضي الخصبة الزراعية و السلالة الصينية العريقة، و بين الأراضي شبه الجافة في شماله حيث تعيش شعوب غير صينية قليلة العدد التي تعتمد على الرعي المتجول<sup>2</sup>.

أمّا عن الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي، فإنه و لا شك ذا أهميّة بالغة، لتوسطه و امتداد رقعته في القارات الثلاث من المحيط الأطلسي حتى مشارف الهند و الصين و المتوسط و قزوين حتى المحيط الهندي، حيث يسيطر على أكبر مجالين اقتصاديين في الشرق الأدنى و البحر المتوسط و يربط بينهما<sup>3</sup>، مما أهلها للتحكم أكثر في التجارة الإقليمية و العالمية، فكانت آثار ذلك واضحة في كل من الهند و الصين و جزر جاوة و ما جاورها و سواحل إفريقيا الشرقية بما في ذلك الحبشة و أواسط إفريقيا و كذا أوروبا<sup>4</sup>.

و عبر بلاد الإسلام كانت تمر كبريات الطرق البرية و البحرية

---

1 تشين بينغ: جغرافية الصين، ترجمة فريدة وانغ فو، دار النشر الصينية عبر القارات أكتوبر 1999، ص8 فما بعدها.

2 جودة حسنين جودة: جغرافية العالم القديم الإقلمية، ط1، منشأة المعارف بالإسكندرية 1998، ص696.

3 أندري ميكيل: الإسلام و حضارته، ترجمة زينب عبد العزيز، مراجعة كمال الدين الحناوي منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ص170.

4 أنور الرفاعي: النظم الإسلامية، دار الفكر المعاصر، بيروت 1998، ص264.

التي كانت تجمع أجزاء عالم العصر الوسيط، و فيها كانت تتلاقى أوروبا و آسيا و إفريقيا عند ملتقى طرقاتها.

و كان من شأن هذا الوضع الجغرافي المتميز أن يعطي للتجارة الإسلامية أهميّة كبرى، حيث كانت تتردّد على طريقين رئيسيين الطريق البرّي المسمّى " طريق الحرير "، و الطريق البحري الذي كان يسمّى طريق الهند.<sup>1</sup>

و لقد ساهم هذا التقارب الجغرافي بين العالم الإسلامي و منطقتي الهند و الصين في تثمين العلاقات بينما و مد الصلة بين الشعبين منذ القدم و تكتيف التبادلات في شتى المجالات و على وجه الخصوص في المجال لاقتصادي.

حيث تعود هذه العلاقات إلى فترة عرفت فيها بلاد الرافدين أعظم و أرقى الحضارات في تاريخ البشرية، و لقد جرى أول اتصال بين الهند و بلاد الرافدين في العهد السوماري،<sup>2</sup> حيث شهدت فيه هذه الأخيرة تقدما كبيرا في عدّة مجالات وخاصة في المجالين: الاقتصادي والعمراني، فازدهر التبادل التجاري بينهما ازدهارا كبيرا، وقد تطور ذلك إلى تبادل في الخبرات والتجارب وخاصة في ميدان الصناعات والحرف.<sup>3</sup>

---

1 جاك رسلر: الحضارة العربية، ط1، تعريب الدكتور خليل أحمد خليل سلسلة عام 2000 بيروت 1993 ص 133.

2 تعتبر الحضارة السومارية هي الأولى في العالم بدأت عام 3500 ق.م و استمرت حتّى عام 300 ق.م في موضع يقال له "سومر" و هو إقليم قديم يقع في بلاد ما بين النهرين جنوب شرق العراق حالياً (أنظر الموسوعة العربية العالمية: المرجع السابق، ج13، ص253).

3 إسماعيل الندوي: المرجع السابق ، ص 5 وما بعدها.



ثم استمر هذا الاتصال حتى عهد اللخمين<sup>1</sup> في الحيرة، حيث عرف النشاط التجاري العربي انتعاشا كبيرا، وكانت الحيرة لقربها من نهر الفرات حافزا مهما لاشتغال أهلها بالتجارة فساعدتهم هذه القناة النهرية على الاتصال ببحر العجم ( الخليج العربي حاليا ) ثم بحر الهند ( المحيط الهندي حاليا ) للمتاجرة مع الهنود والصينيين، ومن الحيرة أيضا، كانت القوافل تحمل تجارة الهند والصين.<sup>2</sup>

فبين انحطاط التجارة اليونانية والرومانية في القرن الثالث للميلاد وبين ظهور الإسلام في القرن السابع للميلاد، عرفت منطقة واد الرافدين تطورات هامة، حيث قامت الدولة الساسانية،<sup>3</sup> واتخذت كتي سيفون ( المدائن ) عاصمة لها، وهي التي ظلت مستودع التجارة الشرقية إلى ظهور الإسلام.<sup>4</sup>

و كان الفرس قبل الإسلام أصحاب المقام الأول في النشاط التجاري في المنطقة الممتدة من بحر العرب إلى بحر الهند، وكانت سفنهم تتردد كثيرا على الموانئ الهندية، فكانوا بذلك هم الوسطاء في تجارة الحرير

---

1 اللخميون: ينتسبون إلى لحم وهو مالك بن عدي الذي يتصل نسبه إلى كهلان بن سبأ ، و هم من العرب القحطانيين باليمن الذين نزلوا بالحيرة و ملكوا فيها فيما بعد ، مع العلم بأن المناذرة الذين ملكوا الحيرة بعدهم ينتسبون إليهم أيضا ، (أنظر أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، سلسلة ذخائر العرب، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، ط2، دار المعارف بمصر، 1391هـ-1971م، ص 484-488).

2 نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم، المطبعة الجديدة، دمشق ( 1395 هـ — 1396 هـ ) ( 1975 م — 1976م)، ص 190.

3 الساسانيون: أسرة ملكية حطمت بلاد فارس من سنة 226م إلى 651 م، ( أنظر دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ج11، ص47).

4 السيد مقبول: العلاقات العربية الهندية، ترجمة نقولا زيادة، الدار المتحدة للطباعة والنشر، 1974م، ص 119.

## بين الصين و العرب.<sup>1</sup>

أمّا عن علاقات الصين بالعرب كما جاء في بعض الدراسات التاريخية الصينية: « فهي سابقة على ظهور الإسلام، وأنّ الإمبراطور "وودي"<sup>2</sup> بعث سنة 139 قبل الميلاد "تشانغ تشيان" سفيراً له إلى الممالك في آسيا الوسطى، لإقامة روابط ودية معها زار في سفرته 36 مملكة صغيرة في المنطقة شملت بلاد الفرس و العرب»<sup>3</sup>.

و في مناسبة أخرى، حلّ بفارس و العراق مبعوث آخر عن القائد الصيني "بان تشا و" و هو في طريقه إلى الغرب، و نظرا لعدم إمكانه مواصلة رحلته لشدة العواصف الأمواج، نزل ضيفا عند العرب فعاد بأخبار وافرة عن العالم العربي.

و لقد فتحت هاتان الرحلتان الطريق البري للسفر فيما بين الصين و البلاد العربية غرب آسيا.<sup>4</sup>

واستمرت هذه العلاقات إلى العهد الإسلامي، حيث عرف أول اتصال رسمي بين المسلمين و الصينيين في فترة حكم أسرة

---

1 السيد مقبول: المرجع السابق، ص 119.

<sup>2</sup> و هو أحد الملوك البارزين أسرة هان في الصين الذي عمل على توسيع أراضي الإمبراطورية، (أنظر: Denys Lombard: La Chine impériale, presse universitaire de France Paris 1967, p57).

3 فهمي هويدي: الإسلام في الصين، سلسلة عالم المعرفة الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب، الكويت 1401هـ-1981م، ص 40.

4 فهمي هويدي، المرجع السابق، ص 40.

"تانغ" التي تميزت بتبادل البعثات الدبلوماسية و تكثيف المبادلات التجارية بينهما، حيث بلغ عدد التجار المسلمين في الصين حينها عشرات الآلاف.<sup>1</sup>

ثم توطدت تلك العلاقات في عهد الإمبراطور "تاوتسنغ" عام 651م (30-31هـ)، حيث يروى بأن الخليفة عثمان بن عفان بعث في نفس السنة أول مندوب له إلى الصين حيث التقى بذاك الإمبراطور.<sup>2</sup> و قد كان الصينيون كذلك يطلقون إسم "دا - شي" على كل خليفة عربي.<sup>3</sup>

و قد ضلّ مؤشر العلاقات العربية الصينية في تصاعد مستمر حتى بلغ ذروته عام 1168م خلال فترة أسرة "سونغ"، حيث عرفت التجارة نماءً و رواجاً كبيرين بين المسلمين و الصينيين، و على إثر ذلك، اتخذت أسرة "سونغ"<sup>4</sup> عدّة إجراءات لتوسيع نطاق التجارة الخارجية فأنشأت دائرة للتجارة و الملاحة في مدنها الكبيرة، مثل: كانتون و خانقو و تسينون (تشيوانتشو)، كما أنشئت دوائر أخرى في عدد آخر من المدن التجارية الساحلية و الحدودية، و شرعت حكومة "سونغ" في توثيق العلاقات مع التجار العرب المسلمين، فأوفدت مبعوثين بالهدايا إلى بلاد فارس و العرب، الأمر الذي

---

<sup>1</sup> دانج هو: المرجع السابق، ج 6، ص 14.

<sup>2</sup> فهمي هويدي: المرجع السابق، ص 42-43،

<sup>3</sup> دانج هو: المرجع السابق، ج 6، ص 14.

<sup>4</sup> سونغ أو سونج إحدى الأسر الصينية التي حكمت الصين من عام 960 إلى غاية سنة 1289م، قام الصينيون خلال هذه الحقبة بأعمال توسعة عمرانية و تجارية مهمة حيث وصلت الزراعة و صناعة الخزف و طباعة الكتب و الفلسفة عندهم إلى ذروتها، و أول مؤسس لهذه الأسرة و أول أباطرتها "تشاو كوانغين، (أنظر الموسوعة العربية العالمية السابقة، ج 13، ص 264).

شجّع كثيرين من هؤلاء التجار على القدوم إلى الصين.<sup>1</sup>

و تشجيعاً للتجارة الخارجية كذلك، سنتّ الحكومة الصينية قانوناً يعاقب كلّ من يسيء إلى التجار الأجانب، و يقضي بعزل الموظفين الصينيين المختصين من مناصبهم و تأديبهم إذا صدرت عنهم تجاوزات، كذلك العقوبة التي سلّطت على أحد موظفي الحكومة نتيجة تعديّه على تاجر خراساني.<sup>2</sup>

لقد ساهمت هذه القوانين في توافد التجار العرب المسلمين على الصين، حيث شكّلوا أكبر جالية في هذا البلد المضيف،<sup>3</sup> فتمركزوا في عدد من مدنها الكبيرة أمثال: كانتون (خانقو)، تسيتون (مدينة الزيتون - تشيوانتشو)، حتّى بلغت أعدادهم عشرة (10) آلاف في كلّ من هذه المدن خلال القرن العاشر (10) الميلادي (الرابع الهجري)، حيث ساهم أثرياء العرب بقسط كبير من أموالهم لتعمير بعض المدن مثل تسيتون الذين بنوا أكبر مسجد به.<sup>4</sup>

كما ساهم الاستتباب الأمني في الصين في استقرار عدد معتبر من المسلمين بها، فقد أشار المروزي من قبل إلى لجوء بعض الشيعة من الطائفة العلوية و هم من العرب الهاربين من خراسان بسبب بطش الحكم الأموي، إلى بلاد الصين قبل منتصف القرن الثاني الهجري، حيث كانوا يعملون

---

1 ذانج هو ، المرجع السابق، ص52-53.

2 أبو الحسن المسعودي: مروج الذهب و معادن الذهب و الجواهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 2، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 1407هـ - 1987م، ج1، ص140 و ما بعدها.

3 Dominique Sourdel et Janine Sourdel :La civilisation de l'islam classique, collection des grandes civilisation, Arthaud, Paris 1968. P.319

4 فهمي هويدي: المرجع السابق، ص53-54.

## كوسطاء تجاريين بين الصين و الأجانب.<sup>1</sup>

و من جانب آخر، فقد عرفت العلاقات التجارية بين الهند و العالم العربي الإسلامي انتعاشاً و تطوراً كبيرين منذ ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي حتّى القرن الرابع عشر الميلادي، و يمكن أن نسمّي هذه الفترة بالعصر الذهبي لهذه العلاقات.<sup>2</sup>

و لقد ساهم في تطوير هذه العلاقات و تمتينها استقرار عدد من الجاليات الهندية في الأراضي العربية، حيث كان العديد من الهنود المهاجرين يقيمون في القرى و المدن، و كانوا يشتغلون في شتّى الحرف و المهن، بل و يشاركون العرب في حياتهم و تجارتهم، و فضل بعضهم إضفاء الطابع العربي عليهم، حتّى أصبحوا جزءاً من المجتمع العربي،<sup>3</sup> و كانوا يسمّون بمتسميات مختلفة، منها: « الزط، الميد، الأساورة، الأحامرة و البياسرة».<sup>4</sup>

و لقد أدّى هذا لتلاحم العربي الهندي إلى تسرب العديد من الكلمات الهندية إلى اللّغة العربية و خاصّةً في أمور الصناعة و التجارة.<sup>5</sup>

---

1 شرف الزمان المروزي: أبواب الصين و الهند، Arabica texte (circa A.D.M 120) with an translation and commentray Society, Rovenor, Minorsky, The Royal Asiatic . BY / V English street, London، ص5.

2 السيد مقبول: المرجع السابق، ص119.

3 المبارك فوري: العرب و الهند في عهد الرسالة، ترجمة إبراهيم عزّت عبد الجليل، الهيئة المصرية العامة، القاهرة 1973م، ص15 و ما بعدها.

4 نفسه، ص45 و ما بعدها.

5 إسماعيل الندوي: المرجع السابق، ص32 و ما بعدها.

و في مقابل ذلك استقرت جاليات عربية في عدّة مناطق من الهند، بل و أثبتوا جدارتهم و استحقاقهم في تولّي مناصب هامة تعدّتها إلى اعتلاء عرش بعض الممالك بها.<sup>1</sup>

و هكذا، فقد أصبحت الهند مقصد التجار العرب والمسلمين، نظراً لما وجدوه من الكرم وحسن الضيافة من طرف العديد من ملوكها، حتّى أنّ بعضهم يفضل تقديم أنياب الفيلة كهدايا لهم.<sup>2</sup>

غير أنّ هناك عامل مهم ساهم هو أيضاً في ترقية العلاقات بين العالم الإسلامي و منطقة الشرق الأقصى و دفع التبادل التجاري بينهما إلى الأمام، و هو عندما أنشئت مدينة بغداد على يد الخليفة العباسي " أبو جعفر المنصور"<sup>3</sup> و التي كان بناؤها حدثاً تاريخياً هاماً، حيث أنّه و للمرة الأولى تصبح عاصمة لدولة عربية إسلامية على اتصال مباشرة ببحر العرب و بحر العجم عبر نظام مائي يعتمد على نهري دجلة و الفرات اللذان يصبّان في بحر العجم (الخليج العربي)،<sup>4</sup> و لم يخيب أبو جعفر المنصور حينما أخذ بمشورة البطارقة في اختيار موقع لبناء عاصمته الجديدة، حيث قالوا تلك المقولة التاريخية: «تجيئك الميرة في السفن من الشام و الرقة و مصر

---

1 أبو الحسن المسعودي: نفسه، ص 99.

2 شرف الزمان المروزي: المصدر السابق، ص 39.

<sup>3</sup> هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أبو جعفر المنصور، و أمه سلامة ابنة بشير من الي هي من مواليد البصرة، ونظراً لتقلده عدة مناصب هامة في الدولة اكتسب على إثرها تجربة كبيرة في السياسة و الإدارة و شؤون الدولة و العسكر إضافة إلى قوة شخصيته و صلب مزاجه أهله حينما تولى الخلافة لتسيير شؤون الدولة بكل حزم و صرامة و عن جدارة و لم تشنه العقبات و لا الأزمات عن ذلك، كانت وفاته سنة 158 هجرية، (أنظر أبو الحسن المسعودي: التنبيه و الإشراف، بإشراف لجنة تحقيق التراث، دار مكتبة الهلال، بيروت 1993 ص311).

4 حسن مقبول: المرجع السابق، ص121.

و المغرب إلى المَصْرَات، و من الصين و الهند و البصرة و ديار بكر  
و الروم و الموصل في دجلة»<sup>1</sup>.

## 5. مستجدات القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي):

تميّز القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بحدوث تحوّل هام  
في العالم العربي الإسلامي، و خاصّة في المجالات السياسية و الاجتماعية  
والاقتصادية.

فمن الناحية السياسية، شهدت البلاد الإسلامية انقسامات و تصدّعات  
بسبب ضعف الخلافة العبّاسية من جهة، و بسبب ظهور ولاءات و قوميات  
جديدة، ممّا أدّى إلى إعادة تشكيل خريطة جديدة لفسيّساء سياسية جديدة.  
بالنسبة للمشرق الإسلامي الذي يضم عاصمة الخلافة العبّاسية، فقد كان  
التنافس شديداً بين عدد من الأسر الفارسية و التركية، على تقاسم أراضي  
الخلافة المترامية الأطراف، مستغلّين في ذلك ضعف الدولة المركزية الذي  
دبّ في أركانها، و أضحى يهدد كيانها و وجودها، بسبب خيانة بعض أفرادها  
و تمرّدهم من جهة،<sup>2</sup> و فساد بعضهم الآخر من جهة أخرى،<sup>3</sup> و تنافسهم  
وتناحرهم على الحكم،<sup>4</sup> ضف إلى ذلك انتشار الفوضى و الفتن الداخلية

---

1 عبد الرحمان ابن خلدون: كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من  
عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر ، ، ضبط و وضع الحواشي خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار ، دار  
الفكر، بيروت 1421هـ - 2001م، ، مج 3، ص 247.

2 ابن جرير الطبري: تاريخ الأمم و الملوك، مراجعة و تقديم و إعداد الفهارس: نواف الجراح، ط1، دار  
صادر، بيروت 1424هـ - 2003م، مج 6، ص 2192-2194.

3 أحمد بن محمد مسكويه: تجارب الأمم، عني بنسخه و تصحيحه: ه.ف. آمدروز بمطبعته بشركة  
التمدّن الصناعية بمصر المحمية سنة 1332هـ - 1914م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، 120.

4 أبو الفدا الحافظ بن كثير البداية و النهاية، مكتبة المعارف، بيروت 1408هـ - 1988م، ج11، 169  
و ما بعدها.

و استقحالهما في ربوع الدولة، و من أشدّ هذه الفتن ضراوةً فتنة القرامطة<sup>1</sup> سنة 319هـ و استيلائهم على الحجر الأسود بمكة التي قد عاثوا فيها فساداً، و سفكوا دماء حجّاج بيت الله الحرام يوم التروية من موسم الحج.<sup>2</sup>

و لقد نجم عن هذا الوضع المتدهور استيلاء البويهيين على عاصمة الخلافة العباسية "بغداد" و خلع المستكفي بالله،<sup>3</sup> و تنصيبهم للمطيع بالله بن المقتدر بالله خلفاً له، و لكن كان تنصيبه هذا شكلياً فقط، أمّا شؤون الحكم كانت بأيديهم.<sup>4</sup>

و في مقابل ذلك، عرف الجناح الغربي من العالم الإسلامي نوعاً من عدم الاستقرار، فقد شهدت مصر آخر أيام الطولونيين اضطرابات وفتن ساعد على نشرها مقدم الفاطميين الزاحفين من المغرب الإسلامي الذي كان

---

<sup>1</sup> القرامطة هي إحدى الفرق التي ظهرت في سواد الكوفة تنسب إلى رجل جاء من ناحية خوزستان يدعى "كرميته" و هو بالنبطية أحمر العينين لحمرة كانت في عينيه، ثم خففت هذه الكلمة فصارت قرمط، نزل بسواد الكوفة و أقام بموضع فيها يسمى النهرين و كان يدعي الزهد و التقشف و كثرة الصلاة و الصيام، و كان يعظ و يذكر الناس بالآخرة، و يدعوهم إلى إمامة أهل بيت الرسول، و كان يقول لهم بأن الله افترض عليكم خمسين صلاة و أظهر لهم ديناً جديداً، و كان يرى السيف في أمة محمد، فأجابوه لذلك، فذاع صيته بين الناس، حتى شغلهم عن أعمالهم، فغضب أحد الملاك فحبسه في داره، إلا أن بعض الجوّاري رق له قلبها فتحت له الباب و تركته يهرب، و لما جاء الذي حبسه لم يجده، فأثيرت حول تلك الحادثة إشاعة بأنّه اختفى و نسج حوله قصصاً من الخيال حول اختفائه حتى خاف صاحب الدار من نفسه، فمن هناك بدأ انتشار حركته (أنظر: بن جرير الطبري: المصدر السابق، مج 6، ص 2144، 2145).

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، مج 3 ص 472.

<sup>3</sup> المستكفي بالله هو عبد الله أبو القاسم بن المكتفي ببيع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المتقي لله، و في أيامه قدم معز الدولة بن بويه بغداد فخلع عليه الخليفة و فوض إليه الأمور و ضرب السكة باسمه و أمر أن يُخطب له في المنابر، (أنظر أحمد بن يوسف القرماني: المصدر السابق، ص 150).

<sup>4</sup> الحافظ ابن كثير: المرجع السابق، ص 212.



بمثابة خزانٍ بشري لهم، لينتهي الأمر باستيلائهم على مصر. و بعد أن استقر الأمر للمعز لدين الله الفاطمي سنة 362هـ ابتنى القاهرة عاصمة مصر الجديدة،<sup>1</sup> ليبدأ عهد جديد للخلافة الفاطمية. ثم امتد سلطانه إلى الشام بعد أن انتزع دمشق من القرامطة سنة 363 هـ.<sup>2</sup> و لن يلبث أن يصل إلى بغداد نفسها.

و من الناحية الاجتماعية، فقد تضررت شريحة معتبرة من المجتمع الإسلامي جراء هذه الانقسامات و النزاعات السياسية والعسكرية التي عادةً ما تَخلف أوبئةً و أمراضاً و ضحايا،<sup>3</sup> و مشاكل اجتماعية أخرى كال فقر و الجوع و غلاء الأسعار.<sup>4</sup>

بينما كانت شريحة أخرى من المجتمع الإسلامي و خاصةً القرية منها إلى قصور الملوك و الأمراء، تعيش حياة الترف و البذخ، حتّى أن الوزير الخاقاني<sup>5</sup> عزل من منصبه من طرف المقتدر بالله بسبب مبالغته في زيادة النفقة على الجند و الحاشية على حساب الرعية، فقام باستبداله بعلي بن عيسى، حيث قام هذا الأخير بالعديد من الإصلاحات، منها إلغاء العديد من

---

1 لحافظ ابن كثير: المرجع السابق، ص276.

2 نفسه: ص277.

3 ابن جرير الطبري: المصدر السابق، مج 6، ص ص2192-2194.

4 الحافظ بن كثير: المرجع السابق ، ص213.

<sup>5</sup> الوزير الكبير أبو القاسم عبد الله، ابن الوزير أبي علي محمد بن الوزير ابن الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الخاقاني، كان ذا فصاحة و بلاغة و أدب و حسن كتابة و جود و فضل و كرم، ولي الوزارة من طرف المقتدر في ربيع الأول سنة 312 هـ (888م) بإشارة من مؤنس الخادم، و كان سائساً مُمارساً خبيراً بالأمور، ثم قُبِضَ بعد ثمانية عشر شهراً و رُسِمَ عليه، ثم أصبح طريح الفراش مريضاً حتّى مات سنة 314هـ (890م)، أنظر (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق و تخرّيج الأحاديث: شعيب الأرناؤوط، ط10، مؤسسة الرسالة، بيروت1414هـ—1994م، ج14، ص474).

الرسوم و المكوس التي أثقلت كاهل الرعيّة، و قلّ من نفقات القصر ممّا ساهم في إنعاش الحياة الاجتماعية و الاقتصادية<sup>1</sup>. و هذا ممّا يشير إلى عودة حسن تسيير شؤون البلاد و العباد، و هذا أدّى بالطبع إلى تحسن المستوى المعيشي لأفراد المجتمع الإسلامي و بالتالي إعادة إنعاش التجارة الإسلامية.

و لمّا احتلّ البويهيون العراق أعادوا فرض تلك المكوس و الضرائب على التجار لتسديد نفقات الجند، ممّا أثر سلباً على الحياة الاجتماعية، فغلت الأسعار و انتشر الفقر و الجوع بين عدد من أفراد المجتمع<sup>2</sup>.

و في ظل هذه الأحداث السياسية و الاجتماعية، فبالرغم من انكماش النشاط التجاري إلى الأسواق و دور الصرف، و ما لقيته من مصاعب في الداخل و الخارج، بقيت الحركة التجارية نشيطةً و خاصّةً التجارة الخارجية، نظراً لكثرة متطلّبات قصور الملوك و الأمراء و الأثرياء المتمثلة في مواد الزينة و الترف و الكماليات، و التي تدرّ على جالبيها و المتاجرين بها ربحاً و فيراً، و تحقّق لهم ثروةً خيالية لطالما حلموا بها. و لذلك، فقد جنى التجار و خاصّةً المسلمون من خلال رحلاتهم التجارية المتكررة و المتواصلة إلى الهند و الصين و جلبهم لتلك المواد الثمينة ثروة هائلة، ممّا جعلهم يفتكّون مكانةً مرموقةً و محترمةً في المجتمع، و أصبحوا يحظون بالاحترام و التقدير، و المهابة أحياناً لدى الدولة، بل و أصبحت كلمتهم مسموعةً و نافذةً فيها، حتّى أصبح التاجر الغني كما يرى البعض ممثلاً للحضارة<sup>3</sup>.

---

1 محمد مسكويه: المصدر السابق، ص 29-30

2 الحافظ ابن كثير: المصدر السابق، ج 11، ص 213

3 آدم متز: المرجع السابق، ص 784.

و كانت التجارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ( العاشر الميلادي ) رائدةً و سيّدةً، نظراً لتحكّمها في البضائع الثمينة التي كان يحملها المسلمون في سفنهم من الهند و الصين، ممّا جعل تجارة المسلمين تحتلّ الصدارة في التجارة العالمية، بحيث كانت الإسكندرية و بغداد هما اللتان تقرّران الأسعار للعالم في ذلك العصر في البضائع الكمالية<sup>1</sup>.

كما كان للتجارة الإسلامية الدور الكبير في إنعاش الحركة الاقتصادية في العالم الإسلامي. فبالرغم من التغيّر السياسي الذي طرأ على المجتمع الإسلامي و ما صاحبه من أزمات في شتّى المجالات، إلّا أنه حمل في طيّاته أيضاً أسباباً أفضت إلى تطور حضاري و رقي اجتماعي ملموس أدّى إلى نقلة المجتمع من حالة إلى حالة أخرى جديدة، تطلّبت حياتها اليومية كثيراً من السلع التي باتت ضروريةً لهذا اللون من الحياة.<sup>2</sup>

و من المؤكد طبعاً، أن النشاط التجاري بأسواق المدن، له صلة أيضاً بهذا التطور المادي، حيث أدّى إلى تحسّن وضعية جزء معتبر من أفراد المجتمع بصفة تدريجية، وذلك بحصولهم على موارد مالية جيّدة، فانعكس ذلك على النشاط الاقتصادي في عدد من المدن الإسلامية، لاندفاع الناس في اقتناء الأشياء للزينة و المباهاة، هذا فضلاً عن التطوّر الحضاري الذي طرأ على حياة المجتمع في المدن الذي يمكن ربطه بالحياة الاقتصادية و العلمية و الفنية، ليس إلّا نتيجةً طبيعية لما طرأ عليهم من تغيّر اقتصادي.<sup>3</sup> إلّا أنّ توسع المدن الإسلامية كمدن العراق مثلاً و تعدد دور الضرب فيها

---

1 آدم متز: المرجع السابق، ص785.

2 حمدان عبد المجيد الكبيسي: الحياة الاقتصادية و تطوّرها في المدن في عهد الازدهار الإسلامي، دار الحرية

للطباعة، بغداد1988، ج2، ص169.

3عبد المجيد الكبيسي: المرجع السابق، ص168.

و مهارة الذميين في التبادل النقدي و ظهور نظام المصارف، كل ذلك أدى إلى تنشيط الحركة التجارية في المدن.<sup>1</sup>

كما أن تطور المدن و ازدياد عدد السكان فيها بسبب النمو الاقتصادي و ازدهار الفلاحة و ما صاحب ذلك من تطور علمي و فكري انعكس إيجاباً على المنظومة الصحية، فقلّ عدد الوفيات ممّا أدى حتماً إلى زيادة عدد السكان، و يفسّر ذلك أنّ مساكن مصر على سبيل المثال في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) و ما بعده لم يعد يُكتفى بإنشائها بل تحولت من مجال الإنشاء إلى البناء على طبقات، حتى وصل عدد طوابق هذه البنايات إلى أربع أو خمس طوابق، و هو ما يفسر طبعاً ازدياد النمو السكاني الذي فرض بناءً متراكباً.<sup>2</sup>

لذلك، نستطيع أن نقول بأنّه لا مناص من القول بأن تحسن الوضع المعيشي في المجتمعات الإسلامية و زيادة السكان و توسع المدن الإسلامية يعد من العوامل الرئيسية في ازدهار و تطور التجارة الإسلامية، فظهرت ثلة هائلة من التجار المغامرين من المسلمين الذين وجدوا في مجتمعاتهم الراقية مصدراً للثراء، فخاضوا الأسفار و ركبوا البحار و واجهوا الأخطار من أجل تلبية طلبات المجتمعات الإسلامية.

و لاشك أن التجار المسلمين لم يحملوا معهم أشياء مادية فحسب، بل و اصطحبوا معهم أشياء أخرى لا تقدّر بثمن، و هي ما دونّوه في رحلاتهم التجارية، و عن البلدان التي زاروها أو تعاملوا معها، من معلومات

---

1 عبد المجيد الكبيسي: المرجع السابق، ص 168.

2 فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية، الهيئة العلمية للتأليف و النشر، القاهرة 1970، مج 1،

ص ص 445، 447.

دقيقة، تشمل كل ما رأوه و لاقوه فيها، حيث حازت بلاد الهند و الصين القسط الكبير من هذه المعلومات القيّمة، و لقد صادف ذلك تطور علم الجغرافيا عند المسلمين و انتشار معارفها بينهم، و شغفهم في حب الرحلة و المغامرة و اكتشاف المجهول و ما نجم عن ذلك من عملية مسح كبيرة لجلّ الأراضي و البحار، و التي ساهمت في معرفة الطرق و المسالك عبر البلدان و الممالك، ممّا سهّل من مهمّة التجار المسلمين و أعطى لهم نفساً جديداً لرحلاتهم الشاقة و الطويلة.

و لقد عرف القرن الرابع الهجري ( العاشر الميلادي) مجموعة من الرحالة و الجغرافيين الذين أجادوا و أبدعوا في ميدان الرحلات و الجغرافيا تأليفاً و تصنيفاً، أشهرهم: البلخي صاحب "المسالك و الممالك"، و ابن رسته صاحب "الأعلاق النفيسة"، و الرحالة المشهور المسعودي مؤلف "مروج الذهب"، و الإصطخري صاحب "مسالك الممالك"، و ابن حوقل مؤلف كتاب "صورة الأرض"، و لقد كانت أبحاثهم و اكتشافاتهم القيمة منهلاً لأجيال أخرى من الرحالة و الجغرافيين الذين جاؤوا من بعدهم و أخذوا مشعلهم ليكملوا أين توقّف هؤلاء، مسيرة البحث و الاكتشاف، و نذكر منهم: "المقدسي" صاحب كتاب "أحسن التقاسيم"، و "المغربي" مؤلف كتاب "الجغرافيا"، و "الإدريسي" صاحب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، و الرحالة المشهور "ابن بطوطة" الذي كتب عن قصّة رحلته الطويلة المعروفة بـ: "رحلة ابن بطوطة"، و غيرهم من الرحالة و الجغرافيين المعروفين و غير المعروفين الذين تركوا بصماتهم جليّة في هذا الميدان.

و من الناحية الثقافية و الفنيّة، فقد شهد القرن الرابع الهجري ثورة ثقافيّة و علميّة و فنيّة، قادها كوكبة من العلماء و الفلاسفة و الشعراء. ففي ميدان العلوم الشرعية، فقد كان هناك عدد هائل من العلماء و الفقهاء

و المحدثين و المفسرين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:<sup>1</sup> المحدث المعروف "الإمام النسائي" صاحب "السنن"، و "أبو العباس أحمد بن سريج" القاضي بشيراز، صنف حوالي أربعمائة (400) مصنف و كان أحد أئمة الشافعية، و يلقب بالأشهب، و المفسر الكبير: "أبو جعفر بن جرير الطبري"، وله مؤلفات و مصنفات في التفسير و التاريخ و الأصول و الفروع، و المحدث "ابن خزيمة"، الذي يعدّ بحراً من بحار العلوم و خاصة في علم الحديث، فكتب الكثير من المصنفات أشهرها: "الصحيح" و هي من أجل الكتب التي ألفها، و كذلك الإمام الحافظ "أبو القاسم الطبراني" صاحب المعاجم الثلاثة: "الكبير و الأوسط و الصغير"، و له أيضاً كتابي: "السنة" و "مسند الشاميين"، وكذا الإمام الحافظ أيضاً "الدارقطني" فريد عصره وإمام دهره في الجرح و التعديل، صاحب كتاب "المشهور" و هو من أحسن المصنفات، و كذا كتاب "العلل"، و كتاب "الأفراد" الذي لا يفهمه إلا الحفاظ و النقّاد، دون أن ننسى الإمام الحافظ "أبو عبد الله الحاكم النيسابوري" صاحب كتاب "المستدرک" و له أيضاً مؤلفات كثيرة في علوم الحديث و التاريخ.

و في ميدان الفلسفة و علم الكلام، فهناك عدد لا بأس به من الفلاسفة و المتكلمين اشتهروا في نفس القرن، أشهرهم:<sup>2</sup> الحسين بن منصور المعروف "بالحلاج"، و كان من غلاة الصوفية، اتهم بالزندقة و الإلحاد فكان ذلك سبب مقتله<sup>3</sup>، و منهم كذلك "أبو القاسم البلخي الكعبي" و هو أحد مشايخ المعتزلة المتكلمين الكبار، و ممّا اشتهر عنه زعمه بأنّ أفعال الله تقع بلا

<sup>1</sup> الحافظ بن كثير: المصدر السابق، ج11، ص 123 و ما بعدها.

<sup>2</sup> نفسه، ص 270 و ما بعدها.

<sup>3</sup> شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق و تخريج الأحاديث: شعيب الأرنؤوط، ط10، مؤسسة الرسالة، بيروت 1414هـ—1994م، ج14، ص313.

اختيار منه ولا مشيئة، و هناك أيضاً الفيلسوف التركي "أبو نصر الفارابي" فكان حاذقاً في الفلسفة و عالماً في الموسيقى وهو صاحب مقولة "المعاد الروحي لا الجسماني" مخالفاً في ذلك النصوص الصريحة من الكتاب و السنة و جمهور العلماء.

و في ميدان الأدب و الشعر فقد لمعت فيه أسماء عديدة<sup>1</sup> من بينها: "السننوري" و "الببغاء الشاعر" و "حظوة الشاعر" البرمكي الأديب ذو الفنون و العلوم و النوارد كما أنه كان جيد الغناء، لكن ثمة شاعر اعتبر من ألمع شعراء العهد العباسي أبو الطيب المتنبي الذي لزم جناب سيف الدولة بن حمدان و امتدحه و كذلك فعل مع الإخشيدي في مصر وعضد الدولة بن بويه، ولذلك عرف "بشاعر المدح".

أخيراً، ففي النثر، ظهر "بديع الزمان الهمذاني" صاحب رائعة المقامات المعروفة "بمقامات الهمذاني".

وهكذا، فقد عرف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) عدة تحولات في شتى المجالات و خاصة في المجال الاقتصادي و التجاري و هو المحور الذي يدور عليه موضوع بحثنا، و الذي سنفتحه بذكر أصناف التجار و الشركات التجارية.

---

<sup>1</sup> لحافظ ابن كثير: المصدر السابق، ج11، ص 119 و ما بعدها.

## **فصل ثاني: تصنيف التجار والشركات التجارية.**

**المبحث الأول: التجار**

**المبحث الثاني: تصنيف الشركات التجارية**



ولأهمية التجارة عند المسلمين باعتبارها أفضل الكسب، فقد أصبحت لها مكانة رفيعة لديهم، وبالتالي أولوها الاهتمام البالغ والعناية الخاصة، وخاصة من قبل الملوك والأمراء المسلمين في مختلف العصور الإسلامية، الذين كانوا يساهمون من قريب أو من بعيد في تنشيط وترقية التجارة في الداخل والخارج، بل كانوا متتبعين باهتمام لجل الأنشطة الاقتصادية والتجارية، فسهرروا على تنظيمها ورعايتها وتذليل صعابها، ولم يكن هذا الاهتمام وليد القرن الرابع الهجري ( العاشر ميلادي) وإنما كان سائدا من قبل، فقد كانت الخلافة الأموية تسهر على تنظيم التجارة ورعايتها وتذليل الصعاب أمامها، فقامت بإنشاء الطرق التي تربط بينها وبين بقية الأمصار لتسهيل التبادل التجاري، فحفرت الآبار أمام الطرقات، وخاصة أمام القوافل التجاري الغادية والرائحة<sup>1</sup>.

كما أولت الدولة العباسية للتجارة نفس الاهتمام، فقدمت خدمات جليلة لها، وعرفت التجارة البحرية في عهدها انتعاشا كبيرا.<sup>2</sup>

غير أنّ الإصلاحات التي أحدثها المعتضد<sup>3</sup> خلال القرن الثالث الهجري (الثامن للميلاد) و التي مست جوانب عدّة في الدولة ، قد أتت بثمارها في المجال الاقتصادي و الاجتماعي مما أدّى إلى إنعاش الحياة

<sup>1</sup> محمد سيف: الحياة الاقتصادية في نجد والحجاز، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص87.

<sup>2</sup> حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ط7، دار الأندلس، بيروت 1964 م، ج2، ص311.

<sup>3</sup> هو المعتضد أحمد بن طلحة الموفق و يكنّى أبا العباس ببيع سنة 279هـ و كانت خلافته تسع سنين و تسعة أشهر له تجربة كبيرة في الإدارة و السياسة ولم يعرف في بني العباس أقدر منه في تسيير أمور الدولة خاصة في أحلك الظروف سوى المنصور (أنظر أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: التنبيه والإشراف، ص 336، 337)

الاقتصادية و الاجتماعية . فبدون شك أنها انعكست بشكل إيجابي على النشاط التجاري. فمن بين هذه الإصلاحات، أنه أصدر تعليمات بإلغاء الضرائب و الرسوم (المكوس) التي تضر بالمجتمع وتخالف تعاليم الإسلام و استطاع بفضل سياسته التقشفية الحكيمة أن يوفر أموالاً كثيرة لبيت المال<sup>1</sup>، و لكن، دون اللجوء إلى إكراه الرعية على دفع تلك المكوس و إثقال كاهلهم بها تعبيراً منه على رفع الظلم عنهم و تكريس مبدأ العدالة الاجتماعية<sup>2</sup>.

أمّا في القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد)، فقد كان لآل سامان،<sup>3</sup> الدور الكبير في حماية الثغور الإسلامية، وقد كان لذلك الأثر البالغ في الحفاظ على التجارة الإسلامية بصفة عامة، وعلى وجه الخصوص التبادل التجاري بين العراق والهند.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم، دراسة و تحقيق عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، راجعه و صححه، نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 1415هـ-1995م، ج 11، ص324.

<sup>2</sup> جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي: تاريخ الخلفاء، ط2، دار الجيل، بيروت 1415هـ-1994م، ص 431.

<sup>3</sup> ينحدر السامانيون من أسرة إيرانية نبيلة، وينتسبون إلى جدهم سامان خودات مؤسس سامان قرب بلخ، ( أنظر مورييس لومبارد: المرجع السابق، ص 69).

<sup>4</sup> آدم متز: المرجع السابق، ص786 وما بعدها.

و كانت ثمرة ذلك إنشاء عدة تجمعات و مراكز للتجار الوافدين في العديد من المدن الإسلامية أهمها: ديبيل، سيراف، عدن، القلزم صحار قسبة عمان،<sup>1</sup>

و كذلك الأمر بالنسبة للصين، فقد كانت أكثر الأمم اهتماما و حرصا على التجارة الخارجية، فقد سهر ملوكها و أمراؤها على العناية بالتجار الغرباء بحيث جعلت لهم أسواقا خاصة بهم، احد الملوك كان يستقبل أولئك التجار و يجلسهم في مجلسه ليسأل عن حالهم و يستمع إلى مشاكلهم.<sup>2</sup> أما الهند ليست أقل شأنًا من الصين من حيث الاهتمام بالتجارة، حيث كان ملوكها أيضا يولونها عناية فائقة، بل إن أحدهم يتعهد أمام التجار الوافدين بحفظ تجارتهم و أموالهم، فقال لهم: «ليس في بلاد لص، أخرجوا فإن حدث بأموالكم حدث فخذوه مني و أنا الضامن لكم».<sup>3</sup> إلا أن الصين تفوق الهند من الناحية التنظيمية و الإدارية و المهارة و الخبرة في ميدان الرقابة الاقتصادية.

ونظرا للتطور الكبير الذي عرفته التجارة العربية الإسلامية خلال هذا القرن والذي كان نتيجة للاجتهادات العميقة التي مست القطاع التجاري والتي كان الغرض منها تسهيل العمليات التجارية وتذليل العقبات أمامها، ولأهمية ذلك، فسوف نتطرق إلى هذا التغيير خلال بحثين هامين:

---

<sup>1</sup> أبو إسحاق الإصطخري: المسالك و الممالك، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة و الإرشاد، الإدارة العامة و الثقافة، دار القلم 1381هـ-1961م، ص26 و ما بعدها.

<sup>2</sup> شرف الزمان المروزي: المصدر السابق، ص11.

<sup>3</sup> أبو علي أحمد بن عمر ابن رسته: الأعلام النفيسة، طبع في مدينة ليدن بمطبع بريل، 1891م، ص 135.

## المبحث الأول: التجار

لقد لعب التجار في هذا القرن دورا رياديا، وخاصة بعد أن ازدادت متطلبات واحتياجات قصور الملوك والأمراء عما كانت عليه من قبل، فانحصر نشاطهم في تلبية رغباتهم الباعثة على الاستطابة و الترفيه<sup>1</sup> و بالتالي فقد أصبحت تلك القصور لا تستطيع الاستغناء عن خدمات أولئك التجار، نظرا لسرعة استجابتهم لجلب ما استصعب جلبه من أقاصي البلدان من الأشياء الثمينة والتحف النادرة التي يتهاافت عليها أصحاب تلك القصور والتي كانت محل مفاخرة وتباه فيما بينهم.

كما كان المجتمع الإسلامي في جل حالاته معني هو أيضاً بكثير من السلع المطلوبة من طرف أولئك التجار، نظرا لتحسن مستواه المعيشي. فكانت السلع الهندية على وجه الخصوص كثيرة الاستهلاك والرواج في جل البلاد الإسلامية وفي أكبر مدنها و أسواقها.<sup>2</sup>

لذلك، فإن التجار في العراق التي كانت قلب الخلافة الإسلامية وقبلية الأغنياء والأثرياء، كانوا يجنون من هذه السلع الغالية أرباحا كبيرة، لأن السفر إلى الهند لم يكن بالأمر الهين، فتكلفته باهظة أيضا.

لقد كان التجار يعانون عناء كبيرا من مشقات السفر منها: طول المسافة، والظروف القاسية الناجمة عن المناخ والطبيعة القاسيين، وصعوبة المسالك، إضافة إلى الأخطار المحدقة بهم، وخاصة اللصوصية والقرصنة،

<sup>1</sup> حسن حلاق: ملامح تاريخ الحضارات، الدار الجامعية، بيروت 1411هـ - 1991م، ص 181.

<sup>2</sup> المبارك فوري: المرجع السابق، ص 22.

ولكن رغم ذلك فقد كان أولئك التجار المسلمون يغامرون بأنفسهم وأموالهم، جريا وراء الربح الوفير السريع، وجمع الثروات.

و لذلك كانت السلع غالية على قدر مشقتها، كما يقول بن خلدون: « وكذلك نقل السلع من البلد بعيد المسافة، أو شدة الخطر في الطرقات يكون أكثر فائدة للتجار وأعظم أرباحا، وأكل بحالة الأسواق، لأن السلعة حين إذ تكون معوزة لبعدها مكانها، وشدة الغرر في طريقها، فيقل حاملها ويعز وجودها، وإذا قلت وعزت غلت أثمانها».<sup>1</sup>

و لقد أدى ذلك إلى تمركز الثروة في أيدي أولئك التجار،<sup>2</sup> فوصلوا بفضل ذلك إلى درجة عظيمة من الغنى، فجعلتهم يحظون بالاحترام الكبير من طرف رجال الدولة بل وبالمهابة أحيانا، ومنهم من كان له نفوذ كبير داخل الدولة، ومن أمثلة ذلك التاجر العراقي بن الجصاص<sup>3</sup> المعروف بتعامله واتجاره في الجواهر والرياش والأحجار الكريمة، فكانت له صلات وطيدة مع القصر العباسي، ولكن كانت له صلات أكثر وثوقا مع الأمير الطولوني "خمرأويه"<sup>4</sup> بمصر، فسمح له ذلك بتهديد بعض الوزراء.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق ( المقدمة )، ص346.

<sup>2</sup> مورييس لومبارد: المرجع السابق، ص 195.

<sup>3</sup> هو الصدر الرئيس ذو الأموال أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن الجصاص البغدادي الجوهرى التاجر الصفار، قال فيه ابن طولون لا يباع لنا شئ إلا على يد بن الجصاص، كانت لديه أموال طائلة و ذهب كثير، عاش أيام خمرأويه بن أحمد بن طولون صاحب مصر و الخليفة العباسي المعتضد، (أنظر: سير أعلام

النبلاء، المصدر السابق، ج 14، ص469).

<sup>4</sup> خمرأويه: هو ابن أحمد بن طولون التركي ، ورث ولاية مصر بعد وفاة أبيه أحمد ، دام حكمه اثنا عشر سنة (أنظر: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج 14، ص469).

<sup>5</sup> الدوري: المرجع السابق، ص 122 وما بعدها.

إلا أن هناك ظاهرة انفرد بها القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد) توجي إلى ضعف الدولة، وفي نفس الوقت ظهور طبقة من الأثرياء النافذين فيها، وتتمثل هذه الظاهرة في كون بعض أولئك التجار الأثرياء يقرضون الدولة قروضا ويأخذون مقابل ذلك فوائد.

و لقد اشتكى الخليفة الراضي سنة 322 هـ/933 م، من أزمات مادية حادة حصلت له، فكان من بين الذين لجأ إليهم الخليفة هو التاجر المعروف "ابن الجصاص".<sup>1</sup>

بل إنه في كثير من الأحيان يشارك أولئك التجار في جباية الخراج، وكانوا يجنون من ذلك منافع هامة لم يكن ليتحصلوا عليها مهما ادخروا.<sup>2</sup>

كما كانت المعاملات المصرفية وقفا على كبار التجار، بغض النظر عن الصيرافة أصحاب هذه المهنة الأصليين.<sup>3</sup>

ولقد كان التجار في هذا العهد أكثر من سابقهم اهتماما بتنظيم أنفسهم وترتيب أمورهم، فنظموا أنفسهم في شكل نقابات التجار، يرأسها نقيب التجار.<sup>4</sup> و لكن مما ينبغي الإشارة إليه، أن التبادل التجاري بين العالم الإسلامي انطلاقا من العراق موطن الخلافة مع الهند، كان في عمومها ذا

<sup>1</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 124.

<sup>2</sup> إدوارد بروي: المرجع السابق، ص 194.

<sup>3</sup> نفسه، ص 194 وما بعدها.

<sup>4</sup> حسن حلاق: المرجع السابق، ص 181.

طابع إسلامي، أي أنه كان يتم وفق أحكام الشريعة السمحة، إلا أنه لا يخلو في بعض الأحيان من التجاوزات كما لاحظنا، مع تساهل أجهزة الدولة المعدة لمراقبة هذه التجاوزات والآفات، وهذا راجع إلى ضعف الدولة، الشيء الذي جعل بعض كبار التجار يستغلون ذلك الضعف لصالحهم، فيرتكبون المخالفات الشرعية<sup>1</sup>دون أن تحرك الدولة ساكنا مقابل قروض يمنحونها لها لتجاوز أزمتهما كما لاحظنا ذلك مع التاجر "بن الجصاص".

## 1. تصنيف التجار حسب أدوارهم:

ينقسم التجار من حيث نشاطهم وتعاملهم التجاري إلى ثلاثة أقسام:

### القسم الأول: الركض:

مشتق من كلمة الركض أي السعي والعدو بالرجلين، وهو التاجر الذي يشرف بنفسه على السفر وبماله على الاتجار مع بلدان متعددة سواء بمفرده أو مع شركائه، ويستلزم عليه دراية كبيرة بأسعار البضائع التي ينوي المتاجرة فيها ومعرفة واسعة بالأقطار التي يريد السفر إليها وإذا لم يكن يعرفها يبحث عن وكلاء تجاريين ليستعين بهم في تعامله التجاري خلال رحلته التجارية داخل تلك البلدان.

---

<sup>1</sup> آدم مترز: المرجع السابق، ص 803.

و عليه كذلك أن يراعي تكاليف النقل والرسوم التي لامناص من دفعها، مع تفهم عميق لوضعية السوق وتقلباتها قبل المبادرة في الخوض فيها.<sup>1</sup>

## القسم الثاني: الخزان:

اسم فاعل لخزن تخزينا، بمعنى الحجز والحجر، فهذا الصنف من التجار يعتمد على أسلوب التخزين والاحتكار للسلع، فهو على دراية تامة لأحوال وتحولات السوق، فيعرف الوقت اللازم والفرصة المناسبة التي ينبغي المبادرة فيها لاستنزاف السوق وذلك لشراء السلع بثمن معلوم ومدرّوس ثم الانتظار مع تكديس تلك البضائع في مخازنهم الكبيرة حتى تتفد من السوق ويكثر الطلب والإلحاح عليها، فيخلو لهم الجو لتسديد ضربتهم، وذلك بفضل الأسعار التي يرونها كفيّلة بمضاعفة أرباحهم أضعافا مضاعفة، وليس من الضروري أن يسافر الخزان بنفسه إلى المناطق التي ينوي القيام بمعاينة أو شراء تلك السلع، بل يمكن أحيانا أن يعتمد على وكلائه أو شركائه في ذلك، المتهم أن يكون على إطلاع مستمر على كل ما يجري في السوق.

وتشير بعض المصادر إلى هذا الصنف من التجار وتورد لنا مثلا حيا على ذلك وهو أن تاجرا من بغداد جاءه خبر خارج بغداد يوصي تجار الزيت فيها بالاحتفاظ بما تبقى لديهم من كميات الزيت لأنها قلت في الأسواق وارتفع ثمنها، فما سمع ذلك الخبر حتى سارع فاستدعى وكلاءه وأمرهم بأن يقتترضوا أموالا كبيرة من الصرافين لكي يشتروا بها الزيت، فاشتروا الزيت بثلاثة آلاف دينار ثم اشتروا مرة أخرى، فارتفع السعر نتيجة هذه العملية، وبعد هذه العملية انتبه التجار بأنها كانت مقصودة، فحاولوا استرجاع ذلك

<sup>1</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 124.



الزيت وذلك بدفع أرباح لهذا التاجر، لكنه رفض، فاستمروا في إغرائه بأرباح أكبر حتى وصلت نسبتها إلى 60 بالمائة، فباع الزيت الذي اشتراه بعشرة آلاف دينار وبعشرين ألف درهم.<sup>1</sup>

ولكن في الحقيقة أن هذه العملية كانت مذمومة سواء عرفا أو شرعا، فهي تدخل في المعاملات التجارية المحرمة التي نهى عنها الإسلام نهيا قاطعا لما فيها من الجشع والطمع والتضييق على الناس فقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: « من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه »،<sup>2</sup> وجاء في حديث آخر: « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون ».<sup>3</sup>

والملاحظ هنا، بأن المحتكر الذي ذمه الإسلام أصبح يعرف باسم آخر غير اسمه الحقيقي، فهذا يعتبر مداراة وتحايل على الشريعة التي كانت مصدر التشريع ومرجع القوانين التي كان يحتكم إليها الناس حكاما ومحكومين، وبالتالي، فقد أصبح بعض التجار في القرن الرابع الهجري ( العاشر للميلاد ) بدؤوا يمارسون بعض الأنشطة المحرمة إما خفية أو مداراة بتواطؤ من بعض الأطراف في السلطة، فهذا إن دل على شيء إنما يدل على ضعف الدولة من هذه الناحية كما أشرت.

<sup>1</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع نفسه، ص 125.

<sup>2</sup> رواه أحمد وأحمد والحاكم وابن أبي شيبة والبخاري، ( أنظر السيد سابق، المرجع السابق، ص 176 ).

<sup>3</sup> رواه ابن ماجه والحاكم عن بن عمر، ( أنظر السيد سابق، المرجع نفسه ).

## القسم الثالث: المجهز:

مشتق من التجهيز، أي أن هذا النوع من التجار يجهز غيره من دون أن يسافر بنفسه، فهو يعتمد على وكلاء تجاريين مأمونين يبعث معهم الأموال اللازمة فيتاجرون بها، ثم تقسم الأرباح بين ذلك التاجر ووكلائه على حسب النسب التي اتفقوا عليها في ذي قبل.<sup>1</sup>

و هذا النوع من التعامل التجاري يسمى في الإسلام المضاربة وهو جائز ولا حرج فيه، والمضاربة مأخوذة من الضرب في الأرض وهو السفر للمتاجرة، مصداقا لقوله تعالى « وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ... الآية »<sup>2</sup>، وأما اصطلاحا فهو عقد بين طرفين على أن يدفع أحدهما المال إلى الآخر ليتاجر به ثم يكون الربح بينهما حسب اتفاقهما عليه في العقد.<sup>3</sup>

## 2- تصنيف التجار حسب عرقياتهم وأديانهم

إن التبادل التجاري بين العالم الإسلامي وخاصة جناحه الشرقي مع العالم الهندي لم يكن في أيدي التجار المسلمين لوحدهم وإنما كان يشاركهم في ذلك تجار آخرون ومن جنسيات وأديان مختلفة، أبرزهم التجار اليهود والنصارى فكانوا جنبا لجنب مع المسلمين في جلب البضائع الثمينة من الهند والصين وإعادة بيعها ومقايضتها في مختلف نقاط العالم ولقد كان ثمة تنافس كبير بين أبناء الديانات الثلاث.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 126.

<sup>2</sup> سورة المزمل، الآية 20.

<sup>3</sup> السيد سابق: المرجع السابق، ص 220 وما بعدها.

<sup>4</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 181.

و لمزيد من المعرفة على نشاط أولئك التجار، نستعرض كل فئة منهم راصدا نشاط كلا منها على حدة مع الإشارة إلى فئة أخرى من التجار لا تقل أهمية وهم الهنود.

## 1. التجار اليهود:

من المعروف أن التجارة اليهودية، نشأت وانتشرت نتيجة تشرّد هم في العالم الناجم عن نفيهم بعد خراب هيكل القدس، ولقد نشأت عن هذا الشتات عدد هائل من الجاليات اليهودية، استقر أغلبها على طرق التجار الكبرى، والتي تعتبر أيضا طرقا دينية تربط بين كافة اليهود في عالم في القارات الثلاث، ولقد كانت ما بين النهرين وفارس والهند بالإضافة إلى مناطق أخرى من العالم الإسلامي مثل الشام وشبه الجزيرة العربية والمغرب العربي مرتعا خصبا لتلك الجاليات اليهودية وخاصة تلك التي تشتغل في التجارة، وقد غدت هذه المناطق مجالا واسعا للتجارة اليهودية في العصر الوسيط،<sup>1</sup> ولقد ساعدتهم الفتوحات الإسلامية على التحرك والانتشار بحرية للاستزاق من هذه المهنة، وبالتالي كان ازدهر التجارة اليهودية مرتبطا ارتباطا وثيقا بازدهار الحضارة الإسلامية.<sup>2</sup>

و كان لبغداد بعد تأسيسها في القرن الثامن الميلادي كعاصمة سياسية واقتصادية للخلافة العباسية، دورا كبيرا في تعاظم اليهود في العراق، وكانت أكبر جالية يهودية تقيم بحي الكرخ وهو مركز بغداد التجاري ( ناحية الجنوب).

<sup>1</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق ، ص 270 وما بعدها.

<sup>2</sup> نفسه، ص 273.

و من خلال بغداد كانت تنطلق أهم النشاطات اليهودية سواء الدينية أو التجارية، وكلن الاتصال مستمرا بينها وبين المناطق المذكورة آنفا وحتى ما وراء التخوم الإسلامية.<sup>1</sup>

انطلاقاً من ذلك، قامت النشاطات التجارية اليهودية محاطة برعاية السلطة الإسلامية، وكانت الجالية اليهودية تسخر لمصالحها التجارية في مختلف الأنحاء أدلاء سفر وصناديق خاصة للإغاثة، وعملاء للإيواء سفّارهم، وحكم للفصل في قضايا التجارة، ومشرف على العقود في الأسواق ومعقب لافْتداء الأسرى، وكل ما يتعلق بأمور التجارة اليهودية.<sup>2</sup>

و كانت التجارة البعيدة وخاصة مع الهند والصين من اختصاص اليهود الذين يأتون من مقاطعة بروفانس بفرنسا،<sup>3</sup> والذين يدعون باليهود الراذانيين<sup>4</sup> ويذكر لنا ابن خرداذبة أسفارهم التي كانت في البر والبحر، مبينا لنا المسلك الذي يتخذونه في تجارتهم اتجاه الأقطار النائية ابتداء من الفرنجة (فرنسا) راكبين البحر (البحر المتوسط) اتجاه المغرب حيث يجلبون منها الخدم و الجواري و جلود الخز و الفراء و السمور و السيوف، ثم يركبون

---

<sup>1</sup> مورييس لومبارد، المرجع السابق، ص274.

<sup>2</sup> نفسه، ص276.

<sup>3</sup> عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي، ط 2، دار الفكر العربي ، القاهرة 1996 م ، ص 230.

<sup>4</sup> وكلمة الراذانية مشتقة من اسم لنهر بفرنسا وهو رادانو أي الرون، ( أنظر لومبارد: المرجع السابق، ص 276).

البحر ثانية قاصدين "الفرما"<sup>1</sup> ثم يحملون تجارتهم برًا على ظهور الدواب اتجاه القلزم (السويس) التي تبعد عن "الفرما" خمسًا و عشرين فرسخًا، ثم يعاودون ركوب البحر (البحر الأحمر) مارين بالجار فجدة حتى ينتهون بالسند والهند، ثم يذكر البضائع التي يجلبونها منها كالمسك والكافور والعود وغيرها من مواد الزينة والترف، ثم يعودون أدراجهم من نفس الطريق إلى أن يصلوا إلى الفرما، ثم يركبون البحر الغربي (البحر المتوسط)، فربما عدلوا بتجارتهم إلى القسطنطينية أو عادوا من حيث جاؤوا إلى الفرنجة (فرنسا).<sup>2</sup>

فبين القرنين التاسع و الحادي عاشر للميلاد ازدادت نسبة نمو نشاطهم التجاري حتى أصبح في أوج قوته و خاصة في أوروبا الغربية الكاثوليكية، وبدأت سيطرتهم واضحة فيها، بحيث لا تكاد تخلو مدينة أو قرية مهما كانت نائية أو معزولة من التجار أو السماسرة اليهود، فقد كانوا بالنسبة للمجتمعات الأوروبية المنغلقة على نفسها بمثابة النافذة التي يطلون من خلالها على العالم الخارجي أو حلقة وصل بينها و بين الأمم الأخرى، فاستغلوا هذه النقطة فكانت فرصة سانحة لهم لاحتكار تجارتها الخارجية.

و بالتالي، فقد اعتبر القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) نقطة تحول هامة بالنسبة للتجار اليهود، بحيث سَجَّلَ لهم مؤشرٌ هامٌ في مجال تجارة المسافات البعيدة، فتمتعوا بفرص التسامح الديني الذي وفره لهم

---

<sup>1</sup> الفرما (EL FARMA) مدينة مصرية تقع في أقصى شمال شرق دلتا النيل على مقربة من بحيرة تنيس. بمصر، (أنظر: موسوعة ألف 1000 مدينة إسلامية، من تأليف عبد الحكيم العفيفي، ط2، مكتبة الدار العربية للكتاب، مدينة نصر القاهرة 1421هـ - 2000م، ص 360).

<sup>2</sup> أبو القاسم بن عبد الله ابن خرداذبة: المسالك والممالك، تقديم وفهرست: الدكتور محزوم، ط2 دار إحياء التراث العربي، ص 131.

المسلمون ليكون لهم دعمًا معنويًا و سند سياسيًا لتركيز جهودهم و أموالهم في المجال التجاري.<sup>1</sup> حيث أنّهم في فترة من الفترات كان يقيم في بغداد وحدها نحو أربعين ألف يهودي، و هم يعيشون بأمان و عز و رفاهية في ظل الخلافة الإسلامية.<sup>2</sup>

و يروى عن أحد التجار اليهود يدعى إسحاق خرج من عمان قاصدًا بلاد الهند مع نهاية القرن الثالث (التاسع للميلاد) و معه نحو مائتي دينار، لم يكن يملك سواها، و غاب عن البلد نحو ثلاثين سنة لا يُعرَفُ له خبر، وبعد هذه المدة الطويلة قرّر العودة إلى عمان سنة ثلاثمائة للهجرة آتياً من الصين في مركب خاص له وأنه باع لأحد التجار دفعة واحدة مائة ألف مثقال من المسك الفائق، و قدر قيمة مبيعاته بأربعين ألف دينار دفعةً أخرى ، و باع على رجل آخر بعشرين ألف دينار دفعةً أخرى.<sup>3</sup>

و هكذا فقد كان الجزء الكبير من المبادلات التجارية في أيديهم و بيوتاتهم التجارية وكانوا وراء كل تجارة مربحة تدر عليهم أرباحاً كبيرة، كتجارة الحرير والتوابل والذهب والمجوهرات.

---

<sup>1</sup> روبرت لوبيز: ثورة العصور الوسطى التجارية 950-1350م، ترجمة: محمود أحمد أبو صورة، مراجعة

صلاح الدين حسن السوري منشورات شركة ELGA ، فاليتا-مالطا1997، ص82.

<sup>2</sup> بنيامين الراي بنيامين بن بونه التطيلي النباري الأندلسي : رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة عزرا حدّ، دراسة و تقديم: عبد الرحمان عبد الله الشيخ، المجمع الثقافي، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة 1423 هـ- 2002م، ص 299.

<sup>3</sup> بزرك بن شهريار المصدر السابق، ص107، 108.

و لكن التجارة التي كان اليهود يشتهرون بها كثيرا وخاصة في فارس والعراق وهي تجارة النقود والمعاملات المصرفية،<sup>1</sup> وكان أكابر التجار والمصرفيين اليهود يقيمون في أصفهان.<sup>2</sup>

و في بغداد كان المصرفيون اليهود يقرضون اقرب الناس إلى الخليفة العباسي، وكان من بين أولئك: "يوسف بن فنجاس" و"هارون بن عمران" اللذان أقرضا أحد الوزراء عشرة آلاف دينار في أوائل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).<sup>3</sup>

و في الأخير أقول أن تلك المواقع التجارية التي اكتسبها اليهود سواء قبل الفتح أو بعده، سمحت لهم بأن يحتلوا الصدارة في المعاملات التجارية ذات المردود الكبير والربح السريع، مما جعلهم في كثير من الأحيان من المهيمنين الرئيسيين عليها بكل جدارة.

## 2. التجار النصارى:

كان التجار النصارى وخاصة الروميون إلى جانب التجار اليهود و المسلمين من أنشط التجار في العالم العربي والإسلامي، وخاصة في منطقة العراق وما جاورها،<sup>4</sup> كما كانوا يتقاسمون مع اليهود احتكار التجارة

---

<sup>1</sup> آدم متز: المرجع السابق، ص 796.

<sup>2</sup> جاك رسلر: الحضارة العربية، ترجمة الدكتور خليل، ط2، منشورات عويدات، بيروت، ص139.

<sup>3</sup> آدم متز: المرجع السابق، ص 796.

<sup>4</sup> نفسه، ص 797.

وخاصة في اللآلئ في البحر الحمر، ولقد سمحت لهم هذه التجارة بأن يجمعوا ثروة هائلة.<sup>1</sup>

من جانب آخر، فقد ظل السوريون النصارى في العصور الإسلامية سادة بين الشرق والغرب، ولكن تم استبعادهم تدريجيا من المجال البحري نتيجة منافسة اليهود لهم، وخاصة في المحيط الهندي والبحر الأحمر والمتوسط، غير أنهم ظلوا محتفظين بشيء من نشاطهم التجاري فيما بين القارات عن طريق البر وخاصة في بلاد ما بين النهرين الفرس وآسيا الوسطى وأرمينيا والشام ومصر، وكانت تجارتهم تعتمد أساسا على الجاليات اليعقوبية و النسطورية، وكانت تجارتهم أيضا مقرونة بالمجامع التي تتعقد في بغداد، كما كانت تلعب دور مستودعات للمال، في حين كانت كملاجئ للنزلاء من سفارهم، ومحلات للمشروبات والخمر، وأخيرا كمراكز لخصي العبيد، أي بمعنى أنها كانت متعددة الأدوار والخدمات.

و بالتالي كانت المراكز النصرانية عبارة عن نقاط أو محطات تجارية مهمة للتجار النصارى، وكانت عادة ما ترتبط رحلاتهم التجارية بالزيارات الدينية وبرحلات الحج إلى أماكنهم المقدسة، فكان لهم الفصل في استمرار نشاطهم التجاري.<sup>2</sup>

أما بالنسبة للتجار الأرمن، بالرغم ما ذهب إليه البعض بأنهم لم يكن لهم شأن يذكر،<sup>3</sup> إلا أنه في الحقيقة، كان لهم دور فعال في التبادل

<sup>1</sup> جاك رسلر: المرجع السابق، ص 139.

<sup>2</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 279 وما بعدها.

<sup>3</sup> آدم متز: المرجع السابق، ص 997.



التجاري بين العالم الإسلامي و الإمبراطورية البيزنطية، وقد كانوا خلال الحروب الصليبية هم أصحاب الهيمنة على التجارة وخاصة في المناطق المحاذية لأرمينية، وقد كانوا موزعين في شكل جاليات في مناطق عدة، وخاصة في العراق وآسيا الصغرى والقسطنطينية وكانوا يتقلدون عدة أدوار كجنود وتجار ومهندسين<sup>1</sup>

و هكذا بقيت التجارة النصرانية وخاصة البيزنطية تحظى بالاهتمام باعتبار تجارهم من اللذين لا يستهان بهم في منافسة التجار اليهود والمسلمين في نشاطهم التجاري.<sup>2</sup>

### 3. التجار المسلمون:

باعتبار التجارة بأنها أفضل الكسب عندهم، عمد العديد من أصحاب الأموال من المسلمين خاصة منهم كبار الملاك إلى في التنافس الشريف فيها، و ذلك، باستثمار قسط كبير من أموالهم في مشاريع تجارية، بل و يشراكهم في ذاك فئات أخرى من المجتمع كصغار التجار و رجال الجيش و العمال و رجال الأدب، إلا أنّ هذه المضاربات سرعان ما تعود على أصحابها و القائمين عليها بالربح الوفير، ممّا حفّز الطبقة الوسطى على الإقبال عليها، و فوق ذلك كلّه الدعم المعنوي الدولة الذي تقدّمه الدولة لهم.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 287.

<sup>2</sup> إدوارد بروي: المرجع السابق، ج 3، ص 190.

<sup>3</sup> نفسه، ج 3، ص 194.

لكن ثمة أمر هام ساهم بشكل أساسي في دفع التجار المسلمين إلى الأمام كما سبقنا و قد أشرنا إليه، هو الدور الذي لعبوه في إنجاح تجارتهم بفضل تلك التعاليم الربانية المتجذرة في قلوبهم و تصرفاتهم، و بفضل معاملاتهم الحسنة و المخلصة مع الناس، أصبحوا في ظرف قصير هم رواد التجارة في العالم.

و قد نجم عن هذا التقدم التجاري الذي أحرزه المسلمون ازدهار الجاليات الإسلامية عبر العديد من المناطق في العالم التي لم تكن تحت النفوذ الإسلامي، مثل السند والهند والصين، فكان يرأسهم مسلم ولا يقبلون غيره،<sup>1</sup> و كانوا يتولون و يقيمون الشهادة فيما بينهم، ولا يسمحون لأحد من غير المسلمين التدخل في شؤونهم<sup>2</sup> وهذا كله امتثالا لتعاليم الإسلام المنبثقة من القرآن والسنة المطهرة واللذان هما مصدران من مصادر التشريع الإسلامي، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم تأكيدا لما قام به أولئك التجار المسلمون: « إذا خرج ثلاثة في سفر — أي المسلمون طبعاً — فليؤمروا أحدهم»<sup>3</sup>، هذا بالنسبة للإمارة أثناء السفر وخاصة إذا كان لغرض هام كالتجارة.

<sup>1</sup> أبو القاسم ابن حوقل: صورة الأرض، ط2، منشورات دار الحياة، بيروت (بدون تاريخ)، ص 277.

<sup>2</sup> آدم متز: المرجع السابق، ص 288.

<sup>3</sup> حديث صحيح رواه أبو داود، ( أنظر أبو سعيد: أحكام السفر وآدابه، دار الإمام مالك، 1415هـ — 1995 م، الجزائر، ص31).

أما بالنسبة لعدم ترك المجال لغير المسلمين لمشاركتهم في أمورهم أثناء رحلتهم، فهذا مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: « لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي».<sup>1</sup>

و هذه هي من الآداب التي ينبغي على المسافرين المسلمين الالتزام بها خلال سفرهم.

و كان التجار المسلمون وعلى وجه الخصوص العراقيون هم المهيمنون على التجارة بين العراق والهند بغض النظر عن الأقطار الأخرى الإسلامية وغير الإسلامية، ولقد كانت هذه التجارة كما أسلفنا هي مصدر الثراء والغنى لدى أولئك التجار ولذلك فإن المعرفة بأثمان البضائع وقيمة النقود كانت في أيديهم نظراً لمهارتهم الفائقة وتجاربهم الكبيرة الناجمة عن كثرة أسفارهم ومغامراتهم التجارية وامتزاجها بخبرتهم الواسعة بأحوال الناس بمختلف أجناسهم وأعراقهم و ألوانهم و ألسنتهم.<sup>2</sup>

فقد روي أنّ رجلاً خرج من عمان متجهاً نحو الصين و لا شيء معه و عاد ومعه مركب به مسك بألف ألف دينار، و ثياب و حرير صيني بمثلها، و جواهر وأحجار طريفة بمثلها.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> حديث حسن رواه أبو داود ( أنظر المرجع نفسه ).

<sup>2</sup> آدم متز: المرجع السابق، ص 785.

<sup>3</sup> بزرك بن شهریار: المصدر السابق، ص 108.

و نتيجة لذلك، و بعد أن جمعوا ثروات كبيرة عمدوا إلى تشغيل أموالهم في مشاريع عديدة وفي صفقات ومضاربات مختلفة، كثيرا ما تعود عليهم بأرباح مضاعفة.<sup>1</sup>

و لكن بالرغم من ذلك، ففي الحقيقة أن نشاط أولئك التجار كان أغلبه في قمة النهضة، فبغض النظر عن مساهماتهم الفعالة في تحريك دواليب: الاقتصاد الإسلامي والتخفيف من أزماته، عملوا على إنشاء الصناعات وتأمين فرص العمل ومنح قروض مالية تعود بالنفع على المجتمع والدولة معا، فهم كذلك سادة التجار وأرقاهم وعيا وأكثرهم انضباطا، ويلتمس ذلك من خلال دفاتر حساباتهم ومراسلاتهم، وبطاقات قروضهم وسجلات خاصة بالموظفين، مما يدل على التكوين الثقافي العالي لديهم.<sup>2</sup>

و قد كانوا أيضا يبدون اهتماما بالثقافة الدينية والأدبية، بحيث لعبوا أدوارا هامة في حماية العلوم والآداب والفنون، إلى جانب تسخير أنفسهم وأموالهم في تشييد وتجميل دور العبادة سواء كانت مساجد أو غيرها، وكذا بناء المدارس والمؤسسات الخيرية كما كانوا يؤمنون المأوى والغذاء للطلاب.

أما بالنسبة لحياتهم الخاصة، فقد كانوا في رغد من العيش في قصورهم بالمدن في وسط حشد من عبيدهم وخدامهم، تزين جدران غرفهم الكتب ومذكرات سفرهم ومغامراتهم تتخللها تحف ثمينة نادرة، مما يدل على مستواهم الاجتماعي والثقافي الراقى.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> إدورد بروي: المرجع السابق، ص 194.

<sup>2</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 197..

<sup>3</sup> نفسه، ص 198 وما بعدها.

#### 4. التجار الهنود:

لقد بلغ التجار الهنود مبلغا عظيما وقدرافريعا في التجارة، فعرفوا كيف يروجون لسلعهم وبضائعهم الثمينة عند بيعها وتصديرها، كما عرفوا احتياجات بلادهم الضرورية والمواطن التي تجلب منها، والطرق والمسالك التي ينبغي سلوكها من أجل استيراد ما ينبغي استيراده من السلع ومعرفة أثمانها وأسعارها ونوعيتها.

و بفضل ذلك وصلوا إلى درجة عالية من الغنى هم أيضا، حتى أن بعضهم كان يملك أربعين سفينة، منها بخمسة وعشرين ألف قطعة ذهبية، وكانوا يسكنون في بيوت فخمة ويمتلكون العبيد والغلمان الذين كانوا يسكنون في بيوت منعزلة مجاورة لبيوت أسيادهم.<sup>1</sup>

كما كان يعرف في الفترة التي عاش فيها ابن بطوطة تجار هنود يسمون بالصولين لهم أموال عريضة يشتري أحدهم المركب بما فيه و يقوده من داره و معبأ بالسلع.<sup>2</sup>

و كان للتجار الهنود أيضا اتحادات كان الهدف من إنشائها حماية مكاسبهم التجارية، والدفاع عن حقوقهم وكرامتهم، نتيجة لذلك كانت الدولة في الهند تراعي أحوالهم وتسمع إلى انشغالاتهم واقتراحاتهم و نداءاتهم وتسهر على حل مشاكلهم ومعاناتهم، وتشجيع نشاطاتهم ومعاملاتهم وصفقاتهم

<sup>1</sup> عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص 236.

<sup>2</sup> محمد ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 440.

التجارية الخارجية، الشيء الذي يعود عليهم وعلى الدولة والمجتمع معا بالنفع.<sup>1</sup>

إلا أنهم كانوا يصدرون أقل مما يستوردون، لأن بلادهم كانت مكتفية ذاتيا بإنتاجها الغني والمتنوع، ولكنهم لم يكونوا في المستوى الذي كان عليه بقية التجار وخاصة منهم المسلمون واليهود، الذين كانوا يتميزون عنهم بروح المغامرة وقوة العزيمة وسلاسة الانضباط. فقد كان العديد من التجار الهنود يخرجون في من بعض الجزر الهندية في قوارب لهم يحملون معهم العنبر و النارجيل فيقايضون بهما مقابل الحرير و بعض الثياب.<sup>2</sup>

هذا ما يمكن قوله عن أولئك التجار بمختلف ألوانهم و ألسنتهم ودياناتهم الذين كانوا بمثابة دعائم اقتصادية للعالم وعلى وجه الخصوص العالم الإسلامي الذي استفاد كثيرا من خدماتهم الجليلة ومساعدتهم الخيرية الحميدة التي عادت بالخير العميم على المجتمعات الإسلامية وفي مقدمتها المجتمع العراقي.

## 5. التجار الصينيون:

كان للتجار الصينيين دورٌ لا يستهان به في التبادل التجاري، فاستطاعوا أن يحصلوا على مكانة محترمة بين كبار التجار في المجال الشرقي للتجارة الدولية، وخاصة في المحيط الهندي، و لقد ساعدتهم على ذلك تشجيع حكوماتهم المتعاقبة للتجارة، و التي عملت على توفير الحماية

<sup>1</sup> محمد ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص 237.

<sup>2</sup> أبو الحسن المسعودي: المصدر السابق، ص 153

اللازمة لها و لأصحابها من جهة،<sup>1</sup> و من جهة أخرى، امتلاكهم لأسطول بحري قوي و متطور، و خاصةً في عهد أسرة "سونغ"، فقد كانت سفنهم و قواربهم تجوب المحيط الهندي و الخليج العربي و موانئ البحر الأحمر و ساحل إفريقيا الشرقي.<sup>2</sup>

حتى أن هناك من أولئك التجار من كان يملك المراكب الكثيرة يبعث بها وكلاءه إلى البلاد، لذلك فقد كانوا من أكثر الناس أموالاً في العالم.<sup>3</sup>

غير أنه، كان العديد من التجار و خاصةً جنوبي الصين يبحثون عن فرص أخرى للثراء خارج بلادهم فراراً من أعوان الرقابة عن طريق ركوب المخاطر من خلال قيامهم بالرحلات البرية أو البحرية تحذوهم في ذلك روح المغامرة.<sup>4</sup> فبالرغم الإلتقان الفني و النوعية الرفيعة التي كانت تتميز به منتجات بلادهم، إلا أنهم كانوا يرغبون في شراء الأقمشة الفخمة من العالم الإسلامي.<sup>5</sup>

هذا، و قد كان التجار الصينيون يحرصون كل الحرص على جلب هذا النوع من البضائع مهما كان ثمنها، الشيء الذي جعل أيضاً بعض التجار الصينيين من كانتون يدفعون مبالغ باهظة مقابل الحصول على بعض الأخشاب الثمينة ، في القرن الثامن الميلادي.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> رالف لنتون: المرجع السابق، ص364.

<sup>2</sup> ذانج هو: المرجع السابق، ص 27.

<sup>3</sup> محمد بن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص438.

<sup>4</sup> Denys Lombard: op.cit, pp67.

<sup>5</sup> مورييس لومبارد: المرجع السابق، ص288.

<sup>6</sup> تيم سقرن: المرجع السابق، ص295.

حتى أن أولئك التجار الصينيون الذين كانوا يترددون كثيرًا على البلاد الإسلامية و الذين كان لهم الدور الفعال في إرساء و توطيد العلاقات الاقتصادية و الدبلوماسية بين البلاد الإسلامية و الصين، قد أسهموا أيضًا في تنشيط التبادل الثقافي و الفني بين الأمتين.<sup>1</sup>

و فيما يتعلق بالعلاقات بين أولئك التجار الصينيين الكبار، فقد كان في غاية الانسجام و التضامن و التكافل فيما بينهم تجسد في تكتلهم في شكل جمعيات و نوادي يتدارسون فيها أمورهم و شؤونهم الخاصة.<sup>2</sup>

أمّا فيما يخص الحياة الاجتماعية اليومية لكبار التجار بالصين، فقد كانت تتميز بمستوى معيشي رفيع حيث تسودها الرفاهية و رغد المعيشة بالمقارنة مع باقي أفراد الشعب، إذا كانوا يتمتعون برغد المعيشة على غرار نظرائهم في شتى بقاع العالم، حيث كانوا يقيمون مع أهلهم و ذويهم في سكنات راقية خاصة و في أرقى الأحياء و المدن الصينية على ضفاف الجداول، مزودة ببساتين صغيرة جميلة، من جهة أخرى، كانوا يملكون قاعات خاصة بهم بشوارع عامة في المدن الكبرى يستقبلون فيها زبائنهم و أصحابهم.

إضافة لذلك، أنهم كانوا يستغلون أوقات راحتهم و فراغهم في اللجوء إلى وسائل التسلية و الترفيه عن النفس، فقد كانوا يتجولون في مناطق و أحياء متخصصة في التسلية و الترفيه و الألعاب، خاصة في المدن الجنوبية أين كانوا مثلاً يواظبون على حضور منازلات في الرياضات القتالية

<sup>1</sup> ذانج هو: المرجع السابق، ص26.

<sup>2</sup> Denys Lombard :op.cit, pp 60.



و ألعاب الخفة و العروض المسرحية. بل كان بعضهم يفضل البحث عن وسائل أخرى للترفيه عن نفسه بطريقته الخاصة، و خاصة تلك الوسائل المتعلقة بالفكر و الثقافة.

أما بالنسبة لاهتمامهم بتربية أولادهم، فقد كانوا يرسلون أولادهم إلى مدارس موجودة في مراكز رئيسية و التي كانت توفر لهم تعليمًا لائقًا بهم و كتبًا مطبوعة.<sup>1</sup>

## المبحث الثاني: تصنيف الشركات التجارية.

بعد التطور الذي عرفه القطاع التجاري خلال القرن الرابع الهجري، أصبحت المعاملات التجارية وعلى وجه الخصوص داخل البلاد الإسلامية تسير وفق خطط وقواعد جديدة، نتيجة الاحتكاك المتواصل بين التجار المسلمين مع غيرهم من التجار في العالم، فأسسوا الشركات وأبدعوا فيها وأسهموا فيها برؤوس أموالهم، لما وجدوا فيها من منافع و فوائد.

### 1. تعريف الشركات التجارية:

الشركة: لغة هي اختلاط شيء بشيء، و قيل أيضا هي الاشتراك، أي أن يشتري أحد شيئًا فيشارك غيره فيه ليصير بعضه له بقسطه من الثمن.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> Denys Lombard :op.cit, pp 60.

<sup>2</sup> محيي الدين بن شرف النووي: المجموع شرح المذهب، تحقيق الدكتور مطرحي دار الفكر للطباعة و النشر 1421هـ - 2000م، بيروت، ج 14، ص 309.

كما يمكن القول على أنها (أي الشركة) عقد متبادل بين شخصين أو أكثر في شيء بقصد أن يقتسموا ما ينتج عنه من ربح.<sup>1</sup>

و لذلك، فعادة ما يكون هذا الاشتراك في العمل أو الكسب أو الملك، أما اصطلاحاً فهي كما عند الفقهاء والخبراء عقد بين المتشاركين في رأس المال والربح، بل هي كذلك عقد في التصرف في المال، فلم تصح إلا من جاز له التصرف في المال كالبيع، ثم إن المتعاقدين يمكن لأحد منهم اكتساب أهلية التوكل و التوكيل في جميع المال و في ماله، فهو وكيل عن صاحبه و موكل له بالتصرف.<sup>2</sup>

تعتبر الشركة مشروعة في الكتاب والسنة، ففي الكتاب يقول الله تعالى: «فهم شركاء في الثلث»،<sup>3</sup> و في السنة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإن خان أحدهما صاحبه خرجت من بينهما».<sup>4</sup>

فبناءً على هذين المصدرين الهامين من مصادر التشريع الإسلامي الذي كانت تستمد منه القوانين المنظمة للتجارة الإسلامية، تم اعتماد الشركات التجارية بمختلف أصنافها و أشكالها حسب المذاهب الفقهية الإسلامية المعتمدة في كل منطقة من مناطق العالم الإسلامي.

---

<sup>1</sup> جرجس حرجس: معجم المصطلحات الفقهية و القانونية، مراجعة القاضي أنطوان الناشف، ط 1،

الشركة العالمية للكتاب، بيروت 1996م، ص 207.

<sup>2</sup> محيي النووي المصدر السابق، ج 14، ص 311.

<sup>3</sup> سورة النساء، الآية 12.

<sup>4</sup> رواه أبو داود عن أبي هريرة، (أنظر: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني: سنن أبي داود مع حاشية عون المعبود، عني بشرحه الحاج حسن إيراتي، دار الكتاب العربي، بيروت بدون تاريخ، ج 3، ص 257).

## 2. أصناف الشركات التجارية:

يمكن للشركة أن تتخذ عدة وجوه، و قد تكون شركة العين و المنفعة معاً، و يمكن أن يتم ذلك سواء عن وراثه جماعة لمال أو ملكوه بواسطة تجارة أو هبة أو وصية،<sup>1</sup> و لذلك، يمكن تقسيم الشركة إلى قسمين رئيسيين و هما: شركة أملاك وشركة عقود.<sup>2</sup>

فشركة الأملاك لا تهمنا في بحثنا لأنها خاصة في قضايا الميراث والوصية والهبة وغيرها.

أما شركة العقود: فهي أن يعقد اثنان فأكثر عقدا على الاشتراك في المال، و ذلك بخلط ماليهما، فما ينتج عنهما من ربح أو خسارة يكون على قدر حصصيهما فيه،<sup>3</sup> سواء كان ذلك في التجارة أو في غيرها، وهي أنواع:

### 1) شركة الأبدان:

و هي أن يجعل الشركاء حين يعقدون الشركة رأس مال عملهم على تقبل العمل تتميز شركة الأبدان عن غيرها من الشركات بالاشتراك في عمل أو حرفة أو صنعة و هي نوعان:

---

<sup>1</sup> محيي الدين النووي: المصدر السابق، ج14، ص309.

<sup>2</sup> تقي الدين بن تيمية: مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد بن القاسم، مكتبة المعارف المغرب، مج 30، ص 74.

<sup>3</sup> بن حزم الأندلسي: المحلى بالآثار، تحقيق عبد الغفار سليمان البغدادي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع 1421هـ-2001م.

أ- شركة الأبدان مفاوضة: و هي أن يشترط الصانع أن يتقبلا الأعمال على التساوي وأن يتساوى الربح و الخسارة و أن يكون كل واحد منهما كفيلاً عن صاحبه فيما يلحقه بسبب الشركة.

ب- شركة الأبدان عنائاً: يشترط فيها التفاوت في العمل و الأجر، فيكون الربح و الخسارة بينهما على نسبة ذلك.

فالمالكية اشترطوا جواز شركة الأبدان في الصناعات أن تكون في دكان واحد، أما في الأعمال الأخرى غير الصناعات فهي جائزة.

بالنسبة للحنفية، فقد أجازوا الشركة في الصناعات سواء تطابقت الصناعات أم اختلفت، أو كانت في موضع واحد أو موضعين، و مهما غاب أحدهما أو مرض فيكون ما أصابه الآخر من ربح يستفيدان منه معا أو خسارة فيتحملانها كذلك ما. غير أنها لا تجوز في الاحتطاب و الصيد عكس المالكية.<sup>1</sup>

أما الحنابلة فقد أجازوها مطلقاً، عكس الشافعية الذين لم يجيزوها.<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup> ابن حزم الأندلسي: المصدر السابق، ص 414.

<sup>2</sup> عبد الرحمان الجزيري: كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، تحقيق أحمد فريد المزيدي و محمد فؤاد رشاد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج3، ص 72 و 73.

## (2) شركة العنان:<sup>1</sup>

العنان بكسر العين، وهي أن يشترك اثنان في التجارة بمالهما ولا يشترط فيها المساواة سواء في المال أو في التصرف أو في الربح، فيجوز أن يكون مال أحدهما أكثر من الآخر وكذلك بالنسبة للربح لا يشترط أن يكونا متساويان فيه، كما يجوز أن يكون أحدهما مسؤولاً أو وكيلاً دون الآخر، المهم أن يكون التراضي بينهما وعلى حسب العقد الذي أنجزاه بينهما، وإذا كان ثمة خسارة فتكون على حسب نسبة رأس المال لكل منهما.<sup>2</sup>

يمكن أيضاً للشريكين أن يشتركا في غير نوع واحد من أنواع التجارة، كما يمكن أن تكون الوكالة فيها بين المسلم و الكافر و الصبي المأذون له في التجارة و البالغ.<sup>3</sup>

## (3) شركة المفاوضة:

و المفاوضة بمعنى المساواة، وسميت كذلك لكون المساواة فيها هي الشرط الأساسي للدخول فيها، وهي أن يتعاقد اثنان أو أكثر على الاشتراك في التجارة وفق الشروط التالية:

أ- التساوي في المال، فإذا كان أحدهما أكثر مالا من الآخر فإنها تبطل.

---

<sup>1</sup> العنان: معناه الحبل الذي يوصل به لجام الفرس فبواسطته يكبح الفرس، ووروده هنا بمعنى الترك أي ترك

العنان، أي أن هذه الشركة ليس فيها شروط كثيرة.

<sup>2</sup> الأمير الصنعاني: المصدر السابق، ج3، ص 894.

<sup>3</sup> عبد الرحمن الجزيري: المرجع السابق، ج 3، ص 66.

ب- التساوي في التصرف، فلا يجوز أن تكون الشركة بين صبي وبالغ مثلاً.

ج- التساوي في الدين، فلا يمكن أن تتعقد بين مسلم وكافر.

د- التساوي في التصرف والوكالة، بمعنى ألا يكون تصرف أحدهما في البيع والشراء أكثر من الآخر أو يوكل أحدهما دون الآخر، أو يتقاسمان الأدوار بينهما.

هـ - التساوي في الربح والخسارة.<sup>1</sup>

و قد أجازها الحنفية وقالوا إن من شروطها: أن يتساوى الشريكان في رأس المال وأن لا يكون امتلاك المال من اختصاص أحدهما دون الآخر، كما يتساويان في الربح والخسارة، و لكلا الطرفين الحق في التصرف في رأس المال ولكن لم يجعلوه شرطاً.<sup>2</sup>

كما أجازها المالكية، ولكنهم لا يشترطون التساوي في المال، وحجتهم في ذلك هي ألا يبقى أحدهما مالا إلا ويدخله الشركة، وأما الشافعية فلا يجيزونها لأنها كما يقولون: « عقد لم يرد الشرع بمثله ».<sup>3</sup>

#### 4) شركة الوجوه:

سميت بشركة الوجوه لأنها تعتمد على جاه الشركاء وسمعتهم، وهي أن يشترك اثنان أو أكثر في التجارة دون رأس المال، ومن غير صنعة ولا مال، إنما يقومون بعملية الشراء بحسن سمعتهم، ثم يتقاسمون الأرباح فيما بينهم.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> السيد سابق: فقه السنة، دار الجيل، بيروت، ج 3، ص 894.

<sup>2</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 127.

<sup>3</sup> السيد سابق: المرجع السابق، ص 260.

و قد جوزها جل الفقهاء كأبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل باعتبارها عمل من العمال فيجوز عقد الشركة عليه، وأما الشافعية فلا يجيزونها لأنهم يعتبرون أن الشركة لا تثبت إلا بالعقد.<sup>2</sup>

### 3 - حكمها:

ما ينبغي قوله عن هذه الشركات أنها في الأصل واحدة، وحكمها واحد وهو الجواز ما لم تقم على محرم، ولم يكن إشكال هذه الشركات قائما أصلا، وأن هذه الأسماء التي سميت بها لم تكن شرعية ولا لغوية، بل هي اصطلاحات مستحدثة، جاءت في الكتب الفقهية ذات التوجهات المذهبية لغرض تصنيف أشكال وأنواع الشركات، وتبيين الجائز منها وغير الجائز من الناحية الشرعية ن ولكن ما جاء في حكمها من طرف هذه المذاهب تبقى مجرد آراء مذهبية لاستند إلى دليل شرعي صريح.<sup>3</sup>

و ما قام به أولئك التجار المسلمون إنما هو في صميم الشرع، وأن تصرفاتهم تلك لم تحد عنه، وبالتالي فإن نشاطهم التجاري قائم على حسب تمذهبهم فهم معذورون.

---

<sup>1</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 128.

<sup>2</sup> تقي الدين ابن تيمية: المصدر السابق، ص 94.

<sup>3</sup> السيد سابق: المرجع السابق، 261 وما بعدها.

## فصل ثالث: تنظيم التجارة

- المبحث الأول: تنظيم المعاملات المالية بين التجار
- المبحث الثاني: طرق وأساليب التعامل التجاري
- المبحث الثالث: تنظيم الأسواق و المبادلات التجارية.



رغم المجهودات الكبيرة التي بذلها الحكام المسلمون عبر العصور و الإمكانات الضخمة التي وفروها و سخروها للنهوض بالقطاع التجاري و تنظيمه، إلا أنهم لم يحققوا التطور الذي حقته التجارة الإسلامية لنفسها ، بحيث استطاعت و خلال فترة وجيزة بأن تحدث نظاما تجاريا فريدا، بل واحدا من أكبر الأنظمة التي عرفت البشرية.<sup>1</sup>

غير أنها لم تستغني عن خبرات و تجارب الأمم السابقة في هذا المجال، مثل تجمعات التجار و شركة التوصية و الاستثمار أو في مجال المعاملات النقدية.<sup>2</sup>

## المبحث الأول: تنظيم المعاملات المالية بين التجار.

### 1 - العملة النقدية:

نظراً لأهمية العملة النقدية التي تعتبر عصب الحياة الذي ينعش الأنشطة الاقتصادية و ينظم جميع أشكال المعاملات الاقتصادية بين الناس، و بالأخص التجارة، حرصت الأمم الكبرى منذ بزوغ فجر الحضارات على سك عملاتها النقدية ضمن أشكال تحمل ملامحها و طابعها الخاص، لِمَا تمثل من رمزٍ لقوتها الاقتصادية و سيادتها السياسية و مجد ملكها و قدم تاريخها و حضارتها.

---

<sup>1</sup> أندرية ميكييل: المرجع السابق، ص 169.

<sup>2</sup> نفسه، ص 181.

و نعني بسك العملة الختم على النقود المتداولة بين الناس كالدنانير والدرهم أي وضع الختم أو الطابع عليها و الذي يكون عادة من حديد تنقش فيه صور أو كلمات مقلوبة و تضرب بها النقود فتخرج رسوم تلك النقوش فيها. و لفظ السكة كان يطلق على الطابع أو الحديدة المتخذة لذلك، ثم أطلق على النقوش الظاهرة على النقود ثم استقر هذا المصطلح على هذه الوظيفة بصفة عامة و المتعلقة بجميع مراحل صناعة العملة النقدية. و نظراً لشرف هذه الوظيفة السامية و سمو مكانتها، ظلّ سك العملة تحت الإشراف الرسمي و المباشر للملوك و الذي يتجسد في أختامهم المضروبة على النقود، مما يضمن منع أي تلاعب أو غش فيها.<sup>1</sup>

لذلك، فقد عرفت العملة النقدية سلسلة من التطورات الفنية عبر تاريخ الحضارات العريقة، مثل الدراهم الساسانية و الدنانير و الفلوس البرزنطية و التي يعتبر كل منها أثراً مادياً لدراسة مختلف الحقب التاريخية لتلك الحضارات.

فقد كانت تلك العملات النقدية القديمة تراثاً هاماً مهّد لظهور جيل جديد و أنماط جديدة من العملات أو المسكوكات. فعند ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية، كان المسلمون مازالوا يتعاملون بتلك النقود القديمة، الشيء الذي أثار انشغال الخلفاء المسلمين في مختلف العهود الإسلامية و حفزهم لإصدار نقود جديدة تختلف عن نظيراتها التقليدية القديمة شكلاً و مضموناً، و تحمل الطابع الخاص بحضارتهم المتميزة و بُعدها الروحي و تبين قوة الدولة وعزتها و سؤدها.

---

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص322.

لكن، يجدر بنا أن نشير قبل ذلك إلى أن هذه النقود الجديدة حافظت على أسمائها القديمة و لم يطرأ عليها تغيير إلا من ناحية النطق، فالدرهم الذي كان يصنع من الفضة، اشتق اسمه من أصل كلمة يونانية (درخما)، ثم انتقلت إلى إيران و تغير لفظها إلى (درم)، و العرب بدورهم أخذوا هذه الكلمة و لفظوها (درهم). أمّا الدينار و هو من الذهب، فلفظه من أصل لاتيني كان يتداول في إسبانيا خلال العهد الروماني و كذلك في البلقان، و يبدو أن هذه الكلمة أيضا انتقلت إلى العرب عن طريق إيران ذلك لأن البيزنطيين ما كانوا يستعملونها و إنما كانوا يسمون نقودهم الذهبية (سوليدوس). و بالنسبة لكلمة فلس فهي مشتقة من كلمة يونانية (FOLLIS)، و معدن الفلس من النحاس أو البرونز.<sup>1</sup>

فبما أن مركز الدولة الفارسية كان هو الأقرب إلى دار الإسلام من غيرها، و أن أمرها بدأ يضمحل و قد دبّ فيها الضعف و اضطربت سياستها و بلغ فيها الفساد ذروته ، فمن الطبيعي جدا أن يرث المسلمون تركة حضارتها المندثرة، فمن بين الأشياء التي ورثوها عملاتها النقدية من الذهب و الفضة غير الخالصة، و بقي الحال على هذا المنوال حتى

---

<sup>1</sup> محمد أبو الفرج: النقود العمانية من خلال التاريخ الإسلامي، ط4، وزارة التراث و الثقافة، مكتبة

النهضة، مسقط، سلطنة عمان 1426هـ-2005 م، ص3،4.

عهد الإصلاحات التي جرت أيام " الحجاج بن يوسف<sup>1</sup> " إبان حكم  
الخلافة الأموية.<sup>2</sup>

ظلّ المسلمون الأوائل كما أسلفنا يستعملون هذه النقود و كان  
اهتمامهم منصبا في الحفاظ على وزنها و عدم الإخلال به أو التلاعب بعياره  
أو قصّه أو تشويهه، و استمروا على تلك الحال إلى أن تفاقمت ظاهرة الغش  
في الدنانير و الدراهم نتيجة لغفلة الدولة عن ذلك فأمر الخليفة الأموي عبد  
الملك بن مروان<sup>3</sup> الحجاج بن يوسف بضرب النقود و تمييز المغشوش منها  
من الخالص و ذلك سنة 74هـ، ثم أمر بصرفها في سائر النواحي سنة  
76هـ و كتب عليها "الله أحد الله الصمد".<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن متعب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف و إسم ثقيف قسي بن منبه بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر، عيّنه عبد الملك على عساكره التي بعث بها لحصار عبيد الله بن الزبير بن العوام بمكة سنة 73 للهجرة، (أنظر : أبو الحسن المسعودي ، المصدر السابق، ص 287 ) .

<sup>2</sup> قدامة بن جعفر: كتاب الخراج و صنعة الكتابة، يصدرها فؤلد سركين بالتعاون مع علاء الدين جوخوشا و مازن عماري و ايكهارد نويبارو، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية و الإسلامية في إطار معهد فرانكفورت بجمهورية ألمانيا الاتحادية 1407هـ - 1986م، طبع بالتصوير عن مخطوطة رقم 1076، مكتبة كوبريلي، إسطنبول، ص 39.

<sup>3</sup> هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية و أمه عائشة بنت المغيرة بن أبي العاص بن أمية، بويع سنة 65 هجرية (أنظر بن حزم الأندلسي: المصدر السابق، ص110، و أبو الحسن المسعودي: التنبيه و الإشراف، ص 286).

<sup>4</sup> عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 323.

و بعد أن ولي عمر بن هبيرة العراق من طرف يزيد بن عبد الملك<sup>1</sup> أجرى بعض التحسينات عليها، ثم جاء بعده خالد القسري خلال فترة حكم هشام بن عبد الملك<sup>2</sup> الذي بالغ في تحسينها و اشتد في النقود أكثر من اشتداد بن هبيرة حتى أحكم أمرها، ففرض الصرامة و النظام على الطبّاعين و أصحاب العيار و عدم التساهل و التسامح معهم و تسليط أقصى العقوبات على من ثبت فيهم الضلوع في عمليات التزوير مثل عقوبة قطع الأيدي. فأصدرت في أيامه طبعات مختلفة من النقود كالهبرية و الخالدية و اليوسفية التي كانت من أجود نقود بني أمية، و لم يكن ينقل أبو جعفر المنصور العباسي في الخراج غير تلك النقود، فسميت الدراهم الأولى بالمكروهة، ثم تمّ تحسين جودة العيار في عهد هارون الرشيد و المأمون و الواثق.<sup>3</sup>

غير أنّه جاء في بعض الروايات بأنّ أوّل من ضرب الدنانير و الدراهم هو مصعب ابن الزبير بالعراق سنة 70هـ بأمر من أخيه عبد الله لمّا ولي الحجاز و كتب عليها في أحد الوجهين "بركة الله" و في الآخر "اسم الله"، ثمّ غيرها الحجاج بن يوسف بعد ذلك بسنة و كتب عليها اسم الحجاج و قدرّ وزنها حسب ما استقر عليه أيام عمر بن الخطّاب، هذا الأخير الذي عمد إلى توحيد الأوزان و ذلك بالاعتماد على الأوزان المرجعية الموثوقة

---

<sup>1</sup> بويح يزيد بن عبد الملك بن مروان و يكنى أبا خالد و أمه عاتكة في اليوم الذي توفي فيه عمر بن عبد العزيز سنة 105 هجرية، (أنظر: أبو الحسن المسعودي: المصدر السابق، ص293).

<sup>2</sup> بويح هشام بن عبد الملك بن مروان و يكنى أبا الوليد و أمه أم هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي في اليوم الذي توفي يزيد بن عبد الملك سنة 125، (أنظر: أبو الحسن المسعودي: المصدر السابق، ص 295).

<sup>3</sup> قدامة بن جعفر: المصدر السابق، ص 40.

كالبغلي<sup>1</sup> و الطبري<sup>2</sup>، و بعد أن استقر اختيار الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على رأي عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عين المقدار على هذا النحو و أمر بنقش الكلمات لا الصور للنهي الصريح على اتخاذها الذي شدّد عليه الدين الإسلامي، و كان الدينار و الدرهم على شكلين مدوّرين و الكتابة عليها في شكل دوائر متوازية يكتب في أحد وجهيها أسماء الله تهللاً و تحميداً و صلاةً على النبي و آله و في الوجه الثاني التاريخ و اسم الخليفة، و بقي سكها على هذا المنوال طيلة عهد الأمويين و العبّاسيين و العبيديين.<sup>3</sup>

وهناك أمر آخر ينبغي الإشارة إليه، و هو أنه بعد تدفق كميات كبيرة من الذهب و الفضة و توفر المعادن الهامة كالنحاس و القصدير في العالم الإسلامي بفضل الفتوحات الإسلامية التي ورثت من خلالها مناجم هذه المعادن النقدية، و نتيجة لمحاولات عدة و مجهودات كبيرة سخرت لسك العملة من طرف الخلفاء، عرفت أول عملة إسلامية النور أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وذلك بين عامي: (74-75 هـ) ( 693 م-695 م) الذي أشرف بنفسه على ضرب الدينار الذهبي.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> يزن البغلي تقريباً أربع غرامات (أنظر، أبو الفرج العشي: المرجع السابق، ص 5).

<sup>2</sup> يزن الطبري حوالي غرامين (أنظر، المرجع نفسه).

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 323.

<sup>4</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 152.

لقد كانت هذه العملة رمزا لقوة الدولة وازدهارها، فكانت عاملا في انتعاش التجارة الإسلامية، وفي ظرف قياسي استطاعت هذه العملة أن تعمل على تفهقر العملات النقدية الأخرى كالدينار البيزنطي والدرهم الفارسي.<sup>1</sup>

وكان الدينار الذهبي في هذا القرن يساوي نحو الأربعة عشرة درهما، ولكن بعد الانقسام الذي حدث في العالم الإسلامي وانفصال القسم الشرقي عن الغربي خلال نفس القرن، ونظرا لغنى القسم الغربي بمعدن الذهب، ارتفعت العملة ارتفاعا مذهلا في المشرق وذلك في نهاية القرن الرابع الهجري.<sup>2</sup>

و في القرن الرابع الهجري أيضا ضرب ركن الدولة بن بويه دينارا كان يتكون أغلبه من النحاس وكان يقبل بثلاث درهم المعتاد،<sup>3</sup> وذلك نظرا لافتقار الدولة في المشرق إلى معدن الذهب بكمية تسمح لها بضرب الدينار الذهبي من جديد، لأن مناجم الذهب كما أشرنا من قبل معظمها موجودة في إفريقيا.<sup>4</sup>

إلا أنّ المقدسي يخبرنا عن دنانير و دراهم انتشرت في زمانه عرفت بتسميات مختلفة حسب المناطق التي زارها قائلا: «و نقودهم مختلفة،

---

<sup>1</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق ، ص 153.

<sup>2</sup> آدم متز: المرجع السابق، ص 790 وما بعدها.

<sup>3</sup> نفسه، ص 791.

<sup>4</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 154 وما بعدها.

لأهل مكة المطوقة وهي و العثرية ثلثا المئقال<sup>1</sup> تؤخذ كدراهم اليمن عدداً وتفصل العثرية حتى ربما كان بينهما دريهم، ودينار عدن قيمة سبعة دراهم وهو ثلثا البغوي تزن ولا تعد، ودينار عمان ثلاثون غير أنه يوزن. والدراهم المستعملة في الإقليم تسمى بمكة المحمدية، ولأهل مكة المزبقة أربعة وعشرون بمطوق ضعف أختمى تبطل يوم السادس من ذي الحجة إلى آخر الموسم، ولأهل اليمن العلوية تختلف باختلاف البلدان حتى ربما بطلت، في بعضها قيمة أربعة منها درهم وزنته حول الدانق<sup>2</sup> ولهم قروض ربما غلت فصارت ثلاثة بدانق وربما صارت أربعة، ولأهل عمان الطسوه.<sup>3</sup>

كما عرف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) انتشار دراهم بألوان مختلفة و خاصة بمنطقة بخارى فمنها على سبيل المثال دراهم تدعى "الغطفرية" و هي من نحاس يساوي مائة منها درهم واحد من فضة، و لهم أيضاً دراهم أخرى صفر يقال لها "السمرقندية" يساوي ستة منها بدانق.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> المئقال: وزن معلوم قدره، مقدار من الوزن أي شيء كان من قليل أو كثير و زنة المئقال هذا المتعامل به الآن: درهم واحد و ثلاثة أسباع درهم (أنظر جمال الدين بن منظور: المصدر السابق، ج3، ص29).

<sup>2</sup> من الأوزان، و ربما قيل داناق كما هو للدرهم درهم، و هو سدس الدرهم. و الدانق كذلك بفتح النون و كسرهما: هو سدس الدينار و الدرهم و الجمع دوانق، (أنظر جمال الدين محمد بن منظور: المصدر السابق، ج5، ص308).

<sup>3</sup> البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص99.

<sup>4</sup> أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد: رسالة بن فضلان، تحقيق سامي الدهان، ط2، مديرية إحياء التراث العربي، دمشق .



و بالتالي عزف الناس لاسيما التجار عن ادخار العملة مخافة أن تفقد قيمتها بالتدريج، فعمدوا إلى توظيفها فوراً في الصفقات التجارية والعقارية، فحققوا على إثرها أرباحاً كبيرة.<sup>1</sup>

كما اشتهر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بانتشار عملات نقدية أخرى غير الدينار و الدرهم، ففي السند حسب ما ذكر المقدسي انتشرت دراهم تسمى: « بالقاهريات، لكل واحد خمسة».<sup>2</sup> غير أن الرحالة "أبا دلف" أخبرنا عن عملة نقدية تحمل إلى حد كبير نفس التسمية مع اختلاف بسيط في اللفظ، و لكن نسبها إلى بلاد أخرى بعيدة تحاذي الصين و هي " كله بار"<sup>3</sup>، فقال: « و درهمهم يزن ثلثي درهمنا و يعرف بالفهزي»<sup>4</sup> و هو ما يخالف قول "المقدسي" إذا كان اسم العملة التي ذكرها هي نفسها، لأن هناك أوجه تشابه بين اسمي العملة التي وردت في كتابيهما حسب ما أشار إليه محقق كتاب "أبي دلف"، و لكن هناك احتمال كبير على أنهما ليستا نفس العملة باعتبار أن وزن التي ذكره الأول ليس نفس وزن التي ذكرها الثاني.

<sup>1</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 154 وما بعدها.

<sup>2</sup> شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المعروف بابن بشاري المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل 1906 م ، ص 481.

<sup>3</sup> كله بار: الملايو، ملقة، كله بار، أسماء لما يعرف بماليزيا اليوم، (أنظر: أطلس دول العالم الإسلامي (جغرافي تاريخي اقتصادي)، لشوقي أبي خليل، ط1، دار الفكر المعاصر بيروت 1419هـ-1999م، ص105.

<sup>4</sup> مسعر بن المهلهل أبو دلف الخزرجي: الرسالة الأولى، دراسة و تحقيق: مريزن سعيد مريزن عسيري، مركز إحياء التراث الإسلامي. معهد البحوث العلمية و إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1416هـ-1995م، ص 60.

ثم يضيف المقدسي ذاكراً نقوداً أخرى منتشرة كذلك بالسند غير القاهريات فقال: «و لهم الطاطرا في الواحد درهمان إلاّ ثلثاً»<sup>1</sup> بينما ورد نفس اسم العملة لدى ابن رسته باسم "الطاطري" (بإضافة حرف الياء عوضاً عن ألف طبعاً)، و لكن، ليست لنفس البلاد بل في بعض مناحي الهند نقش عليها صورة لتمثال الملك<sup>2</sup>، مما يطرح نفس الإشكال، لكن رغم ذلك، نقر بكفاءة الاثنين ونرجح عامل الانتشار الذي تميزت به هذه العملة.

أما في الصين فقد كان التعامل فيها بعملة نقدية محلية و هي عبارة عن نقود مصنوعة من معدن النحاس.<sup>3</sup>

و من حين لآخر كذلك، كانت الدولة و خاصة في فترات الضعف و نظراً لعجزها على توفير السيولة النقدية اللازمة لتغطية سوق المبادلات بشكل كاف، تلجأ إلى الحلول المستعجلة و المتمثلة خاصة في تحصيل الضرائب، لإعادة توزيع الأموال و التوازن للسيولة النقدية، لقطع الطريق أمام الذين يستغلون مثل هذه الظروف في اللجوء إلى تزيف العملات.<sup>4</sup>

غير أنه و حسبما ذكر لنا "ابن بطوطة" بأن أهل الصين في عهده لا يتبايعون بدينار ولا بدرهم لأن جميع ما يتحصلون عليه من نقود يسكبونه قطعاً، و إنّما كانوا يتعاملون في بيعهم و شرائهم بقطع من الكاغد كل قطعة منها بقدر الكف مطبوعة بطابع السلطان و تسمّى الخمس و العشرون منها

<sup>1</sup> البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص 481.

<sup>2</sup> أحمد بن رسته، المصدر السابق، ص 135.

<sup>3</sup> Denys Lomard: op.cit, p 65.

<sup>4</sup> Ibid, p :60.

"بَالِشْت" و إذا تمزقت إحداهن في يد إنسان حملها إلى دار كدار السكة فيأخذ قطعة جديدة عوضاً عنها، و إذا أراد أحد أن يشتري شيئاً في السوق و معه نقود أخرى غير تلك الأوراق لم تقبل منه و لا يستطيع شراء شيء بها حتى يصرفها بالبالش. <sup>1</sup> و يفهم من كلام ابن بطوطة بأن العملة النقدية بالصين تطورت في وقته لتصبح ورقية بعد أن كانت في السابق من المعادن كما هو الحال عندنا في الوقت الحاضر، و هو ما يفسر بأن الصين كانت السبّاقة في إصدار العملة الورقية.

## (2) الصكوك:

و كانت المعاملات التجارية الضخمة تستدعي وسائل للدفع خفيفة الحمل بعيدة عن متناول اللصوص بحيث تعوض عبء الأموال المحمولة والمعرضة للمخاطر في كل حين.

و لهذا فقد استخدم الصك في التجارة وفي حالات أخرى لدفع العطاء والرزق، فهو عبارة عن أمر خطي يدفع بواسطته مقدار من النقود أو الرزق إلى الشخص الوارد اسمه فيه، <sup>2</sup> وقد جاء في لسان العرب: " والصك الذي يكتب للعهد معرب أصله جك ( بالفارسية )، ويجمع صكاكا وصكوكا، وكانت الأرزاق تسمى صكاكا لأنها كانت تخرج مكتوبة ". <sup>3</sup>

<sup>1</sup> محمد ابن بطوطة: المصدر السابق ج2، ص87.

<sup>2</sup> محمد سيف: المرجع السابق، ص 144.

<sup>3</sup> جمال الدين محمد ابن منظور: نفس المصدر، ج8، ص263.

و عن دور الصكوك جاء أيضا " وذلك أن الأمراء كانوا يكتبون للناس أرزاقهم وأعطيتهم كتباً، فيبيعون ما فيها قبل أن يقبضوها معجلاً ويعطون للمشتري الصك ليمضي ويقبضه ".<sup>1</sup>

و لقد انتشر استعمال الصك في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وكان الصراف يشرف على التعامل بها، ويوضح لنا الرحالة ناصر خسرو كيفية التعامل بهذه الصكوك أثناء رحلته إلى البصرة فقال: " والعمل في السوق هكذا: كل من معه مال يعطيه للصراف ويأخذ منه صكا ثم يشتري كل ما يلزمه ويحول الثمن على الصراف فلا يستخدم المشتري شيئاً غير صك الصراف طالما يقيم بالمدين".<sup>2</sup>

هذا، إلا أن العرب مع إدخالهم مفهوم الحوالة - صك أو شيك - جعلوا تمويل المبادلات التجارية أكثر مرونة.<sup>3</sup>

### (3) الصفاتج:

جمع سفتجة وهي وثيقة أو بطاقة تسلم إلى صاحب البريد بعد أن تملأ من طرف المسافرين إن التاجر ويضع فيها القيمة المالية التي ينوي

<sup>1</sup> جمال الدين محمد ابن منظور: نفس المصدر، ج8، 263.

<sup>2</sup> ناصر خسرو: سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، ط 2، دار الكتاب الجديد، بيروت 1970م، ص 146.

<sup>3</sup> رجائي الملاح مع دوروثي الملاح: عبقرية الحضارة العربية منبع الحضارة الأوروبية، ترجمة: عبد الكريم

محفوظ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1972، ص 405.

إرسالها ثم يمضي عليها صاحب البريد بعد أن يقبض المال، فكانت هذه السفاتج تلعب دور الحوالات ( في العصر الحاضر)<sup>1</sup>.

- كما أن مصطلح السفتجة ما زال يُتداولُ لحد الآن في المعاملات المالية، و يدعى أيضاً بسند السحب، و يحتوي على:
- كلمة سفتجة أو سند السحب في نص السند نفسه باللغة المستعملة في كتابة هذا السند؛
  - التوكيل الصريح بدفع مبلغ معين؛
  - التوكيل الصريح الذي يجب أن يدفع (المسحوب عليه)؛
  - بيان تاريخ الاستحقاق؛
  - بيان المحل الذي يجب أن يجري فيه الدفع؛
  - إسم الشخص الذي يجب أن يجري الدفع له؛
  - توقيع الساحب.<sup>2</sup>

لذا، فقد كان التجار يستعملون السفنجة للدفع في البلاد البعيدة فيسلمونها أو يتسلمونها عوض المال فيستفيدون من ذلك أمن الطريق. ولقد خففت هذه الوسيلة من الصعوبات والمخاطر التي تتجم عن نقل النقود بين الأقاليم المتباعدة، وما تتعرض لها من خطر السرقة فهي مأمونة من الضياع خفيفة الحمل بعيدة عن متناول اللصوص، وقد يقوم الأمناء والوكلاء عبر

<sup>1</sup> المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، ط 2، دار

المعارف، بيروت، بدون تاريخ، ج 1، ص 432.

<sup>2</sup> جرجس حرجس: المرجع السابق، ص 201.

الأقاليم البعيدة بتحويل هذه السفاتج إلى نقود، وربما استعملت في البيع والشراء، ولكنها لا تكون سارية المفعول إلا بتوقيع من صاحبها.<sup>1</sup>

كما كانت المبالغ المستحقة على التجار أو لفائدتهم تدفع لأصحابها أو تستوفى منهم عن طريق الاعتماد المالي. و كثيراً ما كان التجار المتنقلون يستودعون وكلاءهم مبالغ طائلة، شريطة أن يتعهد هؤلاء بعدم مسّها أو التصرف بها إلا بأمر صريح منهم.<sup>2</sup>

#### (4) دور الصرف:

نظراً لأهمية وظيفة الصرف في توفير المادة الأساسية في المعاملات المالية و التجارية المتمثلة في العملات النقدية المتداولة و صرفها، ومساهمتها في إعداد وسائل التعامل المالي المتمثلة في الأوراق ذات القيمة المالية التي تعمل على تسهيل و تفعيل جميع أشكال العمليات التجارية، حرصت الدولة الإسلامية على إنشاء مكاتب أو إدارات خاصة بذلك تدعى بدور الصرف.

و نظراً لدقة وظائف و مهام هذه الدور و حساسيتها كونها إذا لم تحترم القواعد الفقهية الخاصة بها تكون أقرب للوقوع في عمليات مشبوهة و بالتالي الوقوع في دائرة المحذور، خاصة إذا تعلق الأمر بالمعاملات الربوية، لاسيّما و أنّ القوانين التي تتحكم في تسيير هذه الدور مستمدة من التشريع الإسلامي.

<sup>1</sup> محمد سيف: المرجع السابق، ص 145.

<sup>2</sup> إدوارد بروي: المرجع السابق، ج3، ص 194.

لذلك فقد كانت المعاملات المالية محط اهتمام كبار العلماء و الفقهاء المسلمين فخصصوا لها باباً خاصاً بها سموه باب الصرف أو الصيرفة يُبَيِّنُونَ فيه أحكام الشريعة وفق النصوص الشرعية المتمثلة في الكتاب و السنة النبوية و ما استنبطوه من أحكام بواسطة أدوات الاجتهاد لديهم، فبينوا الجائز منها و المحرم.<sup>1</sup>

و فيما يتعلّق بالمعاملات المصرفية، فإنّها كانت وفقاً على كبار التجار، أمّا الصيرفة فقد تميّزوا عنهم بأنهم اختصوا بأعمال الصيرفة المحليّة و كثيراً ما كان أولئك الصيرفة جهابذة، أي يعهد إليهم من قبل بيت المال، لخبرتهم بتمييز الجيد من الزائف بين تلك النقود التي تدفع للخراج، و كانوا يتقاضون عمولةً عن خدماتهم، كما كان بإمكانهم المشاركة في المضاربات المالية و التجارية.<sup>2</sup>

كما كان تعدد دور الضرب و مهارة الذميين في التبادل النقدي و ظهور نظام المصارف الأثر البالغ في تنشيط حركية المعاملات التجارية، بين المدن الإسلامية.<sup>3</sup>

و من جراء اعتناق سكان العديد من البلدان للإسلام و إقبال المسلمين على التجارة أن كثر عدد الصيرفة في المدن و المراكز التجارية، و هي أعمال كان يتعاطاها النصارى و اليهود و المجوس و عدد من

---

<sup>1</sup> أبو بكر محمد بن أبي سهل شمس الدين السرخسي: المبسوط، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1414هـ-1993م، مج7، ج14، ص3.

<sup>2</sup> إدوارد بروي: المرجع السابق، ج3، ص 194.

<sup>3</sup> عبد المجيد الكيسسي: المرجع السابق، ص168.

المسلمين على السواء. فالفوارق الدينية لم تكن أبدًا حاجزًا أو عائقًا أمام تعاطي مثل هذه الأعمال.<sup>1</sup>

و لم تكن هذه الدور حديثة عهد في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، فقد كانت موجودة في العصر الأموي فكان لها شأن كبير في التعامل التجاري، ويذكر أنها « من الوسائل التي ساعدت على نمو التعامل التجاري وجود الصيارفة في أسواق الحجاز في العهد الأموي ».<sup>2</sup>

أما عن طبيعة العمل الصيرفي، فقبل التطرق إليه ينبغي إعطاء و لو بصفة موجزة بطاقة تعريفية عن المفهوم الاصطلاحي للصيرفة، فالصرف بمعناه الاصطلاحي هو كما جاء في لسان العرب: « فضل الدرهم على الدرهم و الدينار على الدينار، لأنّ كل واحد يصرف على قيمة صاحبه، و الصرف بيع الذهب بالفضة، و من ذلك ينصرف به من الجواهر إلى الجواهر. و التصريف في جميع البياعات إنفاق الدراهم، والصرف و الصيرف و الصيرفي: النقّاد من المُصَارِفَة و هو من التصرف، و الجمع صيارف و صيارفة. يقال صرفت الدراهم بالدنانير، و بين درهمين صرف أي فضل لجودة فضة أحدهما »<sup>3</sup>. مهامه، كما هو معروف هو تحويل الدنانير إلى دراهم وبالعكس، فكان الرجل يدفع الدينار للصراف فيزنه ثم يعطيه بدله دراهم.

<sup>1</sup> إدوارد بروي: المرجع السابق، ج3، ص 195.

<sup>2</sup> محمد سيف، المرجع السابق، ص 147.

<sup>3</sup> جمال الدين محمد بن منظور، المصدر السابق، ج8، 229.



و من مهامه أيضا منح الصكوك مقابل أموال تودع أو تحويلها إلى أموال لغرض تسهيل عمليات البيع و الشراء، و لا يستعمل في المدينة غير صكوكه.

و لم يقتصر دور أولئك الصيارفة على الصرف فحسب، بل كانوا يزاولون نشاطات أخرى كبيع الذهب، والمتاجرة في السلع، وإقراض النقود.<sup>1</sup>

و لقد اهتمت الدولة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد) بأعمال الصيارفة، فعملت على توفير عدد هائل من الصرافين في المدن والأسواق العامة.

و نظرا لكثرة طلب المجتمع لهم، فقد خصت لهم الدولة أروقة خاصة بهم في الأسواق، ولقد ذكر الرحالة ناصر خسرو مثالا حيا عن سوق الصرافين في أصفهان:<sup>2</sup> «و رأيت فيها سوقا من أسواق الصرافين كان بها مائتا صراف».<sup>3</sup>

و كانت بأصفهان أيضا جالية يهودية كانت تشتغل في الصيرفة،<sup>4</sup> وقد كانوا يزاولون نفس النشاط في بغداد.

---

<sup>1</sup> ناصر خسرو، المصدر السابق، 146.

<sup>2</sup> أصفهان، أو أصفهان، وهي مدينة تقع بين الري و فراسان ( انظر: محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار، ط 2، مكتبة لبنان 1984م، ص 483).

<sup>3</sup> ناصر خسرو: المصدر السابق، ص 154.

<sup>4</sup> إدوارد يروى: المرجع السابق، ص 139.

كما كان بالبصرة عدد لا بأس به من دور الصرف، ولقد أصبحت في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أكبر مركز مصرفي في الخلافة العباسية.<sup>1</sup>

أما في الهند فقد كان بالزاج<sup>2</sup> عدد هائل من الصرافين المنتشرين في أسواقها كما يذكر لنا بزرك: «و عدت في سوق الصيارف بهذا البلد ثمان مائة صيرفي، سوى ما في البلد من الصيارف المتفرقين في الأسواق»<sup>3</sup>.

## (5) الجهبذة:

الجهبذ مشتق من كلمة فارسية "كهذ" جمع "جهاذبذة"، معناها الأصلي: الناقد الخبير الذي يميّز بين الجيد و الرديء.<sup>4</sup> و نستطيع أن نشبهه بما يعرف حالياً "الخبير المالي"، و لكن بصلاحيات أوسع، إذ كان يجمع بين الخبرة (أي بمعنى التخصص و المهارة) في التحقيق المالي و مهام أخرى كما سوف نرى.

<sup>1</sup> إدوارد يروى: المرجع السابق، ص 140.

<sup>2</sup> هي جزيرة في أقصى بلاد الهند وراء بحر الهركند عند حدود الصين (أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار بيروت للطباعة و النشر 1976هـ — 1975م، مج 3، ص 124).

<sup>3</sup> بزرك بن شهريار: المصدر السابق، ص 132.

<sup>4</sup> بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 1993، ص 161.

لم تكن الجهذة وليدة القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بل كانت في عصور غابرة، ولكن كانت بتسميات مختلفة، فكانت تعرف مثلاً بالناقد الخبير، أو صاحب مصرف إن الصراف لكثرة اشتباهه بالصيرفي.<sup>1</sup>

و لكنه كان يعرف عند الفرس وخاصة الساسانيون بكاتب الخراج و كذلك في العصور الإسلامية الأولى، ثم توسع نشاطه في العهد العباسي إلى الأمصار والأقاليم الأخرى بحيث كانوا يستعينون به في جباية الضرائب.<sup>2</sup>

و في بغداد كان هناك ديوان الجهذة "، كانت مهمته تقديم تقارير وحسابات حول المدخولات و المخرجات من بيت المال، و جباية الأموال من خراج و غيره، إضافة إلى تمويل و تسديد نفقات الدولة و سد عجز خزينتها أو بما يسمى بيت مال المسلمين، ولتقريب الفهم فهناك أوجه الشبه إلى حد ما بينه و بين ما يعرف حالياً بالمحاسب العمومي أو القابض البلدي، مع بعض أوجه الاختلاف طبعاً، لكن أحياناً عندما يتجاوز صلاحياته المخولة له أو يتعسف في استعمالها فإنه سرعان ما ينجر عنه فساد و ظلم كبير، سواء تعلق الأمر بطريقة جباية الأموال أو تمويل النفقات إذا لم تراعى فيها الضوابط الشرعية و القانونية.<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 129 – 130.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> قدامة بن جعفر: المصدر السابق، ص 41، 42.

و بالتالي انتقل الكثير من الجهابذة من كتاب خراج إلى أصحاب بيوت المال، كما حدث في عهد وزارة "ابن الفرات"<sup>1</sup> من سنة 296 إلى 299 هـ/ 908 - 911 م، فمثلا عين اليهودي يوسف بن فنحاس جهبذا على الأهواز.<sup>2</sup>

و لقد لعب أولئك الجهابذة أصحاب بيوت المال دورا بارزا ليس في تخزين الأموال واقتراض التجار فحسب بل أقرضت الدولة عند احتياجها وأثناء تعرضها للأزمات، كما فعل الوزير ابن الفرات مع جهبذة الأهواز، عندما اقترض منه المال لدفع رواتب الكتاب.

و في مرحلة أخرى يتحول الجهابذة إلى جهابذة الدولة الرسميين، عندما أسس الوزير الأعظم علي بن عيسى مصرفا رسميا 300-304 هـ / 912 - 916 م، فجعل على رأسه الجهبذان اليهوديان: هارون بن عمران، ويوسف بن فنحاس لخبرتهما الكبيرة في مجال الصيرفة ليصبح هذا المصرف نظرا للأموال الكبيرة التي تودع فيه وكأنه بنك حقيقي.<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> الوزير الكبير أبو الحسن علي بن أبي جعفر محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات العاقولي الكاتب، كان الفرات يتولّى الدواوين زمن المكتفي، فلما ولي المقتدر ووزر له ابن العباس بن الحسن بقي بن الفرات في ولايته، ثم ولي الوزارة بعد مقتل العباس الوزير، ثم عزل و ولي عدة مرات حتى قتل سنة 312هـ/888م،(أنظر: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج14، ص 474).

<sup>2</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 129 - 130.

<sup>3</sup> نفسه، ص 130.

## المبحث الثاني: طرق وأساليب التعامل التجاري

كان التعامل التجاري يتم غالبا بالمقايضة، وذلك حسب ما يقتضيه الشرع، ويرى الكثير من العلماء أن البيع لا يتم إلا إذا كان مصحوبا بقول صريح علني من الجانبين وهو أن يقول البائع: بعت ويقول المشتري: اشتريت.

تلك إذا صيغة البيع حسب شريعة الإسلام، فكان التعامل التجاري يقوم على هذا الأساس ولكن بطرق شتى أشهرها:

أ — **الطريقة الأولى: طريقة المقايضة:** وهي طريقة شرعية لا غبار عليها وتتم من غير نقود عادة، أي يتم استبدال سلعة بسلعة أخرى إلا في أمور معلومة قد حددها الشرع كالذهب والفضة والبر والتمر فلا يجوز المقايضة بمثلها وخاصة إذا كانت النوعية متفاوتة، فإنها تدخل في المعاملات الربوية المحرمة.

و كانت طريقة المقايضة هذه مشهورة في جزر المحيط الهندي،<sup>1</sup> و مع الصين في بعض الأحيان كما كان الحال بالنسبة للتجار المسلمين الذين كانوا يقيمون بإحدى الجزر التابعة للصين، فقد ذكر المروزي أنهم كانوا يقومون بدور الوسطاء التجاريين بحيث يأخذون معهم البضائع التي يستلمونها من التجار الأجانب إلى داخل الصين فيستبدلونها لهم ببضائع أخرى.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> أبو الحسن المسعودي: المصدر السابق، ص 153.

<sup>2</sup> شرف الزمان المروزي: أبواب الصين والترك والهند، ص 15.

**ب- الطريقة الثانية: وهي طريقة التعامل المزدوج:** وهي أن يأخذ التجار العملة المحلية لقاء بضائعهم، ثم يشترون بهذه النقود بضائع من تلك البلاد، و قد كانت تستعمل في كل من الصين و بعض مناطق بالهند و على وجه أخص في البصرة.<sup>1</sup>

**ج- الطريقة الثالثة: طريقة الاتجار المباشر:** كانت البضائع أحيانا تقبض ثمنا، أي يأخذ التجار العملة المحلية مقابل بضائعهم التي يبيعونها دون أن يشتروا البضائع المحلية، وكانت هذه الطريقة تستعمل من طرف الممالك الأخرى مع العالم الإسلامي لقاء العملة الإسلامية الذهبية، وكانت هذه الطريقة تستعمل في أوروبا الشرقية.<sup>2</sup>

### **المبحث الثالث: تنظيم الأسواق و المبادلات التجارية.**

كانت التجارة كما أسلفنا خلال الحقب المتعاقبة من الحكم الإسلامي محل اهتمام من قبل أولي الأمر، فأولتها السلطات بمختلف مستوياتها و درجاتها الاهتمام البالغ و أفردت لها عناية خاصة.

و لذلك، فقد عرفت التجارة الإسلامية بشقيها الداخلي و الخارجي تنظيمًا محكمًا لا مثيل له، و لقد ساعدها في ذلك التشريعات و القوانين الصارمة التي كانت تنظمها و تضبط سلوكات المتعاملين فيها، المستوحاة من الكتاب و السنة، الشيء الذي جعلها تتفوق على باقي الأمم في هذا المجال.

<sup>1</sup> وليام الخازن: الحضارة العباسية، ط2، دار المشرق ش م م، بيروت 1992، ص85.

<sup>2</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 303.

غير أنها في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ونظرا للظروف الحرجة التي مرت بها الأمة الإسلامية و التي سبق و أن تطرقنا إليها، فقد طرأت عليها بعض التغييرات أفقدتها بعض أخلاقياتها، نظرا لتراجع دعم الدولة لها و ضعف جهاز الرقابة الذي كان يسهر على تطبيق القوانين المتعلقة بتنظيمها، مما أفسح المجال لبعض كبار التجار بفرض بعض السلوكات التي لم تكن لدى أسلافهم، حيث أصبحت الأسواق بصفة تلقائية الأماكن المناسبة لذلك.

## (I) الأسواق:

تعتبر الأسواق من الأماكن التي كانت تمد المدن الإسلامية بالحياة باعتبارها من المحركات الأساسية التي تحرك بها عجلة الاقتصاد، بل كانت تعد من بين المؤشرات الهامة الدالة على رفاهية المجتمع الإسلامي و إحدى المعالم الرئيسية التي كانت تزخر بها الحضارة الإسلامية، و لذلك، انصب اهتمام الخلفاء و الملوك المسلمين بتنظيمها و تطويرها بل تنافسوا في التقنن في بنائها و تشييدها.

### 1- تنظيمها:

و بما أن التجارة كان مركزها الأسواق، فقد كانت الأسواق جزءا حيويا هاما من المدن، إذ على أساسها كانت تبنى وتشيد المدن باعتبارها هي القلب النابض للمجتمعات الإنسانية، إذ بها تتمركز وتنطلق النشاطات الاقتصادية المختلفة و بها تتعلق معاش الناس وأرزاقهم.

ونظرا لأهمية السوق في حياة المجتمع الإسلامي، عمد الخلفاء المسلمون منذ العهود الأولى للإسلام إلى تنظيمها وتطويرها، وخاصة عندما اتسعت رقعة الخلافة الإسلامية، وتمركز الخلفاء في المدن الكبرى من بلاد الشام والعراق وفارس ومصر، إذ لم يعود بحاجة إلى تلك الأسواق الموسمية المتنقلة التي كانت في الجاهلية، بحيث بدأت كل مدينة تستغني بأسواقها الدائمة عن تلك الأسواق، وأصبحت تجارات كثيرة ومن بلدان متعددة تأتي مباشرة إلى تلك المدن.<sup>1</sup> فكانت العادة تقتضي في المدن الإسلامية أن تحتل الأسواق أهم الشوارع فيها و أكثرها جذبا للسكان في ذهابهم و إيابهم، فهي تأخذ شكلا طويلا و متشعبا أحيانا الذي يبدأ من مركز المدينة عند المسجد الجامع و يمتد مع المحاور الكبرى التي تتجه نحو مداخل أو مخارج المدينة.<sup>2</sup>

فأشهر نماذج الأسواق الإسلامية و أوسعها انتشارا في العالم الإسلامي هي ما يسمى حاليا بنظام البازار، فقد كان هذا النوع من الأسواق أكثر انتشارا خاصة في مصر و سوريا و أرمينيا و تركستان و أفغانستان و كذا في بلاد ما بين النهرين . و مما يُعرفُ عن هذه السوق سعة الطريق التي تتوسطها و التي يبلغ عرضها حوالي خمسة عشرة (15) مترا، كما أن هذه السوق مغطاة بأسقف في شكل قباب من الآجر، و تعد بالمئات بل بالآلاف أحيانا، حيث أن فوق كل مربع داخل السوق الذي يمثل صنفاً من التجارة أو المهنة قبة، و توجد بهذه القباب فتحات التهوية في شكل نوافذ صغيرة يبلغ قطرها مقدار متر واحد. بينما توجد أسواق أخرى ضمن

<sup>1</sup> سعيد الأفغاني: المرجع السابق، ص 393.

<sup>2</sup> محمد الكبيسي: المرجع السابق، ج2، ص 166.



نفس النمط تقريبا لكنها مفتوحة لا سقف لها و تنتشر في النواحي الواقعة على ضفاف البحر الأسود.<sup>1</sup>

غير أن كل منطقة من العالم الإسلامي كانت لها أعراف وطرق خاصة في تنظيم الأسواق، ففي المشرق وخاصة في فارس كانت العادة تستلزم جمع الدكاكين صفوفًا في مكان واحد، كالدائر التي بناها عضد الدولة بن بويه بفارس، وقد بنى أيضا أسواقًا أخرى في غاية الحسن والنقاء عليها دروب تغلق في كل ليلة.

و أما في العراق وبقية المناطق العربية المجاورة فقد كانت الدكاكين تمتد على طول الشوارع، على كل جنب صنف منها كما كان الشأن بالنسبة لبغداد،<sup>2</sup> و لذلك لما بنيت بغداد لم يجعل لسوقها مكانًا مخصصًا لها،<sup>3</sup> بل كانت عبارة عن مجموعات من الدكاكين والحوانيت مصطفة على طول الطرقات والأزقة وتحت القناطر، ولما رأت السلطات أن الغرباء يفدون بكثرة على المدينة حتى تضيق بهم الطرقات مما يؤثر المارة ويخرج السكان، جعلوا السوق خارج المجمعات السكانية، كما كان الحال بالنسبة لربض الكرخ الذي يقع بجنوب المدينة، وهو حي التجارة والصناعة.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> Aly Mazahéri : La Vie Quotidienne des Musulmans au Moyen Age X<sup>e</sup> au XIII<sup>e</sup> siècle, Librairie HCHETTE , Paris sans date, pp 195 et 196.

<sup>2</sup> آدم متر : المرجع السابق، ص 798 وما بعدها.

<sup>3</sup> نفسه، ص 798.

<sup>4</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 171.

وكانت الأسواق في غاية الحسن والتنظيم والنظافة، بحيث كان أصحاب المهن والحرف المتشابهة في مكان واحد، فمن كانت صناعته تحتاج إلى وقود نار فمن المستحب أن يبعد حوانيتهم عن العطارين و البزازين لعدم المجانسة بينهم و حصول الأضرار<sup>1</sup> فالحدادون والنحاسون والصائغون نجدهم في صف واحد، بينما نجد الصيادلة والعطارين و البزازين وأصحاب الجواهر في مكان آخر متجمعين كذلك، والهراسين و الشوائين في حيز خاص بهم، وهكذا كانت هذه الأسواق في غاية التنسيق والدقة، دون خلط بين هذه المهن.<sup>2</sup>

و فيما يخص المقاييس و القواعد التي كانت تتبع في مجال تهيئة الأسواق و تنظيمها، فكانت التدابير تقتضي مثلاً بأن تكون الأسواق في الارتفاع و الاتساع ما وضعت الروم قديماً، و يكون في جانبيها إفريزان عليهما يمشي الناس في زمن الشتاء إذا لم تكن هذه مبلطة. كما ينبغي لأصحاب الدكاكين و الحوانيت أن يلتزموا بالمساحات المسموحة قانوناً لهم لعرض سلعهم، فلا يجوز لهم إخراج مصاطبهم عن سمت أركان السقائف إلى الممر الأصلي لأنه يعتبر تعد على المارة.<sup>3</sup>

و كان المُطْلُون على الطرقات و الدروب من السكان و التجار يمنعون من إخراج جدران دورهم أو دكاكينهم عن الحدود المسموح بها أو ترك الميازيب الظاهرة من الحيطان خلال فصل الشتاء و مجاري الأوساخ

---

<sup>1</sup> عبد الرحمان بن النصر الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ط1، تحقيق الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ص 11 و 12.

<sup>2</sup> آدم متر: المرجع السابق، ص 800.

<sup>3</sup> عبد الرحمان الشيزري: المصدر السابق، ص 11.

الخارجة من منازلهم أو محلاتهم في فصل الصيف إلى وسط الطريق، بل تأمرهم السلطات المحلية عن طريق المحتسبين بحفر مسلات في حيطانهم تكون مكلسة تسمح بمرور مياه الأسطح فوقها، و حفر كبيرة تحت الأرض تجتمع إليها المياه القذرة.<sup>1</sup>

وكانت كل طائفة من التجار بمختلف أجناسهم تأتي إلى السوق وتجلس في مكان مخصص لهم، وكانوا يمكثون إلى ما بعد الظهر ثم يأكلون في إحدى مطابخ أو هراسي المدينة أو السوق، وربما استحضروا شيئاً من الطعام إلى دكاكينهم وحوانيتهم ولا يذهبون إلى بيوتهم أو فنادقهم إلا في المساء، فعند انتهاء السوق يعود الأجانب منهم إلى الفنادق التي أعدت خصيصاً لهم، والتي تدعى أيضاً مخازن أو حانات، لأن أولئك التجار كانوا يضعون أمتعتهم وبضائعهم في أسفلها وينامون ويسمرون في أعلاها، كما كان الحال في دار البطيخ بالبصرة وكانت مشهورة بأصناف كثيرة من الفواكه.<sup>2</sup>

أما في الصين، فكانت الأسواق فيها متواجدة داخل المدن إما مجمعة و محاطة بأسوار، حيث كانت الدكاكين و الحوانيت فيها مصطفة بشكل منظم، أو تتواجد بشكل منتشر عبر الطرق و الأزقة حسب نوع التجارة أو الحرفة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> عبد الرحمان الشيزري: المصدر السابق، ص 14.

<sup>2</sup> آدم متر: المرجع السابق، ص 799.

<sup>3</sup> Vadime Ellisseff , Jean Nadou , Gaston Wiet et Philippe Wolff : Histoire de l'humanité (Moyen-age), UNESCO, Paris 1992, V3, P108).

و هناك أسواق متخصصة في نوع معين من السلع أو المصنوعات دون الأخرى قلما توجد في أي مكان آخر في الصين.<sup>1</sup>

و لقد قُدِّرَ عدد الأسواق في إحدى المدن الجنوبية للصين بعشرة أسواق منتشرة على ضفاف الجداول المتفرعة عن الأنهار، و هي مبنية كلها بالحجر، ينزل إليها التجار الأجانب و خاصة الهنود.<sup>2</sup>

كما كان بالأسواق فئة من الباعة المتجولين يبيعون أمتعتهم المختلفة كالأقمشة و الفواكه وغيرها و قد اتخذ كل واحد منهم عربة من غير دابة يدفعها بيده يعرض فيه بضائعه و يجلس عليها أحيانا.

و من حين لآخر كان التجار يستغلون أوقات فراغهم في الترفيه عن أنفسهم باللجوء إلى ألعاب القمار، إذ لا يكاد يخلو محل أو حانوت داخل الأسواق من كعاب النرد التي يلعبون بها.<sup>3</sup>

كما تم تخصيص مساحات واسعة تضاهي مساحة تلك الأسواق داخلها مخصصة للترفيه و التسلية للمارة.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> كافين رايلي: الغرب و العالم (الحضارة من خلال موضوعات) ترجمة: عبد الوهاب محمد المسيري، هدى عبد الحميد حجازي، مراجعة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، رمضان 1405هـ — يونيو 1985م، القسم الأول، ص219.

<sup>2</sup> Denys Lombard :op.cit, pp85.

<sup>3</sup> شرف الزمان المروزي: المصدر السابق، ص4.

<sup>4</sup> كافين رايلي: المرجع السابق، ص218.

فيما يخص الهند لم يعرف تنظيم الأسواق بها التطور الحضاري الذي عرفته مثيلاتها بالبلاد الإسلامية أو الصين، بل لا زالت أسواقها تحتفظ بشكلها المفتوح و طابعها البدائي.<sup>1</sup>

فإن نظام الأسواق في بعض المدن يتمثل في بناء شوارع خاصة بالدكاكين تطل على الشارع الرئيسي.<sup>2</sup>

## 2- مراقبة —ها:

لا ينبغي أن نغفل عن الدور الذي لعبته السلطة في تنظيم سير هذه الأسواق والسهر على مراقبة نشاطات المتعاملين بداخلها سواء كانوا تجارا أو صيارفة أو صناعا أو غير ذلك من أجل الحفاظ على صحة وأمن الناس وتوفير الراحة والطمأنينة لهم قبل أو بعد عملية الابتياح.

و لذلك، فقد عرفت الدولة الإسلامية منذ نشأتها نظاما خاصا بالأسواق فسخرت لها الحسبة التي تقوم على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي تشبه القضاء إلا انه تختلف معه في كونها سريعة البت في القضايا والأحكام في جميع التصرفات والمعاملات وفي شتى الميادين، وارتبطت نشأة هذه الخطة وفصلها عن القضاء في ظروف كانت الحاجة فيها إلى تغيير المنكرات في الطرقات و الأسواق بشكل جدي وحازم. ونظرا لأن

---

<sup>1</sup> أبو الحسن المسعودي: المصدر السابق، ص153.

<sup>2</sup> دراسات ألمانية حول الشرق الأوسط، ط1، تحقيق أبو جين قيرت ، تحرير و ترجمة: فؤاد ابراهيم، محمد الحجيبي، جرونت روتر، مانفرد شنايدر، ط1 المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت، 1983، ص403.

أكثر نشاطه كان ينحصر في الأسواق صار المحتسب يعرف بصاحب السوق.<sup>1</sup>

ولقد لعبت الحسبة دورا لا يستهان به في تنظيم الحياة: الاقتصادية والاجتماعية وبالأخص التجارة وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية، وقد كان أول من مارس الحسبة النبي صلى الله عليه وسلم، فهو الذي مر على السوق فوجد الطعام أعلاه سليم وأسفله مبللا فقال: "من غشنا فليس منا".<sup>2</sup>

و كان تعيين النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب على سوق المدينة وسعد ابن أبي وقاص على سوق مكة لدليل واضح على اهتمامه عليه الصلاة والسلام بتنظيم حياة الناس وشؤونهم،<sup>3</sup> و ذلك طبعاً في إطار تعاليم دينهم حرصاً على سعادتهم.

تم اتباع الخلفاء الراشدون نفس الطريق، فقد مارس عمر ابن الخطاب الحسبة بنفسه وهو خليفة للمسلمين، وقد اتسمت الفترة التي حكم فيها بالعدل والتراحم، وكان يربي الناس قولاً وعملاً، يوجه الناس ويعظهم تارة و يعزّزهم ويضرب بعضهم أن استحق ذلك كما فعل مع صاحب الجمل الذي أنقل على جملة.

<sup>1</sup> موسى لقبال: الحسبة المذهبية، ط1 (ش، و، ن، ت) الجزائر 1981 م، ص 34، 35.

<sup>2</sup> واللفظ لمسلم: "من غشني فليس مني"، (انظر الأمير الصنعاني: المصدر السابق، ص 830).

<sup>3</sup> موسى لقبال، المرجع السابق، ص 22.

ثم تطور نظام الحسبة مع مر العصور ومع اتساع مهامه حتى أنه جعل لها ديوان خاص لمحاربة بعض الآفات.<sup>1</sup>

و هكذا ظهرت الحسبة كهيئة شرعية تسهر على حل المشاكل الاجتماعية و الاقتصادية ومحاربة الآفات الاجتماعية و الاقتصادية، وكان المحتسب يعين من طرف الخليفة أو الوالي أو الوزير أو القاضي في منصبه الإداري هذا شريطة أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط أهمها: الدين والورع والعلم والوجاهة والشدة، ويكلف بالبت في القضايا التي ليست من اختصاصات القاضي إن والي المظالم أو الشرطة.<sup>2</sup>

و كان المحتسب يتخذ لنفسه سوطا و درة و طرطورا و غلمانا و أعمانا، و هذا قصد تجسيد هيئة الدولة و فرض احترام قوانينها، فيلازم الأسواق و الدروب في أوقات الغفلة، و يتخذ كذلك عيونا يوصلون له الأخبار و أحوال السوق.<sup>3</sup>

كما كان المحتسب يقوم بجولات تفتيشية مكوكية يتفقد خلالها الأسواق، وكان في اغلب الأحيان يركب دابته وحوله أعوانه ومعهم المكابيل و الموازين المعتمدة فيزن الخبز، لأن الخبز عندهم معلوم الوزن فمن وجدوه يطفف عزروه، وإذا عاد شهرخوا به ثم أخرجوه من السوق.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> موسى لقبال، المرجع السابق، ص 22.

<sup>2</sup> نفسه، ص 24.

<sup>3</sup> عبد الرحمان الشيزري: المصدر السابق، ص 10.

<sup>4</sup> نفسه، ص 35.

و لكن، لا يمكن للمحتسب أن يكون محيطا أو ملما تمام الإمام بأفعال السوق و الباعة، لذلك، جاز له أن يجعل لأهل كل صنعة عريفا من صالح أهلها، خبيرا بصناعتهم، بصيرا بغشهم و تدليسهم، مشهورا بالثقة و الأمانة، يكون مشرفا على أحوالهم و يطالع المحتسب بأخبارهم و ما يجلب إلى أسواقهم من السلع و البضائع و ما يستقر عليه من الأسعار و غير ذلك من الأسباب التي ينبغي للمحتسب معرفتها و الإحاطة بها.

و كان المحتسب أيضا يمنع تلقي الركبان، و هو الاستباق لملاقاة القوافل التجارية لشراء ما تحمله من البضائع بغرض التحكم و السيطرة على الأسواق أو احتكار طعامها، و هذا مما نهى عنه الشرع كما أسلفنا.

و من مهامه كذلك، الحرص على نظافة الأسواق و الحفاظ على نظامها الداخلي، بحيث يمنع أحمال الحطب و أعدال التبن و روايا الماء وبقايا السراجين و الرماد و أشباه ذلك من الدخول بها إلى السوق لما تلحقه من ضرر بلباس الناس، و يأمر جلابي الحطب و التبن و نحوهم بوضع أحمالهم عن ظهور الدواب إذا توقفوا داخلها، لأنها إذا وقفت و الأحمال عليها أضرتها و كان ذلك بمثابة تعذيب لها. كما يأمر أصحاب الأسواق بكنسها و تنظيفها من الأوساخ و الطين المتجمع فيها و غير ذلك مما يضر بالناس.<sup>1</sup>

و هكذا، فقد لعبت الحسبة دورا مهما في تنظيم الحياة التجارية المتجسدة في السوق نظرا لما لها من أهمية كبيرة وخاصة في المجتمع الإسلامي فهي قلبها النابض و عنوان نشاطه وحيويته.

---

<sup>1</sup> عبد الرحمان الشيزري: المصدر السابق، ص12-14.



### 3- أشهر الأسواق:

نحاول هنا أن نرصد نماذج هامة عن الأسواق في العصر الوسيط وعلى وجه الخصوص في القرن الرابع الهجري لكي تتضح الصورة أكثر حول أهمية هذه الأسواق ليس على المستوى المحلي فحسب بل على المستوى العالمي وقد كانت في نفس الوقت محطات تجارية.

#### أ- أسواق البصرة:

البصرة هي مدينة لها من المميزات الجغرافية ما يجعلها جديرة بان تكون مدينة تجارية هامة، حيث تقع على شط العرب إلى الجنوب الشرقي من بغداد على مسيرة ثلاثمائة ميل، وكانت تدعى إبان العصر الوسيط بلسوره (BALSORA)،<sup>1</sup> فبوقوعها عند مصب نهري الدجلة والفرات اللذان يعتبران الطريقان المائيان الكبيران لتجارة البلدان الواقعة بجوارهما وحولهما لأنها تعتبر نقطة اتصال بين العرب والعجم، وملتقى الطرق الصحراوية من نجد إلى الشام.<sup>2</sup>

و من أراد العراق فما عليه إلا أن يمر بالبصرة، فهي محط القوافل التجارية. فالبصرة إذا من مدن العراق ولكنها ليست قديمة، وإنما اختطت وبنيت في الفترة الإسلامية كما جاء: " فان مدينة البصرة مدينة عظيمة لم تكن في أيام العجم وإنما اختطها المسلمون أيام عمر ابن الخطاب ومصرها "عتبة بن غزوان".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> دائرة المعارف الإسلامية: المرجع السابق، ج3، ص 668.

<sup>2</sup> دائرة المعارف الإسلامية: المرجع السابق، ج3، ص 668.

<sup>3</sup> أبو القاسم ابن حوقل: المصدر السابق، ص 212.

و لقد اختلف في السنة التي أسس فيه عتبة بن غزوان البصرة،  
أكان سنة 16 هـ (637 م) أم سنة 14 هـ (635 م) والأرجح أنه في سنة 14 هـ.<sup>1</sup>

و كانت البصرة في بداية الأمر معسكرا للجيش الإسلامي، وقد  
أنشئت لذلك الغرض سنة 14 هـ (635 م).<sup>2</sup>

و لكنها ما لبثت أن أصبحت من المراكز التجارية الهامة في العالم،  
و ظلت بموقعها الممتاز عند التقاء دجلة والفرات على رأس الخليج الفارسي  
من أهم المحطات للتجارة الشرقية، وتتصل المدينة بالنهر بقناتين يصلانها  
ببغداد والخليج الفارسي، وبالمدينة سوق ضخم وجمر.<sup>3</sup>

فأصبحت البصرة بكاملها و كأنها سوق ضخمة تلتقي عندها  
تجارات العالم، كما كان بها مخازن ومستودعات للمتاجر الشرقية والغربية،  
وتنتهي عندها بعض طرق القوافل، وشهدت المدينة أزهى عصورها طوال  
العصور الوسطى، فهي مخرج تجارة العراق وتتصل بالصين والهند برا  
وبحرا كما تتصل بالشام واسيا الصغرى، حتى أنها وصفت «بمانشستر الجزء  
الجنوبي من ارض الجزيرة»،<sup>4</sup> فلا غرابة في أن توصف بهذه الأوصاف  
الحميدة، والتي لا تليق إلا بالمدن العظيمة مثل البصرة وقد كانت تدعى عندما  
بدأ سيطها يذيع: " أرض الهند"،<sup>5</sup> لأنها كانت على اتصال مستمر ببلاد الهند

<sup>1</sup> لحافظ ابن كثير: المصدر السابق، ج 7، ص 47-48.

<sup>2</sup> دائرة المعارف الإسلامية، ج 3، ص 668.

<sup>3</sup> نعيم زكي: طرق التجارة الدولية، المكتبة العربية القاهرة 1393 - 1973م، ص 122.

<sup>4</sup> نعيم زكي: المرجع السابق، ص 122.

<sup>5</sup> لحافظ بن كثير: المصدر السابق، ص 48.

عن طريق التجار، وخاصة التجار العرب والمسلمين، وكأنها أصبحت هي والهند بلاد واحدة، وهذا كذلك يرجع إلى العلاقات التاريخية التي كانت بين المنطقتين كما أسلفنا الذكر ( ونقصد هنا الهند والعراق بصفة عامة).

و يحضرننا هنا قول عمر ابن الخطاب لعتبة بن غزوان حين ولّاه البصرة: «إني استعملتك على أرض الهند».<sup>1</sup>

و ممّا زاد من أهمية البصرة اشتهار أهلها بالتجارة منذ القدم والترامي في الأسفار البعيدة وضربا في الأرض طلبا للرزق والطموح للشراء.<sup>2</sup>

وليس من باب الصدفة أن يكون أول من ألف حول التجارة<sup>3</sup> هو الجاحظ وهو من أهل البصرة وهو الذي يقول: «يقال ليس في الأرض بلدة واسطة ولا نائية، شاسعة ولا طرف من الأطراف إلا وأنت واجد بها المدني والبصري و الحيري».<sup>4</sup>

ولعل شهرة البصرة تكمن أيضا في أهمية الأسواق التي تحتضنها، وتقيمها بحيث تحتوي على عدد هائل من الأسواق فمنها اليومية والأسبوعية<sup>5</sup>

---

<sup>1</sup> لحافظ بن كثير: المصدر السابق، ص 48.

<sup>2</sup> سعيد الأفغاني: المرجع السابق، ص 402.

<sup>3</sup> ألف الجاحظ كتاب هام حول التجارة سماه التبصر بالتجارة، يذكر فيه البضائع التي كان يتاجر فيها العرب.

<sup>4</sup> أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري: البخلاء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر 1997 الجزائر، ص 226.

<sup>5</sup> آدم متر: المرجع السابق، ص 798.

و يذكر لنا المقدسي بعض هذه الأسواق قائلا: « وأسواقها ثلاثة: قطع الكلاً على النهر، وسوق الكبير، وباب الجامع، وكل أسواقها حسنة والبلد أعجب إلي من بغداد».<sup>1</sup> و يبدو أن جل أسواق البصرة موجودة على جوانب وشواطئ الأنهار والسبب في ذلك أن غالبية البضائع وخاصة الثقيلة منها كالخشب، تحمل على القوارب نظراً لسعتها وسرعتها مع مجاري الأنهار وبالتالي بقدر ما تكون قريبة من النهر بقدر ما تقل تكاليف النقل، ويخف عناء حملها و التنقل بها.

و كانت أغلب البضائع تحمل على نهر الفرات الذي كان صالحاً للملاحة،<sup>2</sup> وكانت أكبر شبكة من النهيرات الصغيرة حتى قيل أن عددها فاق المائة وعشرين ألف نهر تجري فيها الزواريق الصغيرة،<sup>3</sup> مما يشكل شبكة هامة من المواصلات المائية.

و قد سمحت هذه الشبكة من النهيرات الصغيرة ظهور أسواق على ضفافها مما عجل بتشكيل أحياء تجارية هامة، حتى أن هذه الأحياء أصبحت مع مرور الزمن مدن تجارية صغيرة متفرعة عن البصرة ترد إليها الأمتعة من مختلف الأقطار، ولذلك يقول بن حوقل: «وللبصرة من استفاضة الذكر بالتجارة والمتاع و المجالب والجهاز إلى سائر الأقطار ما يستغني بشهرته

---

<sup>1</sup> البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص 117.

<sup>2</sup> آدم متز: المرجع السابق، ص 807.

<sup>3</sup> نفسه، ص 808.

عن إعادة ذكر فيه، ولها من المدن: عبادان<sup>1</sup> و الأبله والمفتح و المذار<sup>2</sup> في مجاري مياه الدجلة، وهي مدن صغيرة ومتقاربة في الكبر عامرة<sup>3</sup>.

و أكبر هذه المدن وأشهرها الأبله كما يقول ابن حوقل: « و الأبله أكبرها وأفسحها رقعة وهي أحد حدود البصرة من جهة نهرها، و الأبله من بينها عامرة، و بها أسواق صالحة»<sup>4</sup>.

و لكن هناك سوق كبيرة في البصرة فريدة عصرها تميزت عن غيرها من الأسواق كونها أنها الوحيدة التي ورثت خصائص أسواق الجاهلية فأصبغتها صبغة إسلامية أعطتها نفحة حضارية، حق أصبحت مرآة تعكس حياة العرب في الجاهلية، في قالب إسلامي رائع، تلك هي سوق " المربد". وأهل كلمة المربد هو محبس الإبل أو عطنها، ويطلق كذلك على بيدر التمر لأنه يربد فيه ويعرض للشمس<sup>5</sup>.

و مربد البصرة متسع للإبل تربد فيه للبيع، أي أنها كانت في الأصل سوقا للإبل<sup>6</sup>، وتقع على بعد ثلاثة أميال من البصرة غربا أي بجوار

---

<sup>1</sup> عبادان مدينة صغيرة في جزيرة بين دجلة العراق ونهر خوزستان على البحر، كان فيها عباد صالحون واغلبهم صناع، وكانت المدينة تشتهر بالحصر العبادانية، ( انظر البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص 118).

<sup>2</sup> المذار: بالعراق وهي مدينة ميسان على ضفة دجلة، ( انظر محمد الحميري: المصدر السابق، ص 530 ).

<sup>3</sup> أبو القاسم ابن حوقل: المصدر السابق، ص 214.

<sup>4</sup> نفسه.

<sup>5</sup> سعيد الأفغاني: المرجع السابق، ص 408.

<sup>6</sup> نفسه، ص 407.

بابها الغربي<sup>1</sup> فبدأت الحياة التجارية تدب فيها شيئاً فشيئاً في عهد الخلفاء الراشدين، وكان أغلب ما يتاجر فيها التمر والإبل والسلاح والغنائم التي كان يجلبها الفاتحون معهم ثم يبيعونها فيها.<sup>2</sup>

و لقد نجم عن فتح فارس وما حولها من إغراق هذه الأسواق بالغنائم المتنوعة، فما تحصل عليه المسلمون بعد فتح المدائن من الأموال و الحواصل و التحف قد بلغت حدا لا يوصف كثرة وعظمة، فقد كان يأتي بعضهم دور وقصور الفرس فيجدون في بيت واحد أواني الذهب والفضة قد ملأت أعلاه.<sup>3</sup>

ناهيك عن إيوان كسرى الذي وجدوا فيه من الجواهر والحلي ما يعجز اللسان على وصفها<sup>4</sup> الشيء الذي بعث الحيوية في أسواق العراق وخاصة كما قلنا سوق المربد، التي عرفت انتعاشا كبيرا في أيام الراشدين.

و في عهد الأمويين تحولت سوق المربد إلى سوق عامة كبيرة قد بلغت شهرتها الأفاق، ولم تكن تقتصر على عرض البضائع وبيعها، بل كانت مجالا لعرض ما جادت به قرائح الأدباء والشعراء واللغويين والنحويين، ومحل تفاخر القبائل التي تعرض أشعارها ومفاخرها، حق أصبحت مجتمع

---

<sup>1</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 167.

<sup>2</sup> سعيد الأفغاني: المرجع السابق، ص 419.

<sup>3</sup> الحافظ ابن كثير: المصدر السابق، ص 67.

<sup>4</sup> نفسه، ص 66.

العرب و متحدثهم ومنتزه البصريين، حتى أنها أضحت تدعى "عكاظ الإسلام".<sup>1</sup>

و قد بلغت في أيام العباسيين عصرها الذهبي، حيث أصبحت محط القوافل الغادية والرائحة من وإلى مختلف الأقطار والأمصار، وقد كانت يومئذ المستودع الكبيرة لتجارة المحيط الهندي.<sup>2</sup>

و قد كانت المتاجر والبضائع المستوردة من مختلف الأمصار وخاصة من الهند تختزن فيها وتوزع على مراكز مختلفة من العالم الإسلامي.<sup>3</sup>

و كانت الأرصفة تزين ذلك الموضع بحيث تجعل له منه اقرب ما يكون إلى حي كبير للأعمال بأسواقه ومحلاته المتنوعة وحياته الثقافية الحافلة لوجود الجامع الكبير ومكتبات الوراقين.<sup>4</sup> مما يدل على وجود حياة ثقافية و اقتصادية وحضارية تزخر بها المنطقة.

و قد أصبح الحديث في ذلك العهد حول البصرة لإ يدور إلا على مركزين هامين فيها وهما الأبله والمربد، فالأبله تستقبل السفن التجارية والمربد تستقبل القوافل التجارية.<sup>5</sup> ولكن في غالب الأحيان يصعد ما في الأبله إلى المربد.

<sup>1</sup> سعيد الأفغاني: المرجع السابق، ص 407.

<sup>2</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 167.

<sup>3</sup> السيد مقبول: المرجع السابق، ص 122.

<sup>4</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 167.

<sup>5</sup> دائرة المعارف الإسلامية، ج 3، ص 670.

فَعِنْدَهَا تَتَصَبُّ الْأَسْوَاقُ وَتَتَفَرَّدُ كُلُّ سَوْقٍ بِبِضَاعَتِهَا أَوْ صِنَاعَتِهَا، فَتَعْرُضُ الْبِضَاعَةُ الْمَحَلِّيَّةُ وَالْمُسْتَوْرَدَةُ عَلَى السَّوَاءِ، فَيَحْصُلُ التَّبَادُلُ التِّجَارِيُّ فَيَكُونُ الْعَرْضُ وَالطَّلَبُ أَكْثَرَ مَا يَكُونُ فِي هَذِهِ السُّوقِ الْبَيْعُ بِالْجُمْلَةِ وَبِأَثْمَانٍ جَذَابَةٍ لِيُضْمَنَ التِّجَارُ بَيْعَهُمْ وَأَحْيَانًا تَكُونُ الْمَزَايِدَةُ عَلَى التَّحْفِ النَّاذِرَةِ.<sup>1</sup>

و كَانَ النِّشَاطُ التِّجَارِيُّ يَسْتَمِرُّ فِي الْبَصْرَةِ دَائِمًا طَوَالَ الْيَوْمِ عَلَى مَرَاحِلَ وَفِي جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ كَمَا يَذْكُرُ الرَّحَالَةُ خَسْرُو: «وَيُنْصَبُ سَوْقٌ فِي الْبَصْرَةِ فِي ثَلَاثِ جِهَاتٍ: كُلُّ يَوْمٍ: فِي الصَّبَاحِ يَجْرِي التَّبَادُلُ فِي السُّوقِ خَزَاعَةً، وَفِي الظَّهْرِ فِي سَوْقِ عُثْمَانَ وَفِي الْمَغْرِبِ فِي سَوْقِ الْقَدَاحِينَ».<sup>2</sup>

و هَكَذَا أَصْبَحَتِ الْبَصْرَةُ كَمَا يَقُولُ الْيَعْقُوبِيُّ: «و الْبَصْرَةُ كَانَتْ مَدِينَةَ الدُّنْيَا وَ مَعْدَنُ تِجَارَتِهَا».<sup>3</sup> لَا تَتَامُ عَيْنٌ فِيهَا وَلَا تَسْتَيْقِظُ إِلَى عَلَى سَكُونٍ أَوْ صَخْبِ التِّجَارِ فِيهَا.

## ب- أسواق بغداد:

بغداد حاضرة العراق،<sup>4</sup> وتدعى أيضا مدينة السلام، أحدثت في الإسلام، وبالضبط في العصر العباسي كما يذكر ابن حوقل: «ومدينة السلام

<sup>1</sup> السيد مقبول: المرجع السابق، ص 122.

<sup>2</sup> ناصر خسرو: المصدر السابق، ص 146.

<sup>3</sup> أحمد بن يعقوب بن واضح اليعقوبي: كتاب البلدان، مطبع بريل مدينة ليدن المحروسة 1891م، ص 323.

<sup>4</sup> دائرة المعارف الإسلامية، ج 4، ص 3، 4 و ما بعدها.



محدثه في الإسلام، ابتناها أبو جعفر المنصور بالجانب الغربي من دجلة، وجعل حواليتها قطائع لحاشيته ومواليه وأتباعه».<sup>1</sup>

و لقد أنشئت هذه المدينة الجليّة على أنقاض مدينة بابل أو بالقرب منها، ولقد جاء في الأعراق النفيسة: "مدينة السلام وهي المسماة بغداد، اسم لموضع كانت في تلك البقعة من قبل، زعموا انه موضعاً للأوثان والأصنام في الدهر القديم، وهي أرض بابل أقدم هذه المواضع كلها وكانت الملوك الأوائل تنزل بها من قبل".<sup>2</sup>

و أصل كلمة بغداد كما يقول لومبارد: «نتج عن عبارة دينية إيرانية هي "بغ - داذ" أي هبة الله".<sup>3</sup> وهذا الاشتقاق يشابه تعريف الحميري: «و بغداد بالفارسية عطية الصنم، لان بغ صنم، و داذ عطية».<sup>4</sup>

و لكنه من جانب آخر يسرد لنا تعريفاً آخر مغايراً له حيث يقول: «باغ بالفارسية هو البستان الكثير الشجر، و "داذ" معطي فمعناه معطي البساتين».<sup>5</sup>

---

<sup>1</sup> أبو القاسم بن حوقل: المصدر السابق، ص 215 و ما بعدها.

<sup>2</sup> أحمد ابن رسته: المصدر السابق ص 108.

<sup>3</sup> موريس لمبارد، المرجع السابق، ص 170.

<sup>4</sup> محمد الحميري: المصدر السابق، ص 110.

<sup>5</sup> نفسه.

ثم يذكر لنا تسمية بغداد بمدينة السلام مشتقة من نهرها: «وإنما سميت مدينة السلام لأن دجلة كان يقال له وادي السلام، فقل لبغداد مدينة السلام».<sup>1</sup>

و أما بالنسبة لموقع بغداد كما يذكر ابن جبیر: «جانبان شرقي وغربي ودجلة بينهما»،<sup>2</sup> بحيث تقع عند تقاطع ثلاث طرق نهرية وطريقين بريين، فالطرق النهرية تقود شمالا نحو حوض الدجلة الأعلى إلى الموصل وأرمينية، ونحو الشمال الغربي بواسطة نهر عيسى ونهر الفرات إلى بلاد الشام، ونحو الجنوب الشرقي بواسطة الدجلة وشط العرب إلى الخليج العربي.

أما الطرق البرية فتؤدي باتجاه الشمال الشرقي إلى إيران وآسيا الوسطى ونحو الجنوب الشرقي إلى جزيرة العرب.<sup>3</sup>

و لم تكن لبغداد قبل الإسلام سوى أهمية محلية، وان كانت مأهولة حينئذ لوجود قصر ساساني بها،<sup>4</sup> كما توجد بها بعض الأديرة النصرانية كما جاء في كتاب البلدان: «ولم يكن ببغداد سوى دير على موضع مصب السراة إلى الدجلة».<sup>5</sup>

---

1 محمد الحميري: المصدر السابق، ص 110.

2 أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبیر: رحلة ابن جبیر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، سلسلة أنيس 1988م، ص 197.

3 موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 168.

4 نفسه، ص 170.

5 أحمد بن يعقوب اليعقوبي: المصدر السابق، ص 235.

إلا أنها كانت أيام الفتح الأولى لفارس سوقا، ونستشف ذلك خلال الغارة التي شنّها المثنى قائد الجيش الإسلامي على سوق بغداد انتقاما من خيانة أهل المنطقة له عندما نقضت العهود وامتنعت عن دفع الجزية، فأمر المثنى الجنود بألا يأخذوا من السوق إلا الذهب والفضة والأمتعة الحسنة التي يقدرّون على حملها.<sup>1</sup>

و أول من بنى المدينة هو أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس، فوقف يوما عند موضعها قبل أن يؤسسها فقال: «ما اسم هذا الموضع؟ قيل له بغداد فقال: هذه والله المدينة التي أعلمني أبي (محمد بن علي) أنني أبنيتها وأنزلها وينزلها ولدي من بعدي ولقد غفلت عنها الملوك في الجاهلية والإسلام».<sup>2</sup> فأمر المنصور ببنائها في الجانب الغربي من الدجلة و أنفق عليها الأموال العظيمة التي قدرت بأربعة آلاف دينار، كما أمر بنقل أبواب واسط إليها لتركب حولها، و بنى قصرا عظيما في وسطها، يقال أن دوره اثنتا عشرة قصبة، و في داخله يقع الجامع، و قصر المهدي يقابل قصر المنصور في الضفة المقابلة و هما في مدينتين يسقيهما نهر الدجلة و بينهما جسر من السفن. بالإضافة إلى العمارات و البنايات و المرافق الأخرى التي تم تشييدها سواء في عهد المنصور أو في عهد الأمراء الذين جاؤوا من بعدهم، فقد كانت بغداد أيام البرامكة مدينة عظيمة حيث بلغ عدد حمامتها آنذاك ستين ألفا.<sup>3</sup>

---

1 احمد عادل: المرجع السابق، ص 455.

2 أحمد اليعقوبي: المصدر السابق، ص 237 وما بعدها.

<sup>3</sup> سراج الدين أبي حفص عمر بن الوردي: خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ط3، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان 1991م، ص 55-56.

إِذَا، فقد تم تأسيس هذه المدينة في عام 145هـ - 762 م واستدعي إليها الصناع من كل حذب وصوب والمختصين بشؤون العمران وبنوها خلال أربعة أعوام على شكل دائري محاطة بالأسوار ومزودة بأبراج، ولها أربعة أبواب.<sup>1</sup>

لتصبح في ظرف قصير من أكبر المدن: الاقتصادية، وعاصمة سياسية واقتصادية لأكثر وأعمر خلافة إسلامية على مر العصور، حتى وصفت "بمصر الإسلام".<sup>2</sup>

و لذلك، فقد افتح اليعقوبي كتابه " البلدان " بذكر مدينة بغداد، فقال وهو يعلل ذلك: «وإنما ابتدأت بالعراق لأنها وسط الدنيا، و سرة الأرض، وذكرت بغداد لأنها وسط العراق والمدينة العظمى التي ليس نظير في مشارق الأرض ومغاربها سعة وكبرا وعمارة وكثرة مياه وصحة هواء».<sup>3</sup>

فقد كان بناء بغداد حدثا تاريخيا هاما في تاريخ العلاقات العربية الهندية التجارية إذ انه للمرة الأولى «تصبح عاصمة الدولة العربية على اتصال مباشر بالبحر العربي عن طريق نظام مائي يعتمد على نهري دجلة والفرات اللذين كان يصبان في الخليج مجتمعين».<sup>4</sup>

---

1 موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 170.

2 البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص 119.

3 نفسه، ص 233.

4 السيد مقبول: المرجع السابق، ص 121.

كما أدى تأسيس مدينة بغداد إلى انطلاقة حاسمة للتجارة البحرية تجاه الشرق الأقصى، فاتجه المسلمون إلى ما تسمى اليوم كوريا بقسميها الشمالي و الجنوبي، و أقاموا مستعمرات نشطة في كانتون و في الجنوب الغربي للهند.<sup>1</sup>

إضافة إلى ذلك، فقد كانت بغداد وسيطا بين شرق الرقعة الإسلامية و غربها، بل وسيطا بين أقطار عالمية غير مسلمة بفضل ما كانت تنتجه و تستورده مما لا يأتي لأقطار أخرى أن تحصل عليه بسهولة.<sup>2</sup>

و قد جعلها موقعها الجغرافي الممتاز مركزا تجاريا هاما في المنطقة العربية، حيث يتربع على منطقة تغذيها الطرق المائية والمتمثلة في دجلة والفرات والتي يصلانها بالطرق البحرية،<sup>3</sup> الشيء الذي جعلها منطقة مزدهرة بالتجارة والعمران نظرا لتوافد الناس عليها، وكما تعتبر أيضا ملتقى الطرق التجارية البرية والبحرية العالمية وهذا ما لمسناه ما سقاه لنا اليعقوبي في معرض حديثه عن بغداد: « ولأنها سكنها من أصناف الناس وأهل الأمصار و الكور وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية، أثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم فليس من أهل بلد إلا ولهم فيه محلة ومتجر ومتصرف، فاجتمع بها ما ليس في الدنيا ثم يجري في حافتيها النهران الأعظمان دجلة والفرات فيأتيها التجارات و المير برا وبحرا بأيسر السعي من أرض الإسلام، ومن غير أرض الإسلام».<sup>4</sup>

<sup>1</sup> أندريه ميكيل: المرجع السابق، ص 184.

<sup>2</sup> إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 159.

<sup>3</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 133.

<sup>4</sup> أحمد اليعقوبي: المصدر السابق، ص 233 و ما بعدها.

وقامت المدينة في بداية الأمر مستديرة متحلقة حول القصر والجامع الكبير ثم بالتعاقب حول بيوت الوجهاء والوزراء وحاشية الخليفة، وكانت هناك أربعة شوارع رئيسية تقطع المدينة من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، ومن الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي.

و مباني بغداد معظمها من القصب والطوب و الكلس والجبس، يفسدها هوائها، فلا تكاد تمر فترة من الزمن حتى تتضرر بناياتها من شدة العوامل الطبيعية، حتى أن الرخام يتشقق من الحر.<sup>1</sup>

و قد أدى الاكتظاظ السكاني، وكثافة المتاجر والحوانيت في الدروب والأزقة وتحت القناطر إلى معاناة مدينة بغداد من الضيق والازدحام، وخاصة مع توافد المسافرين والتجار الأجانب، إلى محاولة توسعة المدينة، فاندفعت نحو اتجاهين متعاكسين أوله نحو الجنوب حيث يقوم ربض الكرخ وهو حي للتجارة والصناعة، ثانيه إلى ما وراء نهر دجلة الذي يجتازه جسر من المراكب حيث كان يقوم الحي السكني بعيد عن الجمهور الصاخب، وحيث كانت توجد في جانبه قصر الخلافة، وقد بدأت حركة الاتساع هاته سنة 768م.

و في ظرف ثلاثين عاما أي في مطلع القرن التاسع الميلادي أصبحت بغداد مدينة عظيمة كثيفة السكان ممتدة على عشرة في تسعة كيلومترات أي بما يعادل مدينة باريس وضواحيها.<sup>2</sup>

<sup>1</sup>موريس لومبارد: المرجع السابق ، ص 170.

<sup>2</sup> نفسه، ص 171.

و على هذا الأساس قامت أسواق كبيرة في بغداد، وقد خصص لمثل هذه الأسواق أمكنة خاصة خارج المدينة.<sup>1</sup>

مثلاً حدث للبصرة عندما جعل سوقها الكبير المربد خارج المجمعات السكانية، ومن أعظم هذه الأسواق وأجلها وأشهرها: "سوق الكرخ" التي تقع كما قلنا جنوب بغداد عند إحدى أبوابها في موضع يدعى ربض الكرخ، يقول عنها اليعقوبي: «و الكرخ السوق العظمى مادة من قصر وضاح إلى سوق الثلاثاء طولا بمقدار فرسخين، ومن قطيعة الربيع إلى دجلة عرضا مقدار فرسخ»،<sup>2</sup> و قد كانت من قبل طريقا إلى بغداد.<sup>3</sup> و كلمة كرخ أصلها باللغة الأرمينية "كركا" أي السوق.<sup>4</sup>

و لقد كانت هذه السوق في غاية التنظيم والدقة والانضباط في احترام القانون الداخلي للسوق من طرف التجار، فقد وصفها لنا اليعقوبي في كلمات معدودات وصفا دقيقا وجميلا: "فلكل تجار وتجارة شوارع معلومة، وصفوف في تلك الشوارع وحوانيت و عراص، وليس يختلط قوم بقوم، ولا تجارة بتجارة ولا يباع صنف مع غير صنفه، ولا يختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيره وكل سوق منفرد، وكل أهل منفردون بتجارتهم وكل أهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> عبد الرحمان ابن خلدون: المصدر السابق، ج 3، ص 249، 250.

<sup>2</sup> أحمد اليعقوبي: المصدر السابق، ص 246.

<sup>3</sup> أحمد عادل: المرجع السابق، ص 288.

<sup>4</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 170.

<sup>5</sup> أحمد اليعقوبي: المصدر السابق، ص 246.

وهذه الصفة يمكن أن تقول غالبية على جل أسواق العراق، وهذا التشابه ربما يأتي إما بالتأثير، فتتأثر الأسواق بالسوق المثالية التي تعطي مثالا عن نظامها وجمالها ونظافتها، وتكون محل الإقتداء مثل هذه السوق أي "الكرخ" أو أن السلطة المحلية هي التي تؤثر فتعرض نموذجا معيناً لها، وإما أن يأتي ذلك عن طريق التنافس بين المناطق والأنحاء و المدن، مع العلم أنه كان يقام عند كل باب سوقاً ترتبط شهرتها باسم تلك الباب مثل باب الكرخ، أو باب الشام، والتي يقول عنها اليعقوبي: "والسوق المعروفة بسوق الشام وهي سوق عظيمة، فيها جميع التجارات والبياعات، ممتدة ذات اليمين وذات الشمال أهلة عامرة الشوارع والدروب".<sup>1</sup>

وأما الحي التجاري الرئيسي في الجانب الشرقي من بغداد فهو: "باب الطاق" في طرف الجسم المركزي، ومنه يتفرع سوقان: "سوق الأساكفة" و "سوق الطيب" حيث تباع العطور والزهور، ووراء هذه السوق تقع سوق الطعام وفيها محلات للخبازين والقصابين.<sup>2</sup>

و لقد لعبت المجاري المائية أيضا في ترقية التبادل التجاري في المنطقة، وكانت حركة الملاحة كبيرة على نهر دجلة الذي يمر على بغداد، فكانت البضائع تتحدر من أرمينية إلى الموصل ثم تكون محطتها الرئيسية ببغداد.<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> أحمد اليعقوبي: المصدر السابق، ص 248.

<sup>2</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 134.

<sup>3</sup> آدم متر: المرجع السابق، ص 809.



كما تصعد إلى بغداد عبر المجاري المائية أيضا بضائع و منتجات البصرة، واسط و البطائح<sup>1</sup> و سلع الهند على المراكب، وقد عدد لنا المغربي هذه السلع: " وأرخص ما فيها التمر الذي يجلب من البصرة والأرز وقصب السكر الذي يجلب من البطائح، وجهات واسط فيها التفاح الواسطي، والعنب الرازقي، وال نارنج القروي والليمون البعقوبي، والورق البغدادي والأقلام الواسطية وتصعد إليها المراكب ببضائع الهند في دجلة".<sup>2</sup>

و كانت بغداد في عهدها المزدهرة تشبه مدينة البندقية بإيطاليا، وذلك لأنها كانت تظهر وكأنها عائمة في النهر، والناس تغدو وتروح في قواربهم في حيوية ونشاط وصخب، وكانت السفن التي تنقل البضائع تقف عند أسواق عديدة، وقد يصل عدد هذه السفن أحيانا ثلاثين ألفا، ويقدر كسب ملاحها من جراء نقلهم للناس والبضائع كل يوم بتسعين ألف درهم.<sup>3</sup>

و مهما تكلمنا عن بغداد وأسواقها و حيويتها، فلا نستطيع إن نفيها حقها والمهم هنا هو أن تجار كل بضاعة كانت لهم سوق خاصة بهم، وأن القسم الغربي من بغداد كان أحسن في التجارة من القسم الشرقي وأن بغداد في مجملها عاصمة العراق التجارية وإليها تجلب البضائع من أنحاء العالم.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> البطائح الأراضي المنخفضة تشبه المستنقعات والتي يرمي الفرات إليها فضلاته وتقع أمام الكوفة وتسمى كذلك بطائح الكوفة، ( أنظر ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 156).

<sup>2</sup> ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص 158.

<sup>3</sup> آدم مترز: المرجع السابق، ص 809.

<sup>4</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 134.

و هذا يصدقه قول اليعقوبي: "فإنه يحمل إليها من الهند و السند والصين والتبت والترك و الديلم و الخزر<sup>1</sup> و الحبشة وسائر البلدان حتى تكون بها من تجارات البلدان أكثر مما في تلك البلدان التي خرجت التجارات منها، ويكون مع ذلك أوجد وأمكن، حتى كأنها سيقت إليها خيرات الدنيا، وجمعت فيها ذخائر الدنيا وتكاملت بها بركات العالم".<sup>2</sup>

و نختم كلاما عن بغداد بهذه المقولة الحسنة: " الدنيا بادية وبغداد حاضرتها".<sup>3</sup>

و المهم هنا أن هذين النموذجين الرائعين للمدن التجارية الإسلامية وأسواقها وخاصة على مستوى بلاد الرافدين يؤدي بنا بأن نقول: أن أكثر هذه المدن وأسواقها نجاحا هي التي يعرف كيف يستغل أهلها موقعها وخاصة إذا كان موقعها استراتيجيا في الاتصال مع غيرهم من الأمم للاستفادة من خبراتها ومعارفها وتبادل المنافع معها، هذا من جهة ومن جهة أخرى حسن التسيير والتنظيم، وهذا على كل لا يأتي إلا بالصرامة في اتخاذ الإجراءات وتطبيق القانون مع استغلال القدرات والإمكانات والخيرات التي تزخر بها المنطقة، وعدم فرض قيود اقتصادية على التجارة خاصة.

و بالتالي فإن استغلال الفرص: الاقتصادية وتوظيفها توظيفا حسنا يؤدي حتما إلى الازدهار والرفاهية. فاستغلال التبادل التجاري بين العراق والهند، وفر لأسواق العراق فرص العمل والنشاط والكسب لأفراد المجتمع

<sup>1</sup> تقع بلاد الخزر شمال بحر الخزر، (أنظر : سراج الدين بن الوردی، المصدر السابق، ص151).

<sup>2</sup> أحمد اليعقوبي: المصدر السابق، ص 234.

<sup>3</sup> الحافظ ابن كثير: المصدر السابق، ص 102.

فصارت هناك ديناميكية اقتصادية في المدن التجارية، فكانت أكثر الشوارع عمراناً وأغناها هي التي يتجر الناس فيها في البضائع الغالية الثمن كالمعادن النفيسة والذهب والفضة ومواد الترف بمختلف أشكالها.<sup>1</sup>

## (II) الأوزان و المكايل:

تعتبر الأوزان و المكايل أساس المعاملات التجارية و الاقتصادية بين الناس، و رمزاً للعدالة و الإنصاف بينهم، و بما أن المسلمين جاؤوا برسالة واضحة المعالم و الأهداف، و التي من ضمن أهدافها تحقيق هذه العدالة في كل مناحي الحياة حتى في الأوزان و المكايل، فقد حرص الحكام المسلمون في مختلف العهود حمايتها من كل أساليب الغش و التطفيف واضعين نصب أعينهم النهي الصريح الذي جاء به القرآن الكريم ضمن سورة سميت باسم المطففين الذين يطففون في المكايل و الموازين و التي حملت الوعيد الشديد لهم.

لذلك، فقد عرفت المجتمعات الإسلامية عدد معتبرا من أصناف الأوزان و المكايل الدقيقة و المدروسة، فكان الصاع و المد و المكوك. و لقد انتشرت في شتى البقاع الإسلامية و خاصة في شبه الجزيرة و ما حولها، فقد أوردها لنا المقدسي مبينا و شارحا لكل واحد منها قائلا: « و مكايل هذا الإقليم الصاع و المد و المكوك، فالمد ربع الصاع، و الصاع ثلث المكوك، هذا بالحجاز وهي مختلفة، المستعمل منها يزن خمسة أرطال وثلثاً. و سمعت

<sup>1</sup> حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ط 1، الزهراء للإعلام العربي القاهرة 1307-1987م، ص 294.

الفقيه أبا عبد الله بدمشق يقول لما حج أبو يوسف ودخل المدينة رجع عن شيئين إلى مذهبهم أحدهما الأذان قبل الفجر، والثاني تقدير الصاع.

و أما الصاع الذي قدره عمر بمشهد الصحابة وكان يكفر به إيمانه فهو ثمانية أرطال، إلا أن سعيد بن العاصي رده إلى خمسة وثلاث، إلا ترى إلى قول الراجز:

و جاءنا مجوعاً سعيد ... ينقص في الصاع ولا يزيد

و لهم بالمراكب صاعان يعطون بأحدهما جرايات الملاحين ويتعاملون بالكبير. وأرطالهم بمكة هو المن المعروف في جميع بلاد الإسلام غير أنهم يسمونه رطلاً، ورطل يثرب إلى قرح مائتا درهم، ورطل اليمن بغدادي، ولعمان المن، وبقية الإقليم بغدادي، ولهم البهار وهو ثلاثمائة رطل.<sup>1</sup>

لذلك، فقد اصْطُلِحَ أهل كل إقليم و بلد في المعاملة على أرطال تتفاضل في الزيادة و النقصان.<sup>2</sup>

لكن بعض الدراسات أشارت إلى أنّ الرطل تختلف قيمة وزنه من منطقة إلى أخرى، ففي مكة كان يساوي 120 درهم، بينما كان يساوي 130 ببغداد و 600 بدمشق و 800 بالقدس.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> البشاري المقدسي، المصدر السابق، ص ص 98:99.

<sup>2</sup> عبد الرحمان بن النصر الشيزري، المصدر السابق، ص 15.

<sup>3</sup> Aly Mazahéri: op.cit, p211.

### (III) المبادلات التجارية:

كما ذكرنا آنفا في مقدمة عرضنا أن التجارة العربية الإسلامية، كانت في القرن الرابع الهجري مظهرا من مظاهر أبهة الإسلام، بحيث كان التوسع في الطلب على الاستهلاك ناجم عن نشوء مدن ضخمة ذات حاجات كثيرة الإلحاح، سواء من حيث الكمية أو النوعية بسبب ارتفاع مستوى المعيشة، ولكن أيضا بوجود استهلاك مترف، ناتج عن مطالب القصور الملكية والطبقات الغنية.

فمن الأولى أن نعمل على إبراز قائمة السلع والبضائع التجارية الخاصة بـأماكن إنتاجها أو استهلاكها، وذلك بتحديد أهم الصادرات والواردات بالنسبة للعراق مع الهند.

#### (1) الواردات:

كانت السلع الهندية كثيرة الاستهلاك والرواج في كل البلاد العربية، كانت تباع وتشترى في كل الأسواق،<sup>1</sup> لأنها كانت متنوعة ومتوفرة بكثرة، نظرا للتقارب الجغرافي الموجود بين المنطقتين، أما البضائع الصينية فكانت ذات إقبال كبير هي أيضا، نظرا لندرتهما، كالحرير والورق وغيرهما.

و من أهم السلع والبضائع التي كانت العراق تستوردها من الهند: فمن السند تجلب أمتعة هامة، لا تقل أهمية عن أمتعة الهند لا سيما وأن هذا الإقليم معروف بخيراته كما جاء على لسان المقدسي: « هذا إقليم الذهب و التجارات والعقاقير والآلات والخيرات و الأرزاز والعاجيات، به رخص،

<sup>1</sup> المبارك فوري: المرجع السابق، ص 21.

وسعة نخيل وتمرّات، وعدل وإنصاف، وسياسات، و به خصائص وفوائد  
و بضاعات، ومنافع ومفاخر، ومتاجر وصناعات».<sup>1</sup>

و أهم ما يستورد من هذه المنطقة وخاصة من مدينة المنصورة،  
كما يذكر المقدسي: «ومن المنصورة النعال الكنباتية النفيسة، ومنه تحمل  
الفيلة والعاج والأشياء الرفيعة والعقاقير النافعة».<sup>2</sup>

و من الهند تستورد بضائع متنوعة وكثيرة، منها ما ذكره الجاحظ:  
«يجلب من الهند البيور والنمور والفيلة وجلود النمور والياقوت الأحمر  
والصندل الأبيض والأبنوس وجوز الهند».<sup>3</sup>

كما يجلب منها التوابل و الأفايه والفلل والحجارة الكريمة  
والعاج،<sup>4</sup> والمنسوجات و القطنيات والمجوهرات الكريمة والعطور  
و النباتات الطيبة.<sup>5</sup>

و كان خشب "التيك" إحدى أهم الواردات منذ الأزمنة القديمة، وكان  
يستعمل في الغالب لبناء البيوت والسفن، كما كان الحديد الخام والسيوف  
الهندية مما يستورد أيضا من الهند بكميات معتبرة.

---

<sup>1</sup> البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص 474.

<sup>2</sup> نفسه، ص 481.

<sup>3</sup> أبو عثمان الجاحظ: التبصر بالتجارة، المجمع العلمي بدمشق، 1351 هـ — 1932 م، ص 20.

<sup>4</sup> إدوارد بروي المرجع السابق، ج 3، 192 — 193.

<sup>5</sup> جاك رسلر: المرجع السابق، ص 134.

و كانت الهند تصدر للبلاد العربية وخاصة العراق الفضة وغيرها من المعادن والألماس، وقرون وحيد القرن، وكان مادة ثمينة مرغوبا فيها لأنه يدخل في صناعة القلائد وغيرها من الحلي التي تباع بأسعار باهظة. و كان ملوك الهند يصنعون من القرن سكاكين كانوا يستعملونها في اكتشاف السم في الطعام وذلك بوضع السكين فيه.<sup>1</sup>

و من المواد التي كان يطمع فيها العاج وأصناف مختلفة من الطيب والتوابل، وكان ساحل " ملابار " مشهورا بالفلفل، وكانت تجارة العرب الأساسية في هذه المادة وفي حب الهال والقرفة والكافور وخشب الصندل وخشب "الصبرة"، كما لا ننس الفواكه المتنوعة كـ " المانجة " والبرتقال والحامض وجوز الهند وفاكهة "الجامان"، وغير من الفواكه المعروفة جيدا عند العرب.<sup>2</sup>

و أخيرا، فإن الطاووس كان من الطيور التي يستوردها العرب من الهند، إضافة إلى الموصلين الناعم والأقمشة القطنية والنيلة وأصناف مختلفة من مواد الصباغة.

هذه عموما أهم واردات الهند التي كانت تجلب إلى العراق وإلى جل البلاد العربية والتي كانت لها رواج كبير في أسواقها ومراكزها التجارية.

<sup>1</sup> السيد مقبول: المرجع السابق، ص 126 — 127.

<sup>2</sup> نفسه، ص 127.

## (2) الصادرات:

و كان مما يصدره العرب إلى الهند بصفة خاصة وإلى الشرق الأقصى بصفة عامة محصورا في بعض المواد: كالبخور والخيول والتمر،<sup>1</sup> كما كانوا ينقلون إليها الحرشفيات القشرية، والنحاس، ويبيعون منتوجات مصنعة، وزجاجيات ومجوهرات، وكبريتات، وأقمشة كتابية، وعطور، وفواكه وخضار، وبشكل أخص الجياد التي كانت تجارتها رائجة ورابحة في أسواق الهند والصين، ففي كل عام كانت تنقل عشرات الألوف من الجياد من سيراف إلى ساحل «كرومانديل»،<sup>2</sup> حيث كانت تباع للهنداكة،<sup>3</sup> ولقد حدد الجاحظ ما تنتجه أرض العرب فقال: «ومن أرض العرب الخيل العرب والعراة والنعام، و نجائب الإبل و القنى لصنع الرماح»،<sup>4</sup> ثم قال: «ومن اليمن البرود و الأدم والزعفران والجواميس والعقيق و الكندر والخطر و الورس».<sup>5</sup>

و كانت سواحل عمان مشهورة باللآلئ والإسفنج، ويجلب من الموصل: «السنور والمسوح و الدراج و السمانى»،<sup>6</sup> وكانت الزجاجات المتصفة بالأبهة والفخامة المصنوعة بلاد الشام ومصر والعراق، والملونة

<sup>1</sup> السيد مقبول: المرجع السابق، ص 128.

<sup>2</sup> كرومانديل: ساحلى الهند الشرقى، ( أنظر نعيم زكى: المرجع السابق، ص 174).

<sup>3</sup> جاك رسلر: المرجع السابق، ص 134.

<sup>4</sup> أبو عثمان الجاحظ: المصدر السابق ص 21 — 22

<sup>5</sup> نفسه، ص 22.

<sup>6</sup> أبو عثمان الجاحظ: المصدر السابق، ص 25.



و المذهبة تصدر إلى الصين، والتي كانت ترسل في مقابل ذلك البورسلان (أي القيشاني).<sup>1</sup>

و هكذا، فقد استطاع العالم الإسلامي برمته أن ينظم جيّدا أعراف التجارة وآدابها و أساليبها التقنية، ليصبح هذا التنظيم البارع نموذجاً يقتدى به. لكن، و بما أنّ التجارة الإسلامية تعتمد بشكل أساسي على المبادلات التجارية الخارجية، حيث يتوقف نجاح هذه الأخيرة أساساً على مدى معرفة شبكة نقلها عبر الطرق البرية أو البحرية و محطّاتهما، و على نجاعة وسائل النقل المستعملة فيها.

---

<sup>1</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص ص 246 — 247.

## فصل رابع: النقل التجاري

المبحث الأول: النقل التجاري البحري؛  
المبحث الثاني: النقل التجاري البري؛

يشكل النقل التجاري الشريان الرئيسي للحركة التجارية وعليه يتوقف النشاط التجاري، وخاصة فيما يتعلق بالتجارة الخارجية برية كانت أم بحرية.

و لذلك فقد سهرت الدولة الإسلامية على توفير وضمان النقل التجاري وذلك من خلال تطوير وتوسيع شبكة المواصلات البرية وتوفير وتحسين وسائل النقل البحرية، وضمان أمنها، فشقت الطرق في البر<sup>1</sup> و حفرت الآبار، وأنشأت النزل والمضاييف، وصهاريج الماء في الطرق ليستقي منها المسافرون والتجار ودوابهم.<sup>2</sup>

كما شجعت الملاحة البحرية، وذلك بتوفير السفن وصيانتها وإقامة الورشات لإصلاحها وتنظيفها من الرواسب والشوائب المتعلقة بها بعد كل رحلة، كما عمدت إلى توفير الأمن في الطرقات وتأمين العمليات التجارية وسنأتي إلى ذكر ذلك خلال هذه المباحث.

### المبحث الأول: النقل التجاري البحري.

يعتبر النقل البحري أكثر نشاطا ونجاعة وحيوية من النقل البري بالنسبة للتجارة العربية والإسلامية مع العالم الخارجي البعيد كالهند والصين وغيرهما، وكان المحيط الهندي هو الأفق التجاري لها، بحيث كان يمثل الميدان التقليدي الذي كانت تنشط فوقه الملاحة العربية والفارسية منذ القدم.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 144.

<sup>2</sup> ويل ديورانت: المرجع السابق، ص 109.

<sup>3</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، 289—290.

و ابتداء من القرن الثامن حتى القرن الحادي عشر الميلادي، أصبح المحيط الهندي تحت هيمنة البحارة العرب والمسلمين، كما كانت هذه الفترة عهداً ذهبياً لتوسع التجارة الإسلامية على ضفاف وسواحل وجزر المحيط الهندي حتى أبواب الصين، ولقد ارتكز هذا التوسع على جاليات عربية وإسلامية مقيمة في كل مكان وعلى سفن إسلامية مصنوعة من خشب التاك.<sup>1</sup>

و لقد اعتمد العرب في ملاحظتهم على مراكب صغيرة بالنسبة للملاحة الساحلية، بينما استعملوا المراكب والسفن الضخمة بعرض البحر، حيث كانت مراكب البحر الأحمر والمحيط الهندي تبنى بطريقة خاصة، نظراً لاختلافهما مع البحار الأخرى من ناحية تكوينهما الجيولوجي و المناخي، ونتيجة لذلك فإن تلك السفن صنعت بطريقة تتلاءم مع تلك البحار ولقد ذكر بعض الرحالة كيفية صنع تلك السفن: « وهي مخيطة بأمراس<sup>2</sup> من القنبار، وهو قشر جوز النرجيل يدرسونه إلى أن يتخيظ — أي يصبح على شكل خيوط، ويفتلون منه أمراساً يخيطنون بها المراكب، و يخللونها بدسر<sup>3</sup> من عيدان النخل، فإذا فرغوا من إنشاء المراكب على هذه الصفة، سقوها بالسمن والعسل أو بدهن الخروع أو بدهن القرش وهو أحسنها<sup>4</sup> ».

<sup>1</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 290 — 291.

<sup>2</sup> أمراس: مفرداً مرساة، أي بمعنى الحبل، ( أنظر جمال الدين محمد بن منظور: المصدر السابق، ج 6، ص 216).

<sup>3</sup> دسر: مفرداً دسار أي بمعنى خيط من ليف يشد به الألواح، ( أنظر جمال الدين محمد بن منظور، المرجع السابق، ج 5، ص 255).

<sup>4</sup> أبو الحسن بن جبير: المصدر السابق، ص 40.

و كانت مراكب البصرة مشحمة بالشحم و النورة،<sup>1</sup> وكانت المراكب التي تذهب إلى الصين كبيرة جداً، وكان العرب ينتظرون الرياح الموسمية حتى يقومون برحلاتهم التجارية البحرية، والتي تشجعهم كثيراً وتساعدهم على الملاحة<sup>2</sup> والتي هي بمثابة الضوء الأخضر لانطلاق حملتهم التجارية البحرية صوب الهند والصين.

و كان جل ملاحي المحيط الهندي عراقيين أو سيراغيين أو عمانيين، ويظهر أنهم كانوا يسترشدون بخرائط أثناء رحلاتهم،<sup>3</sup> كما أنهم لازالوا حتى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) يستعينون بالشمس والقمر والنجوم لتوجيه سفنهم لأنهم لم يعرفوا بعد البوصلة، دون أن ننسى استعانتهم بالحمام الزاجل للاتصال و التأكد من الطريق.<sup>4</sup>

بالنسبة للصينيين، فقد عرف عهد أسرة "سونغ" تطوراً هاماً في الملاحة البحرية الصينية، و كان للصين في هذه الفترة سفن كثيرة تجوب المحيط الهندي، و لم تكن للصين سفن في الخليج فحسب و إنما كانت قواربها تصل إلى البحر الأحمر و ساحل إفريقيا الشرقي.

---

<sup>1</sup> نورة: ( أو الهناء)، من الحجر الذي يحرق ويسوى منه الكلس والنور دخان الشحم، ( أنظر جمال الدين

محمد بن منظور، المصدر السابق، ج14، ص55).

<sup>2</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 289.

<sup>3</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 146.

<sup>4</sup> نفسه.

كما كانت القوارب الصينية تستخدم من طرف التجار الأجانب لاسيما و أن قانون المواصلات البحرية الذي أسسته أسرة "سونغ" يسمح تحت طائلة من الشروط استخدام الأجانب للقوارب الصينية.<sup>1</sup>

و يكمن السبب الرئيسي وراء استخدام الأجانب للقوارب الصينية و الاستعانة بخبرات الصينيين في مجال الملاحة البحرية، في جودة مراكبهم التي عرفت صناعتها آنذاك تطورا كبيرا لدرجة يستحيل الاستغناء عنها في البحار الكبرى و خاصة بحر الصين الذي قال فيه ابن بطوطة: « لا يُسَافَرُ فيه إلا بمراكب الصين ». <sup>2</sup> ضف إلى ذلك تجربتهم الكبيرة و رسوخ قدمهم في تقنية الملاحة.

و مراكب الصينيين ثلاثة أنواع: الكبار منها تسمى الجنوك واحد، و الصغار و اسم أحدها الككم، يديرونها حسب دوران الرياح، و يتبع كل مركب كبير منها ثلاثة قوارب: النصفى و الثلثى و الربعى و لا تصنع هذه المراكب إلا في مدينة "زيتون" بالصين.<sup>2</sup>

كانت السفينة الشراعية الصينية تستطيع أن تحمل حتى خمسمائة أو ستمائة شخص بالإضافة إلى بضائع يزيد وزنها عن خمسمائة أو ستمائة طن و ذلك في عهد أسرة "سونج". و لقد وصف أحد الكتاب عاصر هذه الأسرة السفينة الشراعية الصناعية أنها تشبه قاعدة كبيرة. دون أن ننسى مهارتهم

---

<sup>1</sup> ذانج هو: المرجع السابق، ص 67.

<sup>2</sup> محمد بن بطوطة: المصدر السابق، ج 2، ص 437.

<sup>2</sup> نفسه، ص 438.

الفائقة في رصد مواقع النجوم (أو بما يسمى الملاحة الفلكية) لتحديد موضع السفينة و تسمى هذه العملية بمهارة سحب النجوم.

و قد أدت هذه التطورات الكبيرة إلى ازدهار المواصلات و الاتصالات بين الصين و العرب منذ عهد أسرة سونغ.<sup>1</sup>

لذلك، لم تكن التجارة العربية لتتجح وتصل إلى ما وصلت إليه في القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي)، لولا معرفة أولئك التجار العرب معرفة دقيقة بالطرق والمسالك البحرية و استفادتهم من تجارب نظرائهم من الأمم الأخرى الذين سبقوهم إلى مجال الملاحة البحرية، ولم يكونوا ليواصلوا تلك الرحلات التجارية الشاقة لولا خوضهم مغامرات السفر إلى المجهول، فاكتسبوا هم بدورهم تجارب دونوها في كتبهم أو مذكرات أسفارهم التي و صفوا من خلالها الأقاليم و البلدان التي مروا بها بشكل مفصّل و دقيق.

لكن، ليس ثمة مناطق أثارت فضولهم و جذبت انتباههم و تركيزهم مثل المحطات البحرية دون المناطق الأخرى، لأهميتها الكبرى في التواصل الحضاري و الاقتصادي بين الأمم، فذكروا بالتفاصيل كل هذه المحطات و لو كانت صغيرة و فترات توقفهم عندها واستراحتهم بها تجديدا لنشاطهم واستجماعا لقواهم، وكانت تلك المحطات في غالب الأحيان عبارة عن موانئ تجارية، إذ تعتبر في حد ذاتها مراكز تجارية يتم من خلالها التبادل التجاري بين مختلف التجار الغادين والرائحين من وإلى الهند

---

<sup>1</sup> ذانج هو : المرجع السابق، ص ص 29،30.

والصين، ولذلك ارتأينا أن نذكر بعض تلك المراكز والمحطات ثم نخرج إلى ذكر الطرق الرابطة بينها من العراق حتى الهند:

## 1- المحطات التجارية البحرية:

نحاول أن نرصد هنا أهم المراكز والمحطات التجارية التي كانت تعكس التبادل التجاري الحي و المباشر بين منطقتي العالم الإسلامي و الشرق الأقصى بشقيه الهندي والصيني، ولقد تعمدا إغفال ذكر العديد من المحطات التجارية الثانوية و الصغيرة لكثرتها أو الواقعة في الجناح الغربي من العالم الإسلامي التي ليس لها علاقة مباشرة، بل ركزنا على المحطات المهمة الواقعة في واجهته الشرقية باعتبارها محطات إقلاع أو استقبال مباشرة و حقيقية من و إلى الشرق الأقصى.

و لقد كانت هذه المحطات موانئ للسفن بمختلف أشكالها وجنسياتها، وكانت تحمل إليها من كل الأرجاء والأنحاء السلع والبضائع المختلفة والمتنوعة، والتحف النادرة، وبالتالي أصبحت تلك المحطات كمراكز كبيرة للتبادل التجاري، الشيء الذي جلب سكان تلك الضواحي للاستقرار حولها وتشكيل تجمعات سكانية بها، لتصبح في يوم من الأيام مدنا تجارية، فأنشأت الأسواق وشيدت المباني والفنادق التي أصبحت ملاذا لأرباب السفن والتجار ونزلا لهم ابتغاء للراحة والاسترخاء بعد طول السفر و وعثائه، الشيء الذي أعطى ديناميكية جديدة لهذه المراكز والمحطات.



و كانت سيراف وعمان والبصرة من أكبر هذه المحطات في الجانب الشرقي من العالم الإسلامي المطلة على المحيط الهندي،<sup>1</sup> بالإضافة إلى محطات أخرى لا تقل أهمية عنها.

نحاول الآن أن نعرض على أهم هذه المحطات للتعرف عليها و ذكر الدور الذي لعبته في التبادل التجاري بين المسلمين و نظرائهم في الصين و الهند:

## 1- الأبلّة:

تقع إلى الشمال من رأس الخليج الفارسي عند مصب دجلة والفرات، وقد شيدت قبل البصرة وتكمن أهميتها في كونها مخرج تجارة العراق إلى الخليج الفارسي، كما أنها الميناء الرئيسي للبصرة وتقع عند ملتقى أهم طرق التجارة من إيران والعراق وبلاد العرب، و يعتبر أيضا في وقت من الأوقات ميناء العراق الرئيسي إلى الخليج الفارسي، بسبب صعوبة الملاحة عند مصب الرافدين، وتوجد بها جالية يهودية تشغل في التجارة، كما يوجد بها وكالات وفنادق للتجار<sup>2</sup> وهذا وجه من أوجه اهتمام الدولة هناك بالتجارة والسهر على رعاية أحوال التجار وحل مشاكلهم وتذليل الصعاب أمامهم، فمن صور ذلك الاهتمام أيضا، اهتمامها بالملاحة التجارية وحمايتها وتأمين تنقل السفن من وإلى المرافئ فأنشأت الفنارات العالية لهداية السفن ليلا وخاصة الآتية من عمان و سيراف.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> آدم متز: المرجع السابق، ص 847.

<sup>2</sup> نعيم زكي: المرجع السابق، ص 123.

<sup>3</sup> نفسه ، ص 123.

و لقد أصبحت الأبلّة لأهميتها التجارية مدينة كبيرة تضاهي البصرة التي هي من رحمها، وهو ما يشير إليه المقدسي بقوله: « و الأبلّة على دجلة عند فم نهر البصرة من قبل الشمال، أعلى القرية عامرة كبيرة، أرفق من البصرة وأرحب ».<sup>1</sup>

و لم تكن شهرة الأبلّة محلية أو إقليمية فحسب، بل أصبحت ذات شهرة عالمية حيث يصفها بعضهم: « البصرة القديمة على قنواتها هي مانشستر الجزء الجنوبي من أرض الجزيرة، ولكن الأبلّة منها بمثابة ليفربول »<sup>2</sup> و السبب في ذلك كما قال: « يبدو أن السفن البحرية القديمة لم تكن تستطيع بلوغها، فكانت ترسو في الأبلّة، فكانت البصرة مدينة جديدة بناها العرب ولكن الأبلّة هي أبولوجوس القديمة التي أعاد تأسيسها كسرى أرشدير وظلت قائمة حتى العصور الإسلامية ».<sup>3</sup>

و كانت الأبلّة (أبولوم Abulum في الكتابات الأكادية و أبولوجوس Apologus في اليونانية) في عصر السبئيين سوقاً تجارية هامة، و كانت تصدر إلى اليمن اللؤلؤ و التمر و الذهب و العبيد، و ظلت قائمة حتى ظهور الإسلام. و كانت من الموانئ التي ترتبط تجارياً مع الهند و الصين.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص 103.

<sup>2</sup> جورج فوضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مطابع الكتاب العربي القاهرة، بدون تاريخ، ص 205.

<sup>3</sup> نفسه، 206.

<sup>4</sup> عبد العزيز سالم: بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1411هـ-1991م، ص 172.

و نظرًا لأهميتها الاقتصادية و الإستراتيجية، حافظت الأبلّة على مكانتها عبر التاريخ حتى العهد الإسلامي. و برغم مكانة البصرة الكبيرة، إلّا أنها تستمد أهميّتها و حيويّتها من الأبلّة، فإذا كانت البصرة "مانشستر" أرض الجزيرة كما قال "فوصلو" فإن الأبلّة كانت منها بمثابة "ليفربول".<sup>1</sup>

ثم يواصل كلامه عن الأبلّة مبرزاً خلاله دورها و مكانتها قائلاً: « فعلى الرغم من أن البصرة كانت مركزاً تجارياً، يبدو أن السفن لم تكن تستطيع بلوغها، فكانت ترسو في الأبلّة». <sup>2</sup>

فالأبلّة إذاً ميناء على شط العرب وإليها كانت السفن الوافدة من الهند والسند، وقد كانت من أعظم موانئ فارس شانا، وكانت تقوم على الضفة اليمن من دلتا دجلة شرقي البصرة وعلى الجانب الشمالي للقناة الكبيرة المعروفة، بنهر الأبلّة، وتبعد الأبلّة عن البصرة بأربعة فراسخ (أي ما يعادل اثنين و عشرين كيلومتراً)،<sup>3</sup> لكن ابن بطوطة يرى بأن المسافة بينهما تقدر بعشرة أميال،<sup>4</sup> ويمكن أن نفسر هذا الاختلاف على أنه منطقي باعتبار أنّ الطريق التي سلكها ابن بطوطة ليست بالضرورة هي نفسها الآن، هذا من جهة، و من جهة أخرى، غالباً ما يكون الطريق القديم أقصر من الطريق المعاصر لكون هذا الأخير الذي تسلكه وسائل نقل معاصرة لا يمكن لها السير في نفس الطريق القديم وعر المسلك و المختصر طبعاً و الذي تسلكه دواب متخصصة، بل حتّى هي أيضاً تجد أحياناً صعوبة في السير في بعض

<sup>1</sup> آدم متر المرجع السابق، ص 205.

<sup>2</sup> نفسه، ص 206.

<sup>3</sup> أحمد عادل: الطريق إلى المدائن، دار النفائس، ط3، بيروت، بدون تاريخ، ص 212.

<sup>4</sup> محمد ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص 144.

المسالك الوعرة، برغم صغر حجمها بالنسبة للسيارة المعاصرة، فكيف بهذه الأخيرة.

و يذكر ابن بطوطة أيضاً بأنّ بين الأبلّة و البصرة طريق مائي نهري و الذي يعتبر بمثابة قناة اتصال و ربط هامة بينهما و شريانا اقتصاديا حقيقيا يتم من خلاله تنقل الأشخاص و شحن مختلف السلع و البضائع بواسطة قوارب خاصة، أو يتم عرض هذه البضائع أحياناً على جانبي القناة النهرية.<sup>1</sup>

و كان نهر الأبلّة الطريق المائي الرئيسي الذي يتصل بالبصرة ثم يسير جنوبي شريقها إلى دجلة ثم عبدان ثم البحر، وكانت نواحي الأبلّة وضواحيها كلها بساتين.<sup>2</sup>

فبالرغم من صغر هذه المدينة إلا أنها كما يصفها الإدريسي: «حسنة الديار واسعة العمارة متسلسلة بالبساتين و الضياع عامرة بالناس و أهلها مياسر و عندهم خصب من العيش و رفاهة و دعة و من أسفل الأبلّة المفتح و المذار و على ضفة دجلة و هي مدن متقاربة القدر متشابهة العظم عامرة بالأسواق و التجارات، و الأبلّة أكبر منها خلقاً و أعنى أهلاً و أوسع عمارة»<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> محمد ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم اللواتي الصنهاجي ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة "نخبة النظر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، دار الشرق العربي بيروت، ج 1، ص 144.

<sup>2</sup> أحمد عادل، المصدر السابق، ص 213.

<sup>3</sup> أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1409 هـ-1989م، مج 1، ص 384.

## 2 - سيراف:

سيراف مدينة من مدن سابور من بلاد فارس، تقع على ساحل البحر الفارسي<sup>1</sup> إذ تعتبر من المدن التجارية الكبيرة، فهي الفرضة العظيمة لفارس رغم كونها فقيرة من ناحية الموارد الطبيعية، فلا زرع فيها وضرع ولكنها من أغنى بلاد فارس.<sup>2</sup>

و لذلك، كانت سيراف في العهد الوسيط أعظم مينا لفارس، و كانت مركزا ذا أهمية دولية لتجميع و توزيع العطور و الأفاويه و التوابل و الخشب الرفيع، و استطاع تجارها أن ينشئوا شبكة حقيقة تابعة لهم عبر المدن الساحلية الإيرانية.<sup>3</sup>

يوجد بسيراف عدد كبير من التجار من مختلف الأجناس، كما أن أهلها مولعون بكسب المال واستجلابه على أي وجه ممكن، وهم أكثر الناس تغربا و ترحالا، حتى أن الواحد منهم يتجول عشرين عاما لا يرجع إلى أهله ولا يكثرث بمن خلفه.<sup>4</sup>

و لقد بلغت سيراف مبلغا عظيما في التجارة، الشيء الذي جعل منها منافسا للبصرة في الغنى والثروة<sup>5</sup> فكانت تزخر بما يقع عليها من أمتعة البحر من العود والكافور والجواهر والخيزران والعاج والأبنوس والفلفل

<sup>1</sup> محمد الحميري : المصدر السابق، ص 333.

<sup>2</sup> نفسه، ص 331.

<sup>3</sup> إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 168.

<sup>4</sup> محمد الحميري: المصدر السابق ، ص 333.

<sup>5</sup> جورج فوضلو: المرجع السابق، ص 207.

والصندل وسائر الطيب والأدوية والتوابل التي يكثر طلبها من جميع فارس والعالم بأكمله<sup>1</sup> حتى أضحى أهلها أيسر أهل فارس، فمنهم من جمع الثروة الكبيرة من تجارة البحر، حيث توصل أحدهم إلى جمع مال يقدر بألف ألف درهم من هذه التجارة،<sup>2</sup> الشيء الذي ساهم مساهمة جليلة في ازدهار هذه المدينة إلى أن وصلت إلى درجة كبيرة من الترف، فمن سور ذلك: دور الترف الذي كان يقيم بها تجارها أو أصحاب سفنها وكانت مبنية من طوابق من خشب الساج المستورد من الهند، وغيره من الأخشاب المجلوبة من شرق أفريقيا.<sup>3</sup>

و لقد عرف مرفأ سيراف نشاطا كبيرا على مدى خمسمائة عام ونيف، وكان لسيراف أطول أسطول تجاري، وكان فيه ملاحون وتجار ذوو خبرة واسعة، حيث كان لهؤلاء التجار اعتمادات كبيرة وكانت سنداتهم تصرف في كل مكان، إلا أن زلزالا ضرب هذه المدينة في نهاية القرن العاشر (القرن الرابع الهجري) سنة 978 م، فأقام سكانها في جزيرة كيش على الصخور الواقعة مقابل المدينة.<sup>4</sup>

و لكن يبقى دورها التجاري الريادي الفعال خالدا مسجلا في التاريخ بأحرف من ذهب، حيث كانت لؤلؤة الخليج الفارسي، فكانت بلا منازع من أكبر أسواق الخليج الفارسي حتى أواخر العصور الوسطى، فكان لقربها من الأسواق العربية ذات موقع بالغ الأهمية، لذلك فقد تركزت فيها

---

<sup>1</sup> أبو إسحاق الإصطخري: المصدر السابق، ص 92.

<sup>2</sup> نفسه، ص 92.

<sup>3</sup> جورج فوخلو: المرجع السابق، ص 207.

<sup>4</sup> جاك رسلر: المرجع السابق، ص 136.

السلع الغربية أكثر من أي مركز تجاري آخر على الخليج الفارسي، وتصلها السفن التجارية من الصين والهند واليمن ومسقط كما يصلها تجار شرق البحر المتوسط والعراق وإيران، لذا كانت عبارة عن نقطة اتصال مهمة لتبادل السلع الشرقية والغربية.<sup>1</sup>

### 3 - قيش (كيش):

و تدعى أيضا قيس، فهي جزيرة قرب الساحل الشرقي للخليج الفارسي وبينها وبين الساحل ممر بحري عرضه تسعة أميال بحرية ويحتكر حاكمها التجارة لصالحه وحسابه وأسطوله.<sup>2</sup>

و كان ميناء كيش من أبرز الموانئ في الخليج الفارسي، حيث كان ينافس سيراف في الزعامة التجارية، وخاصة في بداية أفول نجم سيراف بعد الزلزال الذي ضربها سنة 978م، حيث سرعان ما صارت كيش مرفأً من الطراز الأول، وكأنها جمهورية تجارية لها مالكة كالبنديقية و جينوى.<sup>3</sup>

كما أن أسواقها من أكثر أسواق الخليج ازدهاما بالتجارة من الهند والصين، وفارس والعراق والشام، لسهولة العيش فيها، إذ أن أرضها خصبة وماؤها وفير عكس سيراف، وتفوق باقي المدن والموانئ في تجارة العبيد المستوردين من شرق أفريقيا.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> نعيم زكي: المرجع السابق، ص ص 120، 121.

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 121 ، 122.

<sup>3</sup> جاك رسلر: المرجع السابق، ص 136.

<sup>4</sup> نعيم زكي: المرجع السابق، ص 122.

و من خصائص كيش أيضاً، أنها أصبحت مركزاً مهماً و مميزاً لبيع و شراء و مقايضة ضروب السلع كالحرير و الكتان و القطن و القنب و القماش و الحنطة و الشعير و الدخن و الأرز و سائر أنواع الحبوب و البقول و يأتيها تجار الهند بالعمور و التوابل. بينما اقتصر نشاط أغلب تجارها كوسطاء و دلالين بين هذا العدد الهائل من التجار الوافدين عليها.<sup>1</sup>

و باعتبارها جزيرة في عرض البحر، فقد أعطانا ياقوت الحموي بطاقة صورية وصفية موجزة عنها فقال: «كأنها عروس البحر، لحسن منظرها وجمالها الذي يأخذ بالباب التجار والمسافرين، فكانت بساطينها تزين الأفق، وعماراتها جيدة وجميلة، فكانت عن جداره محاط السفن الغادية والرائحة فهي مرفأً لمراكب الهند وبر فارس وفيها أسواق وخيرات».<sup>2</sup>

#### 4 - عمان:

تعتبر عمان كما جاء في معجم البلدان: «اسم كورة<sup>3</sup> عربية على ساحل بحر اليمن والهند»،<sup>4</sup> بحيث تحتل القسم الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية،<sup>5</sup> وتقع بالضبط عند فم بحر فارس (الخليج العربي) من جهة بحر الهند،<sup>6</sup> وتحيط بها المياه من الشمال،<sup>1</sup> وسميت بعمان نسبة إلى

<sup>1</sup> بنيامين الراي الأندلسي: المصدر السابق، ص 339، 338.

<sup>2</sup> ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج 4، ص 422.

<sup>3</sup> الكورة: هي الصقع أو البقعة التي تتجمع فيها القرى والحال وجمعها كُور، (أنظر المعجم الوسيط، المرجع السابق، ج 1، ص 804).

<sup>4</sup> ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 4، ص 150.

<sup>5</sup> عبد العزيز عثمان مع محمد التقي: جغرافية الوطن العربي، مكتبة الربيع، حلب، سوريا، ص 318.

<sup>6</sup> ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص 118.



عمان بن سنان بن إبراهيم، كان أول من اختطها،<sup>2</sup> وأكثر أهلها كما يذكر الحموي: «خوارج إياضية»<sup>3</sup> وهي بلدة تجارية أيضا تضاهي البصرة من حيث التبادل التجاري، كما أنها المرفأ الكبير للسفن التجارية الآتية من الشرق الأقصى، وخاصة الصين لأنه استنادا إلى ما ذكره الرحالة سليمان التاجر أن: «أكثر السفن الصينية تحمل من البصرة و عمان».<sup>4</sup>

و تمتاز عمان بكثرة الخيرات وخاصة الثروات الفلاحية، ويصفها الإصطخري بأنها: «كثيرة النخيل والفواكه الجرومية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك».<sup>5</sup>

و النخل بها متميزة عن غيرها، فهناك بالبصرة نخلة يقال لها (العمانية)، فلا يزال طعمها وأكلها طوال السنة.<sup>6</sup>

و كانت لتوسطها بين فارس والهند والحبشة تتجمع بها بضائع هذه الممالك الثلاث،<sup>7</sup> وفي أسواقها كان يجري التبادل بين بضائع فارس والهند

---

<sup>1</sup> عبد العزيز عثمان مع محمد التقي: المرجع السابق، ص 318.

<sup>2</sup> محمد الحميري: المصدر السابق، ص 412.

<sup>3</sup> ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص 150.

<sup>4</sup> أبو بكر بن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، دار الكتاب اللبناني، طبع في مدينة ليدن الخروسة، مطبع بريـل 1302هـ — 1885م ص 11.

<sup>5</sup> أبو إسحاق الإصطخري: المصدر السابق، ص 27.

<sup>6</sup> سعيد الأفغاني: المرجع السابق، ص 252.

<sup>7</sup> نفسه، ص 256.

والحبشة واليمن والحجاز والشام، فيحمل تجار كل بلد منها وإليها البضائع فيتبادلون فيها السلع فيما بينهم.<sup>1</sup>

كما أن بها حركة تجارية دائمة و دؤوبة بينها وبين البلدان القريبة منها عن طريق البحر، كيف لا وهي فرضة الصين، كما يصفها الحموي مبديا في نفس الوقت عن نشاطها التجاري: « وتحمل من سيراف الأمتعة إليها والحمولة في قوارب». <sup>2</sup>

و لكم شهرة عمان إنما تعلقّت بمدنها التجارية الساحلية التي يقع على عاتقها التبادل التجاري الخارجي، فمن أبرز هذه المدن: مسقط و صحار، حيث كانتا محطتي السفن الغادية والرائحة إلى الهند للتزود بالماء ثم تمخر المحيط الهندي مباشرة إلى جنوب ملابار.<sup>3</sup>

#### أ - مسقط:

هي مدينة ساحلية، تقع في طريق عمان على البحر، يمر عليها من أراد بلاد الهند والصين، فيسير مع الشمال تلقاء الجنوب حتى يصير إليها وهي بين جبلين، و هي مرفأ السفن التي تستقي من آبارها المياه العذبة.<sup>4</sup>

فرغم أهمية مسقط، والتي تعتبر من أشهر بلاد عمان ومن موانئها العظيمة على المستوى العربي ولكن ربما لا تكون في مستوى مدينة صحار

<sup>1</sup> سعيد الأفغاني: المرجع السابق ، ص 257.

<sup>2</sup> محمد الحميري: المصدر السابق، ص 413.

<sup>3</sup> جورج فوضلو: المرجع السابق، ص ص 208 – 209.

<sup>4</sup> محمد الحميري: المصدر السابق، ص 559.

من حيث الأهمية، فهذه الأخير تعد من المدن التجارية الهامة ليس على الصعيد العربي فحسب، بل على المستوى العالمي آنذاك، فهي المدينة المشهورة على السنة التجار.

## ب - صحار:

لقد كانت صحار من أعمار بلاد العرب وأغناها و أطفحها بالمتاجر،<sup>1</sup> فهي قصبة عمان، كما جاء في مسالك الممالك: « و قصبتها - أي عمان - صحار، وهي على البحر، وقصد الركاب، وهي أعمار مدينة بعمان وأكثرها مالا، ولا تكاد تعرف على شاطئ بحر فارس بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالا من صحار».<sup>2</sup>

فصحار إذاً، مدينة ساحلية تقع على ساحل عمان وهي: « مدينة كبيرة بأرض عمان، وهي قصبة عمان وهي على ساحل البحر مقدارها فرسخ في فرسخ ».<sup>3</sup>

و لقد ظهر اسم صحار أول ما ظهر في التاريخ سنة 8 هـ ( 629م - 630م ) عندما سلم عمرو بن العاص السلمي وأبو زيد الأنصاري مبعوثا النبي صلى الله عليه وسلم كتابه إلى أميري البلدة جعفر وعبد ( أو عباد)، وقد قبل ما عرضه محمد صلى الله عليه وسلم عليهما وأسلما، وظل عمرو بن العاص مقيما بها.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> سعيد الأفغاني: المرجع السابق، ص 261.

<sup>2</sup> أبو إسحاق الإصطخري: المصدر السابق، ص 27.

<sup>3</sup> محمد الحميري: المصدر السابق، ص 355.

<sup>4</sup> دائرة المعارف الإسلامية، ج 14، ص 146.

و كانت العرب تقيم السوق العامة في صحار من عاشر رجب إلى الخامس عشر بعد انفضاض سوق حباشة،<sup>1</sup> كان ذلك في الجاهلية، فقد كانت بها تجارات واسعة تجلب إلى مختلف أقطار الجزيرة العربية.<sup>2</sup>

و لم تكن صحار من الأسواق الموسمية مثل عكاظ، بقدر ما كانت سوقا تجارية محضة لما حولها ولمن يقصدها، فأكثر من يقصدها التاجر البعيد.<sup>3</sup>

إلا أن هذه البلدة ظلت كباقي مناطق عمان لا تتصل بالخلافة الإسلامية، إلا اتصالا شكليا، وبقي على تلك الحال، حتى غزى عمان الحجاج بن يوسف، فضمها إلى العراق، وكان ذلك سنة 751م، إلا أنها لم تلبث أن استقلت بنفسها، ليصبح بعد ذلك « الجلندي » بن مسعود الأزدي إماما على هذه البلاد.<sup>4</sup>

و ما إن حل القرن الرابع الهجري ( العاشر ميلادي )، حتى كانت صحار قد ارتقت رقيا كبيرا وعدت أهم بلدة في عمان وأجمل البلدان على الساحل الفارسي.<sup>5</sup>

---

<sup>1</sup> تقام هذه السوق ( أي حباشة ) في ديار بارق، على ست أميال من مكة إلى جهة اليمن، ( أنظر سعيد الأفغاني: المرجع السابق، ص 258).

<sup>2</sup> نفسه، ص 262.

<sup>3</sup> نفسه، ص 263.

<sup>4</sup> دائرة المعارف الإسلامية: ج 14، ص 147.

<sup>5</sup> نفسها.

و لقد كانت في هذه الفترة من أكبر العواصم: الاقتصادية وبالتالي فهي: « قصبة عمان ليس على بحر الصين اليوم أجل منه، عامر، أهل، حسن الطيب، نزه، ذو يسار، وتجار وفواكه وخيرات أسرى من زبيد<sup>1</sup> و صنعاء، أسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدة على البحر، دورهم من الأجر و الساج شاهقة<sup>2</sup>. »

كما أنها كما يذكر المقدسي: « دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق و مغوثة اليمن<sup>3</sup>. »

و في كل سنة كانت صحار تكتض بالتجار الوافدين عليها من كل حدب وصوب، فينقلون إليها أنواعا شتى من البضائع ولذلك تذكر بعض المصادر: « ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم، واليها تجلب جميع بضائع اليمن، ويتجهز منها بأنواع التجارات<sup>4</sup>. »

و كانت أسواقها تفيض بخيراتها ومنتجاتها الفلاحية، ويضيف الحميري قائلا « وأحوال أهلها واسعة و بها نخيل والموز والرمان والسفرجل وكثير من الثمار الطيبة<sup>5</sup>، حتى غدت صحار كما يقول: « مجتمع التجار، ومنها يتجهز لكل بلدة من بلاد الهند والصين<sup>6</sup>. »

<sup>1</sup> زبيد: مدينة ساحلية تقع باليمن بين صنعاء وعدن، أنظر: محمد الحميري: المصدر السابق، ص 248.

<sup>2</sup> البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص 92.

<sup>3</sup> نفسه.

<sup>4</sup> محمد الحميري: المصدر السابق، ص 355.

<sup>5</sup> نفسه، ص 356.

<sup>6</sup> نفسه.

و كانت أسواق صحار تمتلئ بالسلع من كل صنف ولون، حتى  
غدت مخزن السلع الواردة من الصين ومركز التجارة مع الشرق.<sup>1</sup>

و كان التجار من جميع أنحاء العالم يلتقون فيها وكان مينائها دائماً  
مزدحماً بالسفن الغادية والرائحة، كما كانت دائماً الاتصال باليمن والصين،  
حيث تتزود الرحلات إليها بمؤونتها من صحار.<sup>2</sup>

و نستخلص من ذلك كله، أن صحار احتفظت بحيويتها وشبابها،  
منذ الجاهلية، وظلت كذلك في العهد الإسلامي، ولم تفقد مكانتها التجارية كما  
حصل لعكاظ وحضر موت وغيرها من المدن التجارية العربية.

## 5- عدن:

تقع هذه المدينة العظيمة على مقربة من باب المندب شمالاً و هي  
فرضة بلاد اليمن،<sup>3</sup> فهي من المراسي الهامة لهذه البلاد على ساحل البحر  
الأعظم، تحف بها الجبال و لا مدخل إليها إلا من جانب واحد، و في الضفة  
المقابلة من البحر تقع بلاد الزنج و التي تبعد عنها حوالي مسيرة أربعة أيام.<sup>4</sup>

و نظراً لموقعها الاستراتيجي و أهميتها الاقتصادية، فقد كانت عدن  
قبة التجارة و خاصة العرب، فكانت بالنسبة لهم مصدراً للثراء، فقد ذكر  
المقدسي أن أحد الوعاظ حذره من فتنة عدن فمن جملة ما قاله له: «وقد

<sup>1</sup> دائرة المعارف الإسلامية: ج 14، ص 147.

<sup>2</sup> نفسها.

<sup>3</sup> ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص 100.

<sup>4</sup> سراج الدين ابن الوردي: المصدر السابق، ص 77.

قصدت بلاداً قد غرت كثيراً من الناس وصدتهم عن طريق الورع والقناعة وأخشى إذا أنت دخلت عدن فسمعت أن رجلاً ذهب بألف درهم فرجع بألف دينار وآخر دخل بمائة فرجع بخمسمائة وآخر بكندر فرجع بمثله كافوراً، طلبت نفسك التكاثر».<sup>1</sup>

و قد اشتهرت عدن على السنة التجار تأتي إليها المراكب التجارية العظيمة من كنباية و تانة و كولم و قاليقوط و منجور و فنكور و سندابور و غيرها من المدن و الموانئ التجارية الهندية و الصينية.<sup>2</sup> و تجلب إليها من هذه الأقاليم سلع غالية كالحرير و السيوف و الكيمخت و المسك و العود و السروج و الأمتعة و الأهليجات و العطريات و الطيب و العاج و الأبنوس و الحل و الثياب الحسنة والقصدير و الرصاص و اللؤلؤ و الحجارة الثمينة و الزباد و العنبر و غيرها من الأشياء التي لا تحصى.<sup>3</sup>

غير أن مرسى عدن غير مأمون عند هيجان البحر بحكم قربها من باب المنذب الذي تتداخل عنده البحار.<sup>4</sup>

## 6- الديـبل:

مدينة ساحلية مشهورة تقع في خليج السند، على مقربة من مصب نهر<sup>1</sup> مهران،<sup>2</sup> ذكرت في التاريخ الساماني، وقد حاز العرب إبان غزوتهم

<sup>1</sup> البشاري المقدسي المصدر السابق، 98.

<sup>2</sup> محمد ابن بطوطة: المصدر السابق، ج 1، ص 193.

<sup>3</sup> سراج الدين ابن الوردي: المصدر السابق، ص 77.

<sup>4</sup> ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 100.

الأولى للهند عام 164 هـ نصرا عند ديبيل ليستولي عليها في الأخير محمد بن القاسم<sup>3</sup> سنة 934 م، ولقد وصفها الرحالة المسلمون في كتبهم، وكان لبعضهم معرفة خاصة بهذه المدينة.<sup>4</sup>

و ليس من اليسير تعيين موقع ديبيل الحقيقي على الرغم من جميع الإشارات الواردة عنها في كتب الجغرافيا والرحالة، ذلك أن نهر السند قد غير مجراه وقد يكون الاسم القديم لهذه المدينة قد أطلق على أماكن أخرى، في أزمنة متأخرة، ولا يمكن أن نأكد أن الديبل هي كراتشي أو تيته أو لاهوري بندر، ولكن يعتقد بأنها تقع « قرب كراتشي الحديثة ».<sup>5</sup>

و مهما يكن فان ديبيل مدينة ساحلية كما يقول المقدسي: « ديبيل بحرية »،<sup>6</sup> فهي ذات طابع تجاري، ويصنفها السيد مقبول ضمن المراكز التجارية الهامة<sup>7</sup> في العالم، لأنها تعتبر محطة السند التجارية الأولى، رغم أنها تبدو من الناحية الزراعية ثقيلة، حيث يذكر الإصطخري بأنها: « متجر

---

<sup>1</sup> مهران: هو نهر السند الأعظم، يقطع أرض السند والهند ويظهر على توافره بالملتان، ( أنظر محمد الحميري: المصدر السابق ص552).

<sup>2</sup> سعيد المغربي: المصدر السابق، ص ص 119 و 131.

<sup>3</sup> هو محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل، كلفه الحجاج بن يوسف بغزو السند أيام الوليد بن عبد الملك (أنظر: أبو الحسن البلاذري: المصدر السابق، ص424).

<sup>4</sup> دائرة المعارف الإسلامية، ج9، ص 358.

<sup>5</sup> السيد مقبول: المرجع السابق، ص 122.

<sup>6</sup> البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص479.

<sup>7</sup> السيد مقبول: المرجع السابق، ص 122.



عظيم و فرضة هذه البلاد<sup>1</sup> وغيرها، و زروعهم مباحس، وليس لهم كثير شجر ولا نخيل، وهو بلد قشف، وأن مقامهم التجارة<sup>2</sup>.

و نلاحظ هنا بأن أهالي هذه المنطقة مشهورون بالتجارة وهذا ما يؤكد المقدسي هو الآخر فيقول: « كلهم تجار، كلاهم سندي عربي وهي فرضة الكورة كثيرة الدخل»<sup>3</sup>.

و نستنتج من خلال كلامه ما يوحي بأن هناك ترابط وثيق بين العرب وسكان المنطقة بقوله « سندي عربي»، وأن المصطلحات التجارية العربية غزت ديبيل، وهذا ما يرمي إليه مقبول: « ومن الصعب الحكم على مدى تغلغل التجارة العربية في داخل الهند، إلا أن الدلائل أجمعها تنتهي إلى القول بأن التجارة كانت مقصورة على المنطقة الساحلية، وجنوبي شبه الجزيرة وبالطبع فإنها شملت السند»<sup>4</sup>.

و ديبيل هي من المراكز الرئيسية في السند وهي القاعدة الأولى التي يعتمد عليها العرب، للانطلاق والتوغل إلى داخل الهند، وكانوا يتبادلون فيها البضائع مع التجار الهنود الذين كانوا يجلبون بضائعهم من داخل الهند أو من المدن المجاورة<sup>5</sup>.

---

<sup>1</sup> أي بلاد السند.

<sup>2</sup> أبو إسحاق الإصطخري: المصدر السابق، ص 104.

<sup>3</sup> البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص 479.

<sup>4</sup> السيد مقبول: المرجع السابق، ص 122.

<sup>5</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 147.

و يعتبر "متز" ديبيل من المرافئ الكبيرة في المملكة الإسلامية، فهي  
فرضة كرمان الواقعة على مصب نهر السند فهي تلي من حيث الأهمية عدن  
و سيراف و عمان، فهي والبصرة سيان.<sup>1</sup>

و تشتهر "ديبل" كما يذكر المغربي: « بالمتاع الديبلي »<sup>2</sup> الذي  
يجلب منها إلى البلاد العربية، وعلى هذا الأساس كان لديبل مكانة لا يستهان  
بها، لدى التجار العرب والمسلمين لاسيما وهي المحطة الأولى لهم كما ذكرنا  
أنفا للانطلاق نحو الهند والصين، أو للتوغل في الأراضي الهندية.

## 7 - المنصورة:

وهي أيضا مدينة ساحلية، تقع: « في بلاد السند، وهي على معظم  
نهر مهران، يحيط بها ذراع منه من الجانب الغربي، ومقداره في الطول نحو  
ميل في عرض ميل».<sup>3</sup>

و المنصورة أيضا: « هي قصبة السند ومصر و مصر الإقليم  
تكون مثل دمشق، بناؤهم خشب وطين والجامع من حجر وأجر مثل جامع

---

<sup>1</sup> آدم متز: المرجع السابق، ص 847.

<sup>2</sup> ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 119.

<sup>3</sup> محمد الحميري: المصدر السابق، ص 549.

عمان على سوارى ساج، لها أربعة أبواب: باب البحر و باب طوران<sup>1</sup> و باب سندان،<sup>2</sup> باب الملتان ولهم نهر يحوط بالبلد<sup>3</sup>.

كما أنها من المدن العظام التي بناها أبو جعفر المنصور ولذلك يقال أن اسمها مشتق منه، وقد جاء في ذلك: «وقد بنى أبو جعفر المنصور أربع مدن وقال أنها لا تخرب أبدا، إحداهما بغداد في العراق وهذه المنصورة في السند، و المصيصة بالشام، والرافضة بأرض الجزيرة<sup>4</sup>».

و كما ذكرنا آنفا أنه لما ضعف نفوذ الخلفاء في السند في أواخر القرن الثامن الميلادي، أنشأ في هذا الظرف حاکمان عربيان ولايتين مستقلتين وهما الملتان والمنصورة حيث أصبح الحكم فيها متوارثا، وجل كتب الرحالة والجغرافيين تشير إلى أن حاکمهما كان من قريش.

و في زمن المسعودي الذي عاش في القرن الرابع الهجري فقد أخبرنا هذا الأخير بأن الذي كان يحكمها هو واحد من سلالة قريش الذي ورث هو بدوره الحكم أبا عن جد، فقال: «صاحب مملكة المنصورة رجل من قريش من هبار بن الأسود، والملك في هؤلاء وملك صاحب الملتان متوارثان قديما من صدر الإسلام<sup>5</sup>».

<sup>1</sup> طوران: من قرى هرات، وهي مدينة صغيرة من أرض السند، (أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار بيروت للطباعة و النشر 1976هـ — 1975 —، ج 4، ص 47).

<sup>2</sup> سندان: بينها وبين ديبيل والمنصورة عشرة مراحل، (أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 266).

<sup>3</sup> البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص 479.

<sup>4</sup> محمد الحميري: المصدر السابق، ص 549.

<sup>5</sup> أبو الحسن المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص99.

و يمتاز جو المنصورة كما يذكر لنا الإصطخري بالحرارة، ولذلك كان بها النخيل وأنواع أخرى من الفواكه التي أنتجت بفعل ذلك المناخ فقال: « وهي مدينة حارة بها نخيل وليس لهم عنب ولا تفاح ولا كمثري ولا جوز، ولهم قصب السكر، وبأرضهم ثمرة على قدر التفاح تسمى الليمونة، حامضة شديدة الحموضة، ولهم فاكهة تشبه الخوخ تسمى الأنيج، تقارب طعم الخوخ ».<sup>1</sup>

و لكن رغم حرارتها، فخيراتها كثيرة ومدنها عامرة، وأسواقها ملأى كما جاء في بعض المصادر: « وفي المنصورة هذه بشر كثير، وتجار مياسير وماشية و زروع وحدائق وبساتين ... و التجار بها كثيرون والأسواق بها قائمة والأرزاق دائمة »،<sup>2</sup> وكما يذكر المقدسي عن جوها: « والهواء لين و الشتاء هين والأمطار كثيرة ».<sup>3</sup>

و أهل المنصورة كثير، جلهم من عرب قريش كما يقول ابن حوقل: « وأهلها مسلمون من قريش من ولد هبار بن الأسود، وقد غلب عليها أجداده، و ساسوهم سياسة أوجبت رغبة الرعية فيهم و إيثارهم على من سواهم ».<sup>4</sup>

أما عن خُلُق أهلها فهم ذوو مروءة وحسن خلق، وكرم وعلم ودين وهي خصال عربية إسلامية أصيلة، حيث يذكر المقدسي: « أهل

<sup>1</sup> أبو إسحاق الإصطخري: المصدر السابق، ص 103.

<sup>2</sup> محمد الحميري: المصدر السابق، ص 549.

<sup>3</sup> البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص 479.

<sup>4</sup> أبو القاسم بن حوقل: المصدر السابق، ص 277.

لباقة ولهم مروءة،<sup>1</sup> و للإسلام عندهم طراوة ... ولهم ذكاء، وفطنة  
ومعروف وصدقة... وحسن أخلاق».<sup>2</sup>

و أما الجنس الآخر غير العربي، فهو في الغالب يغلب عليه الكفر  
كما يصفهم المقدسي: « الغالب عليهم الكفر، خرب الأطراف، قليل  
الأشراف».<sup>3</sup>

و يذكر أيضا أن سكان المنصورة كثيري العدد بقوله:  
« وأهله كثيرو العدد ».<sup>4</sup>

و نظرا لهذه الميزات، نشطت الحركة التجارية بها، كما تذكر لنا  
بعض المصادر السابقة حتى أصبحت تكتض بالتجار، حيث جاء في  
أحدها: « والتجار بها كثيرون».<sup>5</sup>

فهي أول وآخر بلد تجاري، كيف لا وهي قصبة السند وقاعدتها،<sup>6</sup>  
فالاستثمار التجاري فيها مفيد، كما يذكر المقدسي: « و التجارات ثم مفيدة».<sup>7</sup>  
ونظرا لغلبة العنصر العربي عليها، لا نستبعد أنها كانت ذا علاقة تجارية مع  
التجار العرب لا سيما وأنهم كانوا يترددون على سواحلها.

---

<sup>1</sup> مروءة: معناها مروءة.

<sup>2</sup> البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص 479.

<sup>3</sup> نفسه، ص 479.

<sup>4</sup> نفسه ، ص 360.

<sup>5</sup> محمد الحميري: المصدر السابق، ص 549.

<sup>6</sup> ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 133.

<sup>7</sup> البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص 479.

## 8 - المولتان (المنتان):

مدينة ممتدة نحو الشرق، مائلة قليلا نحو الشمال مما يلي بلاد فارس ولكنها ليست مدينة ساحلية كالمنصورة، فهي بعيدة عن البحر، ولكنها تتصل به عن طريق نهر السند، الذي يغذيها ليشكا عندها فرعا منه يدعى نهر مهران، إذ يقول بن رسته في هذا الصدد: « والملتان الذي ينشق به نهر مهران مثل دجلة وأكبر».<sup>1</sup>

فالملتان والمنصورة إذا، تقعان في خط نهري واحد، ويبدو هذا واضحا من خلال ما قاله الحميري: «مهران هو نهر السند الأعظم ... يقال أنه يخرج من جبل الذي يخرج منه نهر جيجون،<sup>2</sup> فيقطع أرض الهند والسند ويظهر على توافره بناحية الملتان ثم يمر على المنصورة».<sup>3</sup>

والملتان كذلك ثغر من ثغور الإسلام مما يلي السند،<sup>4</sup> و لقد ظلت منذ أن فتحها محمد بن القاسم في عهد الوليد بن عبد الملك مقاطعة تابعة للخلافة الإسلامية لقول ياقوت: « فالهند منذ فتوح الوليد بن عبد الملك، و هذه البلاد منذ ذلك الوقت بيد المسلمين إلى الآن».<sup>5</sup>

---

<sup>1</sup> أحمد بن رسته: المصدر السابق، ص 155.

<sup>2</sup> نهر جيجون: ينحدر من جبال الباميان، بضواحي كابلستان، ( أنظر غبن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 162).

<sup>3</sup> محمد الحميري: المصدر السابق، ص 562.

<sup>4</sup> نفسه، ص 464.

<sup>5</sup> ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 5، ص 228.

و نستطيع القول أنها حالياً وبالتسمية المعاصرة تقع في أرض باكستان والمهم أنها تقع على ضفاف نهر السند، فهي مثل المنصورة أو دونها في الكبر، إذ يذكر بن حوقل أنها: «نحو المنصورة في الكبر»<sup>1</sup>، و المقدسي كذلك يرى أنها: «مثل المنصورة»<sup>2</sup>، غير أن الإصطخري يرى غير ذلك فهي صغيرة جداً بالنسبة للمنصورة، حيث قال: «فهي مدينة نحو نصف المنصورة»<sup>3</sup>.

إلا أنهم جميعاً، متفقون على أنها تدعى فرج البيت<sup>4</sup> وأنها عظمة الشأن، نظراً لكونها قبلة الحجاج الهنود، لقول الحموي: «و بها صنم تعظمه الهند وتحج إليه من أقصى بلدانها و يتقرب إلى الصنم كل عام بمال عظيم»<sup>5</sup>، ويذكر بن حوقل العلة في ذلك: «و بها الصنم الأعظم للهند الذي تحج إليه من أقاصي بلدانها وسائر أصقاعها، وتعظمه، ويتقرب إلى هذا الصنم في كل سنة بمال عظيم، فينفق على بيت الصنم و سدنته والمعتكفين منه»<sup>6</sup>.

على أن هذه المدينة اشتق اسمها من اسم هذا الصنم الذي يدعى الملتان، ولذلك، يذكر بن حوقل: «وسميت الملتان باسم الصنم، والصنم اسمه الملتان»، ثم يصف موضع الصنم قائلاً: «ومكان هذا الصنم في

<sup>1</sup> أبو القاسم ابن حوقل: المصدر السابق، ص 278.

<sup>2</sup> البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص 480.

<sup>3</sup> أبو إسحاق الإصطخري: المصدر السابق، ص 103.

<sup>4</sup> أبو القاسم ابن حوقل: المصدر السابق، ص 278.

<sup>5</sup> ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 5، ص 227.

<sup>6</sup> أبو القاسم ابن حوقل: المصدر السابق، ص 278.

قصر مبني في أعمر موضع سوق الملتان بين سوق العجين ... وفي وسط هذا القصر قبة والصنم فيه <sup>1</sup>.

و بعض أهل الملتان في الحقيقة عرب، مثل المنصورة، وهذا ما أقره بن رسته: « و بالملتان قوم يزعمون أنهم من ولد سامة بن لؤي يقال لهم بنو منبه، وهم الملوك على الهند فيها، وهم يدعون لأمير المؤمنين <sup>2</sup>، كما أن حاكمها أيضا منهم، ويخبرنا المسعودي عن هذا: « و صاحب مملكة الملتان رجل من قريش من ولد سامة بن لؤي <sup>3</sup>. ونظرا لمكانة الملتان في نفوس الهنود والصينيين، فإنها أصبحت محط أموالهم وتجارتهم، حتى أن حكومة الملتان العربية، جل أموالها كان مصدرها الصنم، وجاء في ذلك: « وكان صاحبها من ولد سامة بن لؤي، وهو ذو جيوش ومنعة وأكثر ماله من الصنم المعروف بالملتان يقصده السند والهند من أقصى بلدانهم بنذور الأموال وأنواع الجواهر والطيب، ويحج إليه الألوف، ويحمل إليه العود القماري <sup>4</sup>.»

و هذه الميزة جعلتها تنصدر مدن السند من الناحية:الاقتصادية، وباعتبارها محجا للهنود، فهي كذلك تعتبر قبلة للتجار العرب والمسلمين وإلى هذا يشير المسعودي بعبارة وجيزة: « والقوافل منه إلى خراسان متصلة <sup>5</sup>،

<sup>1</sup> أبو القاسم ابن حوقل: المصدر السابق، ص 278.

<sup>2</sup> أحمد ابن رسته: المصدر السابق، ص 135.

<sup>3</sup> أبو الحسن المسعودي: المصدر السابق، ص 99.

<sup>4</sup> محمد الحميري: المصدر السابق، ص 464.

<sup>5</sup> أبو الحسن المسعودي: المصدر السابق، ص 99.



أي أن تلك القوافل التجارية متتابعة ومتوالية ومتردة بين الملتان وخراسان نظرا لحاجة بعضهما إلى البعض الآخر من حيث التبادل التجاري.

و لعل وقوعها في منطقة حدودية بين الهند وفارس جعلها ذات أهمية تجارية كبيرة، باعتباره محطة الطرق التجارية البرية، التي تربط الهند والسند بفارس والمشرق العربي، كما إنها محط القوافل التجارية التي ذكرها المسعودي الآتية من الأراضي العربية، وخراسان التي ذكرها، إنما هي محطة تجارية فارسية للقوافل العربية المتجهة نحو الشرق الأقصى، وكان العرب يتبادلون مع التجار الهنود بالسند، وعلى وجه الخصوص الملتان باعتباره كما قلنا مركزا تجاريا بریا هاما بها،<sup>1</sup> أم لعل المعاملة الحسنة التي كان يتلقاها العرب دون غيرهم من الأجانب من طرف أهالي المنطقة، هي التي جلبت هؤلاء التجار العرب إليها، و المقدسي الذي أغرته هذه الخصال والخلال الحميدة النابعة من العمق الإيماني الإسلامي وليدة الأصل العربي، إذ يقول: « ولا يكذبون في بيع ولا يبخسون في كيل ولا يخسرون في وزن، يحبون الغرباء وأكثرهم العرب ».<sup>2</sup>

أو ربما اجتذبهم الحكم العادل فيها، مع وجود النعم الكثيرة و التجارات المفيدة والمربحة كما جاء على لسان المقدسي: « والخير بها كثير، و التجارات حسنة والنعم ظاهرة والسلطين عادلة ».<sup>3</sup>

<sup>1</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 147.

<sup>2</sup> البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص 480.

<sup>3</sup> نفسه ، ص 360.

كما أن بضائعها رخيصة وأسعارها منخفضة رغم الخيرات الكثيرة والأشياء الثمينة التي تنتجها إذ يقول: « رخيصة الأسعار ».<sup>1</sup>

و المهم أن التبادل التجاري بين العرب والهنود، كان قائما بالمنطقة حتى القرن الرابع الهجري وذلك ما لمسناه من الرحالة السابق ذكرهم، مثل المسعودي و المقدسي اللذين عاصرا هذا القرن.

## 9 – ملابار ( مليبار ):

و هي بلاد ساحلية شاسعة تقع في الجانب الغربي من شبه الجزيرة الهندية<sup>2</sup> وهي المشهورة في الكتب الجغرافية ببلاد الفلفل،<sup>3</sup> و طولها مسيرة شهرين على ساحل البحر من سندابور إلى كولم،<sup>4</sup> و لقد ارتبطت هذه المنطقة ارتباطا وثيقا ببلاد العرب، منذ أقدم العصور بفضل موانئها وتوافد العرب عليها وتبادل البضائع التجارية بين تجار بلادها وبلاد العرب.<sup>5</sup>

و كان من أهم موانئها صيمور (CHAUL) الحالية، والتي تقع في الجنوب الغربي منها،<sup>6</sup> و هي كما يصفها الحموي: « ملاصقة للسند قرب الديبل و هي من عمل ملك من ملكهم يقال له البلهرا »<sup>7</sup> وتعد من المراكز

<sup>1</sup> البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص 480.

<sup>2</sup> نعيم زكي: المرجع السابق، ص 166.

<sup>3</sup> ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 105.

<sup>4</sup> محمد ابن بطوطة: المصدر السابق، ج 2، ص 432.

<sup>5</sup> إسماعيل الندوي: المرجع السابق، ج 1، ص 43.

<sup>6</sup> ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 105.

<sup>7</sup> ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 3، ص 440.

المهمة لدى العرب، حيث كان بها في زمن المسعودي مستعمرة تحتوي على حوالي عشرة آلاف من نازحين جدد من البصرة وبغداد و غيرهما من المناطق العربية، وكان بها أيضا تجار كبار.<sup>1</sup>

كما تشتهر بلاد الملابار بميناء آخر وهو " كولم ملي " أو " كولم تلي"، الذي كان كما يقول الندوي: « مقصد التجار العرب سواء أكان للتجارة مع أهل ملابار أو لتزويد السفن العربية بما تحتاج إليها من مؤن خلال رحلاتها الطويلة إلى الصين ».<sup>2</sup>

و نظرا لأهميته الاقتصادية، أصبح هذا الميناء مع مرور السنين ومع تدفق التجار عليه من مختلف الأجناس وخاصة العرب منهم، من أحسن مدن الملابار و أسواقها من أحسن الأسواق.<sup>3</sup>

كما تعتبر قاليقوط (كاليكوت) من أهم مدن الملابار الساحلية، و مرساها من أعظم مراسي وموانئ العالم، و كان أغلب من يقصدها أهل الصين و جاوة و سيلان و أهل اليمن و فارس، و بها يجتمع تجار الآفاق.<sup>4</sup>

كلكتا حاليا هي من أهم المرافئ الهندية الشرقية على خليج عند دلتا نهر الغانج، و هي عاصمة البنغال الغربي وهي من أكبر مدن الهند و به العديد من المساجد و الآثار الإسلامية.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 149.

<sup>2</sup> إسماعيل الندوي: المرجع السابق، ص 43.

<sup>3</sup> محمد ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص 440.

<sup>4</sup> نفسه، ج2، ص 437.

و هناك مدينة أخرى لا تقل أهمية عن تلك المدن التجارية الكبيرة التابعة لبلاد الملابار، و هي مدينة "منجورور"، و تقع على خور عظيم، يسمى خور الدنب (بضم الدال المهمل و سكون النون)، ينزل بها معظم تجار اليمن و فارس، و قد كان بها نحو أربعة آلاف من المسلمين يسكنون ربضا بناحية المدينة.<sup>2</sup>

و لذلك، فبحكم الامتداد التاريخي و الجغرافي بين الملابار و بلاد العرب، و قدم العلاقات بينهما، فقد نشأت نوع من الرابطة التكاملية بينهما التي لا يمكن لأجيالهما المتعاقبة الاستغناء عنها.

لهذا الصدد، فأهل الملابار بالنسبة للعرب حليف استراتيجي لا يمكن التفريط فيه لأن بلادهم تشكل أهم مصدر لثرائهم أو استثمار أموالهم فيها، كما أصبح لساحل ملابار أهمية اقتصادية كبرى للعرب، لأنه كان يمدهم بما يلزمهم من الخشب الساج الذي كان يستخدم في بناء السفن.

و في مقابل ذلك، كان سكان ملابار «يجنون أرباحا كثيرة، وكان ملوكها يحصلون على رسوم الموانئ».<sup>3</sup>

و هكذا، فقد كان لتوافد القوافل العربية على هذه المنطقة أثر بالغ في نشوء جاليات لها عبر أنحاء سواحل غرب الهند، ثم زادت الروابط بينهم

---

<sup>1</sup> يحي شامي: المرجع السابق، ص 355.

<sup>2</sup> نفسه، ص 434.

<sup>3</sup> إسماعيل الندوي: المرجع السابق، ص 43.

وبين الملوك لدرجة أن الملوك منحوهم الحرية التامة في نشر تعاليم الإسلام واحترموا حتى أولئك الذين أسلموا من أهالي ملابار.<sup>1</sup>

و بتردد العرب المسلمين على مدن الملابار انتعشت ونشطت الحركة التجارية بها، وازدادا الترابط بينها وبين المدن العربية، حتى أصبحوا هم سادت التجارة في السلع التي تجلب من هذه المنطقة، باعتبار أراضيها ذات المناخ الموسمي، فالإنتاج الوفير بها من التوابل،<sup>2</sup> بحيث أصبح لدى العرب وكالات خاصة بتسويقها إلى الخارج، وتقوم الوكالات الأجنبية بتسويقها وتصديرها إلى الخارج ومن هذه الوكالات وكالات الجاليات العربية الذين يكونون خمس سكان الموانئ،<sup>3</sup> كما أن لهذه الجاليات العربية دور في التبادل التجاري فالمتاجر المعينة للبحر الأحمر كان ينقلها العرب والمصريون في مراكبهم ن وقد كان هؤلاء يعيشون من تلك الموانئ باعتبارهم رعايا الحكام المحليين بل باعتبارهم أصحاب امتيازات خاصة.<sup>4</sup>

و قد كان العرب منذ عهد عتيد يحتكرون التبادل التجاري بين ملابار والعالم الغربي بما فيه أوروبا عن طريق تلك الوكالات، فكانوا يرسلون التجار في مصر وأوروبا ولهم وكلاء في الخليج الفارسي، وسواحل بلاد العرب وشرق إفريقيا، ولقد وطنوا أقدامهم في مدن وموانئ ساحل ملابار منذ أمد طويل.<sup>5</sup>

---

<sup>1</sup> إسماعيل الندوي: المرجع السابق، ص 43.

<sup>2</sup> نعيم زكي: المرجع السابق، 166.

<sup>3</sup> نفسه.

<sup>4</sup> السيد مقبول: المرجع السابق، ص 130.

<sup>5</sup> نعيم زكي: المرجع السابق، ص 166.

بمعنى أنهم منذ أن استقرت جالياتهم منذ العهود الإسلامية الأولى التي سبق وأن أشرنا إليها كانوا هم الوكلاء الرئيسيين لهذه التجارة.<sup>1</sup>

## 10- سرنديب ( سيلان ):

جزيرة جاء ذكرها في بعض كتب الرحالة كالمسعودي والبيروني وغيرهما باسم: " سرنديب"،<sup>2</sup> غير أن البعض الآخر فضل تسميتها " بسيلان" مبررين ذلك، بأن تسمية سرنديب إنما تطلق على موضع معين في جزيرة سيلان حسب قول ياقوت: «بها سرنديب»،<sup>3</sup> ومعنى سرنديب «جزائر الذهب».<sup>4</sup>

و تقع سرنديب في جنوب شرق الجزيرة الهندية، في شرقي مدينة "بليق" التي تقع في جنوب رأسها<sup>5</sup> المقوس، الذي يشبه تقريبا رأس الرجاء الصالح بأفريقيا، ويطلق على سرنديب في العصر الحالي اسم « سيريلانكا». و يزعم البعض أن في هذه الجزيرة يقع الجبل الذي هبط عليه آدم عليه السلام من الجنة، ولذلك جاء في نخبة الدهر: « وجزيرة سرنديب بجنوب

<sup>1</sup> السيد مقبول: المرجع السابق، ص 131.

<sup>2</sup> المسعودي: المصدر السابق، ص 152.

<sup>3</sup> ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 3 ص 298.

<sup>4</sup> أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة، مطبوعات دار المعارف العثمانية، حيدر

أباد، الهند، 1373هـ — 1958م، ص 169.

<sup>5</sup> ابن سعيّد المغربي: المصدر السابق، ص ص 85 و 86.

البحر يحيط بها ألف و مائة ميل يشقها جبل الراهون وهو الذي هبط عليه آدم عليه السلام وهو متصل في البحر».<sup>1</sup>

و تتوسط سرنديب بين الهند والصين حيث ذكر ياقوت بأنها: «متوسطة بين الهند والصين»<sup>2</sup> و نظرا لطبيعتها وعظمتها سكنها خليط من الأجناس فهي متعددة الجنسيات والديانات حيث يقول الدمشقي: «ومدينة سرنديب يسكنها مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وكفرة لا ينفقون لملة، ولكل طائفة حاكم لا يبغي بعضهم على بعض، وكلهم راجعون إلي ملك المسلمين يسوسهم ويجمع كلمتهم»<sup>3</sup>، و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على المكانة الرفيعة التي كان يحظى بها المسلمون بتلك الجزيرة.

و تشتهر سرنديب بمعدن الذهب، حيث يذكر المسعودي أن بها: «معادن الذهب كثيرة»<sup>4</sup> كما توجد بها بضائع متنوعة ونفيسة لا تقدر بثمن، ولقد جاء: «وفيها عقاقير كثيرة لا توجد في غيرها من الدار صيني وزهرة بقم، وقيل أن فيها معادن الجوهر»<sup>5</sup> كما توجد فيها كما يذكر الدمشقي: «وبالجزيرة شجر القرنفل».<sup>6</sup>

---

<sup>1</sup> شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الطالب الأنصاري الدمشقي: نخبة الدهر، مطبعة بريل، ليدن

المخروسة، 1923م، ص 160

<sup>2</sup> ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص 218.

<sup>3</sup> شمس الدين الدمشقي: المصدر السابق، ص 160.

<sup>4</sup> أبو الحسن المسعودي: المصدر السابق، ص 152.

<sup>5</sup> ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص 212.

<sup>6</sup> شمس الدين الدمشقي: المصدر السابق، ص 160.

و لقد تجاوزت التجارة الإسلامية جميع سواحل الهند حتى وصلت إلى سيلان الرأس الجنوبي للهند،<sup>1</sup> حيث تألق بها التجار المسلمون فصارت سرنديب من أبرز المحطات التجارية التي تحط بها وتعتمد عليها السفن التجارية الآتية من شبه الجزيرة العربية ومن العراق.

## 11- خانقو(كانتون):

تعتبر "خانقو" (كانتون) البوابة التي يعبر منها من أراد التوجه إلى الصين عن طريق البحر<sup>2</sup>، فهي مدينة جليلة تقع على نهر عظيم يدعى "خمدان" في الجانب الشرقي من الصين،<sup>3</sup> وهي كما يذكر "المسعودي": «مدينة عظيمة على نهر عظيم أكبر من دجلة يصب في بحر الصين، و بين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة أيام أو سبعة».<sup>4</sup>

كما تعتبر الميناء الأكبر في الصين منذ أمد بعيد و التي كانت تشتهر باسم: «المرقى الأعظم من مراقي الصين».<sup>5</sup>

و تدعى كانتون حالياً قوانغزهو (Guangzhou) أو قونغ- تشو (Kouang-tcheou) و هي ميناء الصين برأس قوانغدونغ

<sup>1</sup> JOURNAL ASIATIQUE, AOUT SEPTEMBRE 1846, p150.

<sup>2</sup> ذانج هو: المرجع السابق ج6، ص14.

<sup>3</sup> ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 122.

<sup>4</sup> أبو الحسن المسعودي: المصدر السابق، ص138.

<sup>5</sup> محمد الحميري: المصدر السابق، ص 211.



(Guangdong) عند مصب نهر كزي-جيانغ (Xi Jiang)<sup>1</sup>، و هي أقدم مركز تجاري بالصين كانت له علاقات تجارية واسعة مع الهند و العالم الإسلامي.<sup>2</sup>

و لقد أصبحت "خانقو" مرصداً كبيراً للتجار العرب الذين اتخذوا منها « قاعدة لعملياتهم التجارية»،<sup>3</sup> حيث أصبحت السفن التجارية العربية كثيرة التردد على مدينة "خانقو" عن طريق نهرها الأعظم، فيقول "المسعودي" في شأن ذلك: « تدخل هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة و سيرا ف و عمان و مدن الهند، و جزائر الزابج<sup>4</sup> و الصنف و غيرها من الممالك بالأمّنة و الجهاز و تقرب مدينة خانقو». <sup>5</sup>

أنشأ هؤلاء العرب مواصلات منتظمة بين مراكزهم على الخليج الفارسي و مراكزهم الجديدة في جنوب شرقي آسيا، فانتقل هذا النشاط بعد ذلك إلى البحر الأحمر الذي اتصلوا من خلاله مباشرة بموانئ الصين، و ارتكز نشاطهم على الموانئ الكبيرة و التي تعتبر "خانقو" أكبرها.<sup>6</sup>

و كان بخانقو كما هو الحال بسرنديب خليط من الأجناس و الديانات المتعايشة فيما بينها في سلم و سلام، و نلمس ذلك من خلال ما

---

<sup>1</sup> كزي- جيانغ (Xi Jiang) أو سي-كيانغ (Si-kiang) و هو نهر كبير بالصين طوله 2000 كلم

ينتهي بدلتا التي أنشئت عنده مدينة كانتون (أنظر: A-Kondo et Kondratiev : op.cit, vol 1, p 661).

<sup>2</sup> Ibid, vol2, p 1647.

<sup>3</sup> نعيم زكي: المرجع السابق، ص 162.

<sup>4</sup> هي جزيرة في أقصى بلاد الهند وراء بحر المهر كند عند حدود الصين (أنظر: ياقوت الحموي، المصدر

السابق، مج 3، ص 124).

<sup>5</sup> أبو الحسن المسعودي: المصدر السابق، ص 138.

<sup>6</sup> نعيم زكي: المرجع السابق، ص 162.

نقله بعض الرحالة: «فيها خلائق من الناس مسلمون و نصارى و يهود و مجوس و غير ذلك من أهل الصين».<sup>1</sup> حيث بلغ عدد أولئك الأجانب في القرن التاسع الميلادي في خانقو وحدها مائة و عشرين ألف نسمة، و هذا في الواقع عدد ضخم.<sup>2</sup>

و لهذا، أصبحت "خانقو" بالنسبة للتجار العرب مركزا مهما لهم، و التي كان لهم الدور الكبير فيها. و بالموازاة معهم، كان التجار الفارسيين إلى جانبهم يتقاسمون معهم هذا الدور الحيوي، فقد كانا يمثلان وجهين لعملة واحدة، لدرجة أنه لا يذكر فيها تاجر عربي إلا و ذكر تاجر فارسي معه، و يدعم ذلك قول المروزي: «و على أحد جانبيه (أي النهر<sup>3</sup>) أسواق التجار الغرباء، و على جانبه الآخر أسواق أهل المدينة، و أكثر من يقصدهم التجار الفرس و العرب، و الفرس يركبون إليهم من سيراف، و العرب من البصرة»<sup>4</sup> حتى باتا يشكلان معا إحدى أكبر التكتلات التجارية بها.

و كانت أسواق خانقو تزخر بالبضائع النفيسة كالحرير و المسك و العود و السروج و السمور و الدار الصيني و الأبنوس و خشب الصندل و الكافور و الخيزران و مختلف أنواع الأفاويه.<sup>5</sup>

---

<sup>1</sup> أبو الحسن المسعودي: المصدر السابق، ص 162.

<sup>2</sup> ذانج هو: المرجع السابق، ج 6، ص 15.

<sup>3</sup> يقصد بذلك نهر حمدان الذي تقع على ضفافه مدينة "خانقو"، (أنظر الصفحة السابقة).

<sup>4</sup> شرف الزمان المروزي: المصدر السابق، ص 10.

<sup>5</sup> نعيم زكي: المرجع السابق: المرجع السابق، ص 162.

و كان الملك لا يأخذ من أمتعة التجار إلا العشر،<sup>1</sup> فلم يزل ملتزما بأخذ تلك النسبة دون أن يزيد أو ينقص فيها، مما يشير إلى التزام الملك بتعهداته، بل و أكثر من ذلك، فقد عرف عن أهالي هذه البلدة الطيبة سواء كانوا حكاما أو محكومين بالوفاء و الأمانة و صدق الحديث و هذا ما نستشفه من قول المروزي: «و كان لأهل هذه المدينة وفاء و أمانة و صدق لهجة».<sup>2</sup>

## 12- خمدان:

تقع هذه المدينة الكبيرة عند مصب النهر الكبير الذي سميت باسمه "نهر خمدان" و هو من أعظم أنهار الصين، و عنده يختلط البحران العظيمان البحر الهندي و البحر المحيط (المحيط الهندي و المحيط الهادي)، و على ضفافه الشرقية و الغربية تمتد هذه المدينة المترامية الأطراف، و هي من أشهر مدن الصين خلف خط الاستواء.<sup>3</sup>

و لقد اعتبرت هذه المدينة من أهم المحطات التجارية سواء من الناحية البحرية أو عن طريق النهر ذاته و التي تتصل من خلاله بمدن كبيرة أخرى مثل "خانقو" التي تقع هي أيضا على نفس النهر.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> شرف الزمان المروزي: المصدر السابق، ص 10.

<sup>2</sup> نفسه، ص 5.

<sup>3</sup> ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 88.

<sup>4</sup> شرف الزمان المروزي: المصدر السابق، ص 10.

### 13- كوانشو أو تيشوا نتشو (زيتون):

"كوانشو"<sup>1</sup> و يسميها البعض "تيشوا نتشو" هي إسم مدينة كان يطلق على ميناء "تسي تون"<sup>2</sup> أو كما وردت على لسان كما من "ابن بطوطة" و "ابن سعيد المغربي" باسم "زيتون"<sup>3</sup> من طرف التجار الأجانب و هو اسم معروف حتى الآن و مشتق من أشجار الزيتون التي تزخر بها شوارعها التي زرعت خلال الفترة الممتدة بين 944 و 662 ميلادية تحت إشراف حاكمها الذي كان يدعى "ليوكونج كسياو"، بحيث تقع عند مصب نهر "جن جبانج" أو كما يسميه "المغربي" بنهر "زيتون"<sup>4</sup>. و يبدو أن التجار العرب هم الذين أطلقوا هذه على الميناء باعتبار الكلمة ذات أصل عربي لفظا و معنى.

لذلك، كانت بحكم هذا الموقع الاستراتيجي ميناءً طبيعياً ممتازاً. ثم تطورت تدريجياً لتصبح ميناءً مزدهراً ترسو فيه السفن التجارية، كما تم إنشاء مكتب ملاحظة الملاحة التجارية رسمياً في هذا سنة 1087 ميلادية، و قد قامت حكومة سونغ الثامنة بإنشاء هذا المكتب.

كان معظم التجار الأجانب يجتمعون في عهد أسرة سونغ في كل من كانتون و كوانشو، و كانوا كلهم من التجار العرب الذين كانوا من أغنى التجار على الإطلاق.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> ذاتج هو: المرجع السابق، ص35

<sup>2</sup> أنظر: فهمي هويدي، المرجع السابق، ص 52.

<sup>3</sup> أنظر: محمد ابن بطوطة: المصدر السابق، 486 و ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص121.

<sup>4</sup> أنظر: ابن سعيد المغربي: المصدر نفسه، ص121،

<sup>5</sup> ذاتج هو: المرجع السابق، ص35.

## 14- لوقين:

تقع مدينة لوقين عند خليج بحري على نهر يحمل نفس الاسم و هو رابع أنهار الصين و هي مشهورة بين فرض (الحواضر الكبرى) الصين، و في شرقيها يقع نهر خمدان الأعظم الذي تقع في نهايته مدينة خانقو.<sup>1</sup>

و تعتبر لوقين من أول مراقي الصين تبعد عن الصنف<sup>2</sup> ثلاث مراحل، و بها كان يطرز الديباج و الحرير الصيني و منها يخرج إلى جميع الجهات و بها يعمل الغضار الصيني، و منها يُتَجَهَّزُ أيضاً إلى سائر البلاد المتصلة و المتباعدة و بها أرز و حبوب و نارجيل و قصب و لباس أهلها الفوط و هم يجالسون التجار و يداخلون الناس.<sup>3</sup>

## 15- خانجو (هانجشو):

تقع هذه المدينة على الساحل في الجانب الشرقي من الصين شمال زيتون و تقدر المسافة التي: «بينها و بين خانقو ثمانية أيام».<sup>4</sup> و يقدر الإدريسي الذي يسميها "خانفو" المسافة بينها و بين مدينة لوقين مسيرة أربعة أيام في البحر و عشرين في البر، و هي من أعظم مراقي الصين تقع في خليج تدخل منه السفن مسافة شهرين حتى تصل إلى باجة.<sup>5</sup> و تعتبر خانجو

<sup>1</sup> ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، 122.

<sup>2</sup> بينها و بين جزيرة قمار مسيرة ثلاثة أيام و بها العود الصنفي (أنظر: أبو القاسم ابن خرداذبة: المسالك و الممالك، تقديم فهرست الدكتور محزوم، ط2، دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون تاريخ، ص66)

<sup>3</sup> الشريف الإدريسي: المصدر السابق، مج1، ص84.

<sup>4</sup> محمد الحميري: المصدر السابق، ص164.

<sup>5</sup> هي مدينة البغوغ ملك الصين بأجمعها و إلى مدينته ينتهي مسافر و بلاد الغرب الشريف الإدريسي: المصدر السابق، مج1، ص84.

مملكة كبيرة ذات فيلة كثيرة و أجناد و أسلحة و أهلها يأكلون الأرز و الألبان و النارجيل و قصب السكر.<sup>1</sup>

فهانجشو (Hangchow) كانت عاصمة أسرة سونج، و بحلول عام 1275م أصبحت أكبر و أغنى مدينة في العالم في غاية الرفاهية و الروعة و الجمال مليئة بالثقافة تنبض بالحياة و النشاط.<sup>2</sup> فقد وفرت هذه المدينة لصغار الموظفين و التجار الأجانب و الشعب العامل ألواناً من مرافق التسلية و المتعة، فانتشرت فيها كثير من المطاعم المتخصصة في ألوان شتى من الأطباق المحلية، و كانت الأسواق ليست حكرًا على التجارة فقط بل كانت أماكن ترفيه و تسلية.<sup>3</sup>

و تعتبر هذه المدينة ذات أهمية كبرى بالصين باعتبارها من المراكز العظمى التي ترقى إليها السفن التجارية العالمية الكبرى، و يعرف مينائها عند العرب باسم "كينساي" أو "كنيسيا"،<sup>4</sup> وإليه ينتهي التجار العرب، و مع أنها ليست كبيرة، إلا أنها تعد كمركز تسويق لنهر "يانج سي"، إذ تتواجد بها مراكز و وكالات تجارية للمسلمين كتلك الموجودة بخانقو،<sup>5</sup> و التي نشأت بموجبها علاقات اقتصادية بينهما وخاصة في المجال التجاري، حيث استمرت إلى غاية نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) .

<sup>1</sup> الشريف الإدريسي: المصدر السابق، مج 1، ص 84 .

<sup>2</sup> (أنظر: A-Kondo et Kondratiev : op.cit, vol 1,p736).

<sup>3</sup> كافين رايلي: المرجع السابق، ص 217-219.

<sup>4</sup> نعيم زكي: المرجع السابق، ص 164.

<sup>5</sup> نفسه.

و لذلك، فقد بذلت الحكومة الصينية جهدا كبيرا لتنشيط التجارة الخارجية، و بذلت كل ما في وسعها لاستقطاب التجار الأجانب و تحفيزهم على استثمار أموالهم في هذا المجال داخل الصين بصفة عامة و في هذه المدينة على وجه الخصوص، فأرسلت بذلك وفدا إلى الخارج ليقنع التجار الأجانب بالمجيء إلى الصين، و منحت لهم إجازات خاصة لاستيراد البضائع، و أنشأت الحكومة سنة 389هـ/999م دوائر للتجارة البحرية في "هانجشو" (خانجو) بناء على طلب التجار الأجانب و تسهيلات لمعاملاتهم.<sup>1</sup> و على هذا الأساس، لعب الغرب الدور الأساسي من بين التجار الأجانب الذين كانوا يتاجرون مع الصين، و الذين عاملتهم الحكومة الصينية معاملة جيدة و متميزة.<sup>2</sup>

## 16- كله بار(كله):

كان اسمها الحقيقي "كله" كما هو مذكور في جلّ الكتب الجغرافية و تسمى أيضا "الملايو" و "ملقة"، هذه كلها أسماء لما يعرف بماليزيا اليوم.<sup>3</sup> و هي عبارة عن لسان ممتد في المحيط الهندي متصل بشبه جزيرة ملاير من الناحية الشمالية الشرقية،<sup>4</sup> أو كما يسميها الإدريسي "ملاي" ( يقصد بها شبه جزيرة الملايو) و ذكر أن المسافة بينها و بين جزيرة الصنف مسيرة اثني عشر يوما بين جزائر و جبال شائعة في البحر و هذه الجزيرة معترضة من المغرب إلى المشرق، و في جهة الشمال معترضة اعتراضا مؤديا إلى أن تمس ساحل الصين و هي أطول الجزائر قطرا و أكثرها عمارة و أخصبها

<sup>1</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 148.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص 105.

<sup>4</sup> ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 108.

جبالاً و أوسعها مملكة و أنفعها تجارة.<sup>1</sup> و يبدو حسب هذه التسمية و الأوصاف الدقيقة التي وصفت بها من طرف الرحالة و موقعها الجغرافي الذي حدوده لنا أنها هي ماليزيا الحالية بالرغم من أنهم نسبوها إلى بلاد الهند. فحسب ابن الفقيه الهمداني هي: « مملكة "الزابج" متيامنة عن على بلاد الهند. و لباسهم الفوط»،<sup>2</sup> أما أبا دلف حينما بيّن لنا طريق العودة من الصين ذكر أن أول بلاد حطّ بها بعد الصين قبالة الهند هي "كله" وقال أنها منتهى مسير المراكب فلا يكاد يتجاوزها أحد إلا غرق.<sup>3</sup> و حينما نتأمل موقعها الذي حدّده لنا ابن خرداذبة، و ذلك بجمع مسافات المسالك البحرية بين الجزر ابتداءً من سرنديب اتجاه اليمين حتى هذه البلاد و المقدرة بأكثر من عشرين يوماً،<sup>4</sup> لأدركنا فعلاً بأنها هي "ماليزيا". غير أن محقق رسالة أبي دلف يؤكّد "كله بار" هي ليست كل ماليزيا و إنما هي بالتحديد عاصمتها "كوالا لمبور"، و إذا أمعنا النظر في الكلمتين نجد أوجه تشابه بينهما و مقاربتان من حيث النطق، و ربما يكون هذا الاحتمال أقرب إلى الصواب.

و لمّا زار أبو دلف هذه البلاد انبهر لجمالها وعظمة بنائها قائلاً: « فلما وصلتُ إليها رأيتها منيعة، عالية السور، كثيرة البساتين، غزيرة الماء، و وجدت بها معدناً للرصاص القلعي لا يكون إلا في قلعتها من سائر الدنيا، و في هذه القلعة تضرب السيوف المعروفة بالقلعية و هي الهندية العتيقة »،<sup>5</sup> ثم يضيف واصفاً إيّاها و أحوال أهلها: « و بينها و بين الصين ثلاثمائة

<sup>1</sup> الشريف الإدريسي: المصدر السابق، ص 91.

<sup>2</sup> ابن الفقيه الهمداني: المصدر السابق: ص 12.

<sup>3</sup> بن المهلهل أبو دلف: المصدر السابق: ص 59.

<sup>4</sup> أبو القاسم بن خرداذبة: المصدر السابق: ص 66.

<sup>5</sup> بن المهلهل أبو دلف: المصدر السابق: ص 59.



فرسخ، و حولها مدن و رساتيق<sup>1</sup> و قرى، و لهم أحكام و حبوس و جنيات، و أكلهم البر و التمر، و بقولهم كلها تباع وزناً، و أرغفة خبزهم تباع عدداً و لا حمّامات لهم، بل لهم أعين حارة يغتسلون فيها، و درهمهم يزن ثلثي درهمنا و يعرف بالفهزي، و لهم فلوس يتعاملون بها»<sup>2</sup>.

هذه هي أهم المحطات التجارية البحرية التي تربط الطرق البحرية الممتدة بين العالم الإسلامي و الشرق الأقصى بأقسامه الثلاثة: الهند، السند و الصين، إلا أننا تغاضينا عن ذكر باقي المحطات نظراً لوجود عدد لا يحصى منها و التي لا يتسع بنا المقام هنا لذكرها، بل نكتفي بأهمها و التي لها علاقة مباشرة مع موضوع المبادلات التجارية بين العالمين المذكورين آنفاً، سواء كانت هذه المحطات محطات إقلاع أو استقبال أو واصلية بينهما عبر شبكة الطرق البحرية الممتدة بينهما.

## 2 - المسالك و الطرق البحرية:

و بحكم قرب المسافة بين قلب الخلافة الإسلامية (العراق) والأراضي الهندية، كانت التجارة البحرية بينهما نشيطة،<sup>3</sup> وكانت البصرة تمثل المنطلق الرئيسي للطرق التجارية البحرية بالنسبة لهذه المنطقة، فيمتد أولها إلى الهند والصين بينما يدور الثاني حول سواحل الجزيرة العربية إلى البحر الأحمر إلى شرقي إفريقيا، ولما كان الخليج ضحلاً، عند مصب دجلة العوراء، فقد أنشأ منار في البحر، تسترشد به السفن القادمة إلى البصرة.

<sup>1</sup> رستاق كلمة فارسية معرب رزتاقي و هو السواد و القرى جمع رزداقات و رزاديق، (أنظر: بطرس البستاني، المصدر السابق، ص 332).

<sup>2</sup> بن المهلهل أبو دلف: المصدر السابق، ص 60.

<sup>3</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 289.

و كان التجار العراقيون إذا أرادوا أن يرتحلوا إلى الشرق الأقصى وعلى وجه الخصوص الهند، انطلقوا بسفنهم من البصرة، فيمرون في طريقهم بمسقط ثم ديبيل، وأحيانا يمرون على المنصورة، ومنها إلى كلم ملي، الميناء الرئيسي لمنطقة الملابار، ومنه إلى سرنديب ثم إلى خليج البنغال إلى الناكبالوس<sup>1</sup> ( وهي جزيرة من جزر النيوكوبار )، ثم كله بار ( في مالقا )، ومنها إلى جزيرة تيومه ( سومطره )، ثم إلى الصنف ( كمبوديا حاليا )، ثم إلى صندرفولات<sup>2</sup>، وفي الأخير يصلون إلى خانقو ( كانتون ) وهو ميناء الصين العظيم.<sup>3</sup>

وضع بن خرداذبة في كتابه "المسالك والممالك" دليلا للمسافرين، وصف فيه الطريق البحري الذي يبدأ من البصرة مصب دجلة عند الأبله، ويصل إلى بلاد الهند والصين حيث يقول: « فمن البصرة إلى جزيرة خارك<sup>4</sup> خمسون فرسخا ... ثم إلى جزيرة كيس<sup>5</sup> ... ثم إلى جزيرة ابن كاوان<sup>6</sup> ... ومن جزيرة بن كاوان إلى أرموز<sup>7</sup> ... ثم إلى ثارا مسيرة سبعة

---

<sup>1</sup> الناجبالوس: تقع شرق سرنديب على مسيرة عشرة أيام اتجاه كله، ( أنظر بن خرداذبة: المصدر السابق، ص 62 و ما بعدها).

<sup>2</sup> صندرفولات: جزيرة بينها وبين الصنف مسيرة عشرة أيام وبينها وبين الصين مسيرة شهر، (أنظر أبو بكر ابن الفقيه: المصدر السابق ص 12).

<sup>3</sup> عبد العزيز الدوري الدور ي: المرجع السابق، ص 147.

<sup>4</sup> خارك: فهي على أربعة فراسخ في البحر، فهي بين البصرة والبحرين، ( أنظر محمد الحميري، المصدر السابق، ص 212).

<sup>5</sup> كيس: أو كيش أو قيس، تقع على ساحل فارس في بحر عمان، ( أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 4، ص 422).

<sup>6</sup> ابن كاوان: جزيرة صغيرة، تقع بين سيراف وعمان، ( أنظر أبو بكر ابن الفقيه: المصدر السابق، ص 11).

<sup>7</sup> أرموز: يقصد بها هرمز، وهي الميناء الرئيسي في الخليج الفارسي وفرضة كرمان، ( أنظر نعيم زكي: المرجع السابق، ص 112).

أيام، وهي الحد بين فارس والسند، ومن ثارا إلى الديبل مسيرة ثمانية أيام، ومن الديبل إلى مصب مهران نهر السند في البحر فرسخان، ومن مهران إلى أوتكين، وهي أول أرض الهند مسيرة أربعة أيام، ومنها إلى سندان<sup>1</sup> و من سندان إلى ملي مسيرة خمسة أيام ومنها إلى بلين ... ومن أخذ من بلين<sup>2</sup> إلى سرنديب فهو مسيرة يوم ... وبعد سرنديب جزيرة الرامي<sup>3</sup> «<sup>4</sup>.

هذا باختصار فالطريق من البصرة إلى أقصى الهند، ولقد حرصنا على نذكر أهم المحطات البحرية دون غيرها نظرا لكثرتها وليس بإمكاننا سردها بكاملها في موضوعنا لا سيما وأنها تستدعي التعليق الكبير عليها. فهذا الطريق كما يبدو، يسلكه الهنود والصينيون على السواء، لأنه إلى هذا الحد هو طريق واحد بالنسبة لهم، وأما ما بعده فإنه يسلكه من أراد الذهاب إلى الصين.

و أما المسلك الثاني، إذا كانت انطلاقة السفن التجارية من عمان سواء من مسقط أو صحار، فإذا أرادت أن تذهب إلى السند حطت في الديبل، وأما إذا أرادت الهند فإنها مباشرة تتجه نحو كولم ملي، الذي يعتبر الميناء الرئيسي للهند كما ذكرنا، فمن أراد الاتجاه نحو أقصى الهند أو الصين فما

<sup>1</sup> سندان: مدينة مشهورة ملاصقة للسند، بينها وبين الديبل والمنصورة نحو عشرة مراحل، (أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص ص 266 – 267).

<sup>2</sup> بلين: على حسب موقعها القريب من سرنديب أقصى الهند، فهي: ((بلين))، شمال سرنديب، (أنظر ابن سعيد المغربي المصدر السابق، ص85).

<sup>3</sup> الرامي: والمشهور بالكركدن والجواميس التي لا أذنان لها، وفيها جبال الزابج، (أنظر أبو القاسم بن عبد الله: المصدر السابق، ص 65).

<sup>4</sup> أبو القاسم ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص ص 62 وما بعدها.

عليه إلا أن يتبع الطريق المذكور آنفاً، وإما السفن التي تأتي من صنعاء و زبيد وعدن فإنها تمر مباشرة إلى كولم ملي، وهذه الأخيرة هي المحطة الرئيسية للسفن المتجهة نحو الهند، و بها يأخذ التجار راحتهم بعد طول سفر وعناء وإنها تتحاشى الوقوف عند جزيرة سقطرى رغم أهميتها بالنسبة لهذه السفن باعتبارها أول محطة بحرية في الطريق إلى الهند ولكن وجود القرصان بها الذين يقطعون الطريق، حال دون ذلك.<sup>1</sup>

و لقد حاول " متز " أن يعطينا صورة مصغرة عن هذا الطريق،<sup>2</sup> ليطلعنا من خلاله على الزمن الذي يستغرقه التجار من مسقط كآخر نقطة عربية تغادرها سفنهم إلى أقصى نقطة في الساحل الصيني فيقول: « ومن ذلك كله، نعلم أن الناس كانوا يسIRON بحذاء ساحل الهند أو يتجهزون من مسقط إلى ميناء كولام ( كيلون ) رأساً، وذلك في نحو شهر ثم يواصلون سيرهم جاعلين جزيرة سرنديب إلى يمينهم، ويقصدون جزائر نيوكوبار على مسيرة عشرة أيام أو خمسة عشرة يوماً من جزيرة سرنديب، ومن ثم إلى مدينة كدا في ملقى ( ملكا )، وهي على مسيرة نحو شهر من كيلون، ومن هناك يقصدون جاوا، وجزيرة ماهيت ( مايط ) ... ثم يسIRON خمسة عشرة يوماً، حتى يصلوا كمبوديا، ومنها إلى ... الصين ».<sup>3</sup>

إلا أن الهمذاني يعطينا خريطة الطريق البحري المؤدي إلى الصين ابتداءً من "كولم ملي" بقوله: «ثم تختطف السفينة من كولم ملي إلى بحر

<sup>1</sup> آدم متز: المرجع السابق، ص 847.

<sup>2</sup> لمزيد من التوضيح حول هذه الطرق أنظر الشكل 1.

<sup>3</sup> آدم متز: المرجع السابق، ص 847.

الهركنند<sup>1</sup> فإذا جاوزه صار إلى موضع يقال كله بار<sup>2</sup>...ثم تختطف السفينة إلى موضع يقال له تيومة و المسافة إليها عشرة أيام بها ماء عذب...ثم يختطف إلى موضع يقال له الصنف ثم إلى موضع يقال له صندرفولات و هي جزيرة في البحر و المسيرة إليها عشرة أيام ثم إلى موضع يقال صنج إلى أبواب الصين و هي جبال في البحر بين كل جبلين فرجة تمرّ فيها السفن ثم إلى الصين و من صندرفولات إلى الصين مسافة شهر»<sup>3</sup>.

و كان المسافر يسير مع ساحل الصين وحده شهرين،<sup>4</sup> بمعنى أن هذه الرحلة كانت تستغرق بأكملها ما يقارب خمسة أشهر، وهذه المدة أقل بكثير من المدة التي يستغرقها المسافر في البر.

### — مصاعب الطرق البحرية:

و أما عن المشاكل التي كانت تعترض طريق التجار العرب أثناء سفرهم في البحر، فالمشكل الأول يتمثل في هيجان البحر، وخاصة بحر الهند ( المحيط الهندي )، والناس لا يركبونه عند هيجانه وظلمته.

و أما المشكل الثاني فهو تعرض سفن أولئك التجار إلى النهب من طرف القرصان الذين شوهوا سمعة السواحل العربية، وكان عشهم سقطرى<sup>5</sup> ففي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) لم يكن الناس

<sup>1</sup> يمتد هذا البحر من كولم ملي و كله بار (أنظر: ابن الفقيه الهمداني: المصدر السابق، ص12).

<sup>2</sup> كله بار هي ما يعرف حاليا باسم ماليزيا(أنظر: شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص 105).

<sup>3</sup> ابن الفقيه الهمداني: المصدر السابق، ص12.

<sup>4</sup> آدم متز، المصدر السابق، ص 847.

<sup>5</sup> سقطرى: جزيرة في المحيط الهندي على الجانب الشرقي لخليج عدن، ( أنظر دائرة المعارف الإسلامية، ج11، ص 470).

يجرؤون على السفر في البحر من غير حماية، فإذا أرادوا ذلك فلا يزالون في رعب خلال رحلتهم حتى يتجاوزوا تلك الجزيرة.<sup>1</sup>

و كان هؤلاء القرصان يسمون بالميد أو الكيرج،<sup>2</sup> وكانوا كما يقول فوخلو: « يغيرون في بوارجهم في أرجاء فسيحة من المحيط الهندي، وكانوا يبلغون أحيانا مصب دجلة والجزء الجنوبي والبحر الأحمر وسواحل سيلان، وكانت سقطرى من أوكارهم ». <sup>3</sup>

إلا أنه بالرغم من ذلك تبقى السرقة في الهند جريمة لا تغتفر، و يذكر بزرک: « و السرقة عند الهند عزيمة، فإذا سرق الهندي قتله الملك إن كان الهندي و ضيعا أو لا مال له، و إن كان له مال أخذ الملك ماله بأسره أو غرمه غرامة عظيمة، و كذلك إذا اشترى شيئا مسروقا بعد علمه بذلك غرم الغرامة العظيمة، و مجازاة السرقة عندهم القتل. و إن سرق مسلم ببلاد الهند ردَّ حكمه إلى (الهنرمن) المسلمين ليعمل فيه بما يوجبه حكم الإسلام، و (الهنرمن) هو مثل القاضي في بلاد الإسلام و لا يكون الهنرمن إلا من المسلمين». <sup>4</sup>

هذا باختصار كل ما يتعلق بالطرق البحرية، إنما حاولنا اختصارها بقدر الإمكان نظرا لتشعبها وكثرة أسماء المواقع والجزر والمحطات البحرية حيث يتعذر علينا سردها كلها في موضوعنا هذا.

<sup>1</sup> آدم متز: المرجع السابق، ص 847.

<sup>2</sup> جورج فوخلو: المرجع السابق، ص 209.

<sup>3</sup> نفسه، ص ص 209 و 210.

<sup>4</sup> نفسه، ص 152.

## المبحث الثاني: النقل البري:

يعتبر النقل البري من المواصلات التي لا يستهان بها في المبادلات التجارية بين العراق والهند بحيث تشكل الطرق والمحطات البرية أساسا بالتبادل التجاري بين المنطقتين ولقد شكل النقل البري الشريان الرئيسي لهذا النوع من المبادلات حيث أنه اختص في تجارة بعض المواد والسلع من بينها الحرير ولقد أطلق هذا الأخير على طريق خاص به.

### أولا : المحطات البرية:

و لا يمكن استكمال هذا السفر دون التوقف عند المحطات التي أنشأت خصيصا كمراكز عبور، وكان المسافرون يتزودون فيها خاصة بالمياه الصالحة للشرب، ثم بأمور يحتاجونها في سفرهم، ربما لا يجدونها في مناطق أخرى ونظرا لأهمية هذه المحطات، أردت أن أعطي لمحة خفيفة عنها لكي تكون الصورة كاملة وواضحة، ومن أهم هذه المحطات البرية والتي بواسطتها نستطيع أن نتصور هذا الطريق هي:

#### 1. محطة الري:

كانت تسمى قديماً "راغا Raga"، و هي مدينة تقع في بلاد الجبال لا زالت أطلالها تُرى على بُعد خمسة أميال تقريباً جنوب شرقي طهران بين جبال البورز<sup>1</sup>، و ترجع الأهمية الجغرافية لهذه المدينة إلى وقوعها ضمن

---

<sup>1</sup> هي جبال تفصل إيران عن جنوبي بحر الخزر (قزوين)، أنظر: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 388.

المنطقة الخصبة بين الجبال و الصحراء، و هي المنطقة التي كانت منذ أقدم العصور طريق المواصلات بين غرن إيران و شرقها.<sup>1</sup>

و كانت مدينة الري أيضاً أكبر مستودع للبضائع على طريق ذهاب القوافل وإيابها باتجاه خراسان وبغداد ونحو فارس، ولقد لعبت المدينة دوراً متفوقاً في القرن الثامن إلى الحادي عشر، وكان يقصدها التجار الروس (الصقالبة)<sup>2</sup> والاسكندنافيين، ويجلبون إليها بضائع هامة كالسيوف والفراء،<sup>3</sup> و نسنطيع أن قول بأنها مفترق هام للطرق البرية بالرغم من أن بن خرداذبة لم يشر إليها حينما ذكر مسلك التجار الروس عند حملهم لتجارتهن على ظهور الإبل من جرجان إلى بغداد،<sup>4</sup> حيث يستحيل التنقل من جرجان إلى بغداد دون المرور على الري باعتبارها محطة برية إستراتيجية، بل حتى المسلمين ذاتهم استعملوا هذه الطريق للوصول إلى شبكة الأنهار الروسية.<sup>5</sup>

## 2. خراسان:

تقع خراسان على مقربة من مدينة الري، وهي تضم بعض السلاسل الجبلية التي تتصل بكتلة البورز، ولكنها أقل من هذه الكتلة من حيث

<sup>1</sup> دائرة المعارف الإسلامية، ج10، ص285.

<sup>2</sup> تطلق تسمية الصقالبة (مفردها صقلب أو صقلي أو صقلابي) على الجنس السلافي أو السلاف، حيث كان الجغرافيون العرب يطلقونها على تلك الشعوب التي كانت تسكن الأراضي المجاورة لبلاد الخزر الممتدة بين القسطنطينية و بلاد البلغار، أنظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، م.ت.هوتسما، ت.و.أرنولد، ر.باسيت، ر.هارتمان، إعداد و تحرير: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشتناوي، عبد الحميد يونس ط1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة 1418هـ — 1998م، ج21، ص6549).

<sup>3</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 150.

<sup>4</sup> أبو القاسم ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص132.

<sup>5</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 301.



الارتفاع،<sup>1</sup> وتعتبر خراسان من المناطق الإستراتيجية بحيث تقع على الممر الرئيسي لطريق الحرير الطويل) والذي يعتبر كذلك طريق الغزوات الكبير القادمة من الشرق والذي سلكته جحافل المغول والترك)، وهي ثغر من ثغور إيران والذي من خلاله تتم حماية إيران من الناحية الشرقية، مثلما تقوم أذربيجان بحمايتها من الغرب، وفيها كذلك كانت القاعدة الأولى للدعوة العباسية التي دعمها جيش خراساني.<sup>2</sup>

و تحت الجبال المذكورة تنتشر عدة مدن تحيط بها واحات غنية بمزروعات متنوعة مثل القطن والأرز وكذلك الحبوب.

من أهم مدنها: نيسابور، مرو، بلخ، ترمذ.<sup>3</sup> غير ابن بطوطة ذكر أربع مدن و قسمها إلى قسمين، اثنتان عامرتان و هما: هراة و نيسابور، و اثنتان أخريتان خربتان، و هما: بلخ و مرو.<sup>4</sup> و لقد كانت نيسابور قاعدة خراسان في أيام بني طاهر، ويقول لها العجم شاور، وكانت مقصدا للتجار، لأنها كانت باب إيران الشرقية، ولهذا توطدت منزلتها كمدينة تجارية كبيرة، وخاصة بعد تدهور بغداد في القرن الحادي عشر، إذ أصبحت نيسابور عاصمة أسرة ملوك السلاجقة<sup>5</sup> ذات الأهمية الاقتصادية الكبيرة.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 150.

<sup>2</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 52.

<sup>3</sup> نفسه، ص 53.

<sup>4</sup> نفسه، ص 296.

<sup>5</sup> أسرة من أمراء الترك حكمت أقاليم مترامية الأطراف في آسيا الوسطى و الصغرى و شيء من بلاد العرب من القرن 11 إلى القرن 13، (أنظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج 18، ص 5705).

<sup>6</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 54.

و أما بلخ فقد كانت قاعدة خراسان في أيام الأكاسرة وقاعدة بني صفار في الإسلام، وتقع في شرقي خراسان،<sup>1</sup> وكانت تمر بها الطرق التجارية بين إيران والهند.<sup>2</sup>

و أما مرو قاعدة خراسان في أيام السلجوقيين وفي صدر الإسلام وكانت مشتهرة بالقطن وتصنع فيها الثياب المروية،<sup>3</sup> و مرو عبارة عن واحة في قلب الصحراء ومحطة هامة على طريق القوافل بين إيران وبلاد أكسوس اتجاه بخارى و سمرقند،<sup>4</sup> ويضيف لومبارد مدينة أخرى يعدها أيضا ضمن المدن الرئيسية لخراسان نظرا لأهميتها التجارية، وهي مدينة هراة والتي يسميها إسكندرية آسيا، وتقع على نهر هاري رود الذي ينحدر من جبال هندكوش جنوبي مرو، وتعتبر هذه المنطقة مصدرا هاما للمعادن وخاصة الحديد، الذي كانت تصنع منه عدة أدوات وعلى وجه الخصوص الأسلحة لغرض التصدير.<sup>5</sup>

### 3. سجستان

هي مقاطعة كبيرة بينها و بين هراة عشرة أيام و ثمانون فرسخاً و هي جنوبي هراة،<sup>6</sup> تقع جنوب جبال هندكوش حيث يمرّ الطريق الذي يربط عاصمة هذه البلاد قندهار بهراة و مرو و بلخ، فقندهار التي ترويهما

<sup>1</sup> ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 174.

<sup>2</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 55.

<sup>3</sup> ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 174.

<sup>4</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 55.

<sup>5</sup> نفسه، ص ص 57 — 58.

<sup>6</sup> ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 3، ص 190.

مياه الجبال هي نقطة انطلاق الطريق الذي يتصل بالهند باتجاه الجنوب الشرقي، وتعتبر سجستان منطقة خصبة صالحة للزراعة، بحيث تزخر المساحات الكبرى المحيطة بالأودية، وخاصة عند مستنقع هامون بمزروعات هامة كالقمح، حتى أنّ هذه المنطقة تعد مطمورة البلاد الشرقية هذا كما تشكل مراعيها الفسيحة مرتعا لتربية الأنعام.<sup>1</sup>

و تمتاز سجستان أيضاً، برياحها الشديدة التي لا تسكن، فتم استغلالها من طرف الأهالي كطاقة هائلة لتحريك طواحينهم التي تطحن لهم حبوبهم.<sup>2</sup> كما يشتهر عن أراضيها الواسعة بأنّها منبت النخيل.<sup>3</sup>

#### 4. مُكَرَّان:

سميت بِمُكَرَّان نسبة إلى مكران بن فارك بن سام بن نوح عليه السلام، فكان أول من سكنها و هي مقاطعة واسعة تشمل على مدن و قرى، يحدها من الغرب كَرْمَان و من الشمال سجستان و من الشرق الهند و من الجنوب البحر (المحيط الهندي)،<sup>4</sup> أي أنها تقع في أقصى الجنوب من إيران، على الجهة اليسرى من بحر عمان،<sup>5</sup> وهي بلاد صحراوية، صعبة الاجتياز تنتشر بها سلسلة من الجبال القليلة الممرات و التي تحجب المنطقة عن البحر

<sup>1</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص58.

<sup>2</sup> ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 3، ص 190.

<sup>3</sup> البشاري المقدسي: المصدر السابق، ص 397.

<sup>4</sup> ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 5، ص 179.

<sup>5</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق ، ص59.

و الذي توجد على ساحله مجموعة من موانئ الصيد، وهي في حد ذاتها محطات بحرية للسفن التي تتردد بين الخليج العربي و الهند.<sup>1</sup>

## 5.كرمان:

هي إقليم واسع يقع بين فارس و مكران.<sup>2</sup> تتربع مساحتها على ثمانين فرسخا في مثلها و يحدها في الشرق أرض مكران، و في الغرب أرض فارس و في الشمال مفازة خراسان و سجستان و في الجنوب بحر فارس.<sup>3</sup>

تشتهر بزرعها و نخيلها النادر و سجادها الفاخر الذي يصنع من أجود الصوف، و عباءاتهم المشهورة من النوع الجيد المصنوعة من وبر الجمال.<sup>4</sup>

و أما فرضتها في بحر فارس هي المشهورة على ألسن المسافرين بمدينة "هرمز"، وتقع في شرقي "قيس" و هي عبارة عن مضيق يفصل فارس عن عمان،<sup>5</sup> وهي مدينة ساحلية بحرية كانت تسمى "موزستان"<sup>6</sup> أو "مرسى الهند و السند" و منها تحمل السلع الهندية إلى

---

<sup>1</sup> نفسه.

<sup>2</sup> سراج الدين بن الوردي: المصدر السابق، ص 58.

<sup>3</sup> محمد الحميري: المصدر السابق، ص 491.

<sup>4</sup> يحيى الشامي: موسوعة المدن الإسلامية، ط1، دار الفكر العربي بيروت 1993م، ص 280.

<sup>5</sup> ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 132.

<sup>6</sup> محمد ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 209.

العراقيين و فارس و خراسان<sup>1</sup> و ترسو عليها سفن الهند التي كانت تحمل التجارة لكرمان و سجستان.<sup>2</sup>

و لقد اشتهرت كرمـان بتجارـتها ومراكزها التجارية كما يقول الحميري: « و بها الأسواق كثيرة عامر بالناس و أهلها مياسير ذوو أموال كثيرة ».<sup>3</sup>

و لهذا تعد ذات أهمية تجارية كبيرة، خاصة أنها تحتوي على واحات تقوم فيها مزروعات شتى مثل الأرز والحناء والنيلة، كما أنها تحتوي على عدّة أماكن لاستخراج المعادن المختلفة، كالحديد و الرصاص و النحاس، و بها مراكز تحتوي هذه المعادن وتصنيعها، و ورشات للصناعة الحرفية، كمراكز النسيج التي تعتمد على أصواف قطعان الأنعام المختلفة.<sup>4</sup>

## 6. فارس:

هي أرض الفرس و بلاد الحضارات القديمة ذات المدن العظيمة و الأقاليم المتعددة، و هي دون نهر جيحون،<sup>5</sup> و تقع فارس في الضفة المقابلة لبلد البحرين في بحر العجم يحدها من الجنوب الشرقي بلاد السند و الهند، و من الشمال الشرقي سلسلة جبال الهمالايا ومن الشمال بحر الخزر (قزوين)، و بلاد ما وراء النهر، و من الغرب العراق بحيث تؤلف جبال

<sup>1</sup> نفسه،

<sup>2</sup> نعيم زكي: المرجع السابق، ص 118.

<sup>3</sup> محمد الحميري: المصدر السابق، ص ص 491-492.

<sup>4</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 60.

<sup>5</sup> سراج الدين ابن الوردي: المصدر السابق، ص 58.

فارس امتداد الجبال زاغروس<sup>1</sup> القليلة الارتفاع، التي تتخللها أودية قصيرة المدى و أشهر موانئها على بحر فارس، ميناء كيش (قيس) و سيراف. فبشكل عام فان فارس منطقة زراعية ورعوية بالدرجة الأولى نظرا لخصوبة أراضيها، ثم أنها بعد ذلك منطقة إستراتيجية بالتبادل التجاري فهي إذا من أهم المحطات التجارية البرية المنتشرة على الطرق البرية بين العراق والهند.

## ثانيا : المسالك والطرق التجارية البرية:

### أ- الطرق التجارية العامة:

و لقد كان الطريق البري إلى الشرق الأقصى خلافا للطريق البحري طويلا وشاقا ومملا، كما أنه في الحقيقة ليس طريقا واحداً و إنما له عدة اتجاهات أو تفرعات و هذا لاعتبارات عديدة منها أن كل طائفة من التجار لها مسالكها الخاصة بها، إلا أنها سرعان ما تلتقي عند نقاط تقاطع أو تشابك ، و نلاحظ ذلك من خلال المدن المشهورة التي يحطون بها و يتخذونها كمعالم يهتدون بها إلى الطريق أو محطات للتزود فيها بما يحتاجونه لاستكمال أسفارهم.

و كانت الجمال أهم وسائل النقل، وتستعمل الجمازات أو الجمال السريعة للسفر السريع، وكان التجار يستفيدون من كتب المسالك في معرفة الطرق غير أنهم يعتمدون أكثر على الإدلاء.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> تعد هذه المرتفعات امتداداً لمرتفعات شرق الأناضول وتمتد في غرب إيران لمسافة 225 كلم، (أنظر: جغرافية الدول الإسلامية لعللي محمد هارون، دار الفكر العربي، مدينة نصر القاهرة 1426هـ-2005م، ص94).

<sup>2</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 150.

كانت القوافل محملة ببضائع الهند والصين الثمينة تتطلق من الناحية الغربية للصين ثم فرغانة<sup>1</sup> و بلاد ما وراء النهر وتخترق إيران ثم العراق ثم بلاد الشام ثم تكمل طريقها إلى آسيا الوسطى وأوروبا<sup>2</sup> و هناك طريق بري آخر وهو الذي ذكره القلقشندي: «فمن أراد طريق البر إلى السند والهند جاز هذا البحر ( الخليج العربي ) إلى هرمز، إلى مدينة كرمان، ومنها إلى السند ثم إلى الهند ثم الصين».<sup>3</sup>

غير أن خرداذبة يصف لنا طريقاً كان يسلكه التجار الصقالبة الروس الآتون إلى دمشق الذين ينتقلون منها إلى الكوفة ثم يتجهون إلى بغداد، فينزلون إلى البصرة ليكملوا بعد ذلك طريقهم إلى الأهواز ثم إلى فارس ثم إلى كرمان ثم إلى السند، ثم إلى الهند، ثم إلى الصين.

و ربما سلكوا طريقاً آخر خلف رومية (روما) ببلاد الصقالبة ثم إلى خليج الخزر<sup>4</sup> ثم جرجان<sup>5</sup> ثم إلى بلخ و ما وراء النهر ثم إلى التوغوز<sup>6</sup>

---

<sup>1</sup> فرغانة: مدينة تقع في شرق جمهورية أوزباكستان حالياً بآسيا الوسطى، و تبعد حوالي 300 كلم شرقي مدينة طشقند ، ( أنظر عبد الكريم العفيفي: المرجع السابق، ص 359).

<sup>2</sup> حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1307هـ — 1987م، ص395.

<sup>3</sup> أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ، ج5، ص 86.

<sup>4</sup> كان يطلق إسم بحر الخزر على بحر قزوين، (أنظر عند الله إبراهيم، عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، مج1، صدارات المجمع الثقافي أبو ظبي 1422هـ-2001م، ص228).

<sup>5</sup> جرجان مدينة إيرانية تقع بين شاهرود و بندرشاه الواقعة على بحر قزوين و هي مدينة إسلامية عريقة كانت من أعظم مدن طبرستان و خراسان ، (أنظر يحيى شامي، المرجع السابق، ص151).

<sup>6</sup> أرض التوغوز و هي بين التبت و الصين و سكانها أتراك (أنظر: سراج الدين بن الوردي: المصدر السابق، ص62)

و أخيرًا إلى بلاد الصين<sup>1</sup>

## ب- طريق الحرير:

يقصد بطريق الحرير الطريق التجاري المزدهر قديما الممتد من تشانغان (شيان حاليا)<sup>2</sup> إلى شرق مقاطعة قانسو<sup>3</sup> و ممر يانغقوان إلى شينجيانغ،<sup>4</sup> ثم إلى آسيا الوسطى و غرب آسيا و أوربا. و قد سمي بهذا الاسم لأن الحرير الصيني كان ينقل عبره، و قد تغيرت هذه الطريق عدة مرات مع تقلبات التاريخ و أصبحت له عدة خطوط ، إذ لم تقتصر البضائع التي حملت عبره على الحرير، و من ثم فإن طريق هو اسم عام للمواصلات البرية بين الصين و الغرب، و من هنا أخذ مكانة هامة في تاريخ الحضارة البشرية.<sup>5</sup>

ينقسم جزء من طريق الحرير داخل الصين إلى ثلاث أجزاء: الجزء الشرقي من تشانغان إلى قانسو، الجزء الأوسط خشبي، و الجزء الغربي في حدود شينجيانغ فتح هذا الطريق في فترة الأسرة هان الغربية قبل ألفي سنة. لقد سافر الرحالة الكبير تشانغ تشيان عدة مرات إلى المناطق

---

<sup>1</sup> أبو القاسم ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص 132.

<sup>2</sup> هي العاصمة القديمة للإمبراطورية الصنبية تقع على سهل "الواي-هو" (wei-ho) فيما بين نهر و جبال تسينغ شان و هي مدينة مسورة فيها العديد من المعالم و المواقع الأثرية و هي مشهورة بصناعة القطن، (أنظر: جودة حسنين جودة، المرجع السابق، ص 118)

<sup>3</sup> هو ممر استراتيجي بري على هيئة دهليز بين الجبال في الشمال الغربي للصين الذي يؤدي إلى بوابة جيد الطبيعية، (أنظر جودة حسن جودة، المرجع السابق، ص 89).

<sup>4</sup> تقع هذه المدينة عند تقاطع القناة الكبرى grand canal مع نهر اليانجسي، أنظر: ( جودة حسنين جودة، المرجع السابق، ص 117).

<sup>5</sup> تشينغ بينغ: المرجع السابق، ص 141، 142.



الواقعة غرب الصين كمبعوث لإمبراطوريته متحملا المشقات و المتاعب، حتى أقنع كثيرا من المدن و الدويلات الصغيرة هناك بالانضمام إلى أسرة هان، فأصبح هذا الطريق التجاري الذي يخترق آسيا و أوربا سهلا. في فترة أسرة تانغ، شهدت هذه الطريق ازدهارا لا مثيل له، و دفع التنمية الاقتصادية على جانبيه، فظهرت مع ازدهاره كثير من المدن و البلدان الجديدة، مثل مدينة ووي و تشانغايه و جيوتشيوان و دونهوانغ في ممر خشي بمقاطعة قانسو، كان كلها ذات أسواق مزدهرة و التعداد سكاني كبير.

لعب طريق الحرير دورا هاما في التبادلات العلمية و الاقتصادية بين الصين و الغرب، فعنه انتقل الحرير و الأدوات اليشمية و الحديدية و الأعمال الحرفية و الخوخ و المشمش و البرقوق و طرق زراعتها وتربية دودة القز و تعدين الحديد و صناعة الورق، بينما دخل القطن و العنب و البلسم و الرمان و الجوز و السمس و البطيخ و غيرها من المحاصيل الزراعية، و كذا الزجاج و الأقمشة الصوفية من الغرب إلى الصين.

كما دخلت البوذية الهندية الصين عبر هذا الطريق و تركت آثارا عميقة في الثقافة الصينية.

استمر طريق الحرير بعد أسرة هان أكثر من ألف (1000) عام، أبدعت خلاله مختلف القوميات الغربية و الصينية في بناء حضارة باهرة على هذا الطريق ما زالت آثارها حية شاهدة عليها حتى اليوم، منها الكهوف الحجرية المشهورة كهوف موقاو بدونهوانغ و كهوف معبد بينغليغ بيونغجينغ و كهوف جبل ميجي بقانسو، و غيرها من المواقع الأثرية التي

تحتوي معالم أثرية كبيرة شاهدة على تلك الحضارات العملاقة التي مرت عبر هذا الطريق، كالجداريات الضخمة و تماثيل بوذا العملاقة.<sup>1</sup>

لكن هذا الطريق بدأ يتدهور بعد فترة أسرة تانغ ذلك لأن مركز ثقل الاقتصاد الصيني بدأ ينتقل إلى الجنوب مع ازدهار المواصلات البحرية، إلى جانب ذلك أدت الغزوات المنغولية الغربية في فترة أسرة إيوان إلى تخريب ثقافة و اقتصاد آسيا الوسطى مما أدى إلى هجران طريق الحرير تدريجياً.<sup>2</sup>

فخلال الفترات الناصعة من الحكم العباسي بالمشرق كان طريق خراسان المعروف بطريق "الحرير" ينطلق من بغداد شمالاً نحو الري ثم ينحرف شرقاً إلى نيسابور ثم يستمر نحو مرو و من مرو يتجه نحو بخارى، ومنها إلى سمرقند ثم إلى فرغانة، إلى أن يصل إلى شمال الصين عبر منطقة<sup>3</sup> التبت،<sup>4</sup> و خراسان تعتبر مفترق الطرق الذي يتشعب إلى عدة فروع: فرع يتجه نحو فرغانة، وفرع آخر يمر على أرض أفغانستان باتجاه الصين، وفرع ثالث يتجه نحو الجنوب إلى السند عبر قندهار ثم الملتان فالديبل وأخيراً الهند،<sup>5</sup>

غير أن طريق الحرير تبقى آثاره شاهدة على أنه كان مساراً يفيض بحياة الخلائق و متنفساً لهم و لمدهم المتحركة في قوافلهم التي كانت تملأ

---

<sup>1</sup> تشينغ بينغ: المرجع السابق: ص 142-144.

<sup>2</sup> نفسه، 145.

<sup>3</sup> التبت: مملكة متميزة من جبال الصين، فهي متاخمة لبلاد الصين، وتشرف على الهند وخراسان وتركستان، (أنظر أبو الحسن المسعودي: المصدر السابق، ص 157).

<sup>4</sup> جاك رسلر: المرجع السابق، تعريب الدكتور خليل أحمد خليل، ط1، منشورات عويدات، بيروت 1993م، ص 133.

<sup>5</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 287 وما بعدها.

آفاقه و الدالة على التزاوج بين الحضارات الكبيرة المختلفة و تتلاقح الثقافات المتعددة فيما بينها.

لذلك، فإن طريق الحرير ليس مجرد جغرافيا، وليس مجرد تاريخ وليس مجرد آثار موعلة في القدم، فقد صار طريق الحرير مفهوماً يحيل إلى هوية. و تتحد هذه الهوية بالاختلاف والالتقاء والتباين والتعايش والسلام.

فهو إذاً، الطريق الذي تلتقي فيه شعوب مختلفة و أعراق متباينة و يتم فيه التبادل التجاري و الثقافي معا، كما أنه الطريق الذي تشتبك فيه الجغرافيا بالتاريخ، فأثبت للناس أن السلام هو الممر الآمن لانتعاش الحضارات، فآثاره تقول بأن جميع الحضارات مرت من هنا.

### — مصاعب الطرق البرية:

هذه على العموم الطرق البرية التي تربط العراق بالهند، مع محطاتها البرية، ولكن ما ينبغي أن نصل إليه، هو أن التجارة البرية مع الشرق الأقصى بما فيها الهند و الصين كانت ضئيلة، إذ أن الرحلة كانت شاقة و طويلة، وكثيرا ما كانت تتعرض لمخاطر متنوعة منها غارات اللصوص و قطاع الطرق و يتم خلالها ابتزاز التجار أو تهديدهم بالقتل فهناك مثلاً في بعض النواحي بالهند كما يذكر لنا بزرك بن شهريار: «لصوص يجيء منهم جماعة من بلد إلى بلد فيعذبون على التجار الموسرين إما غريب أو هندي فيقبضون عليه في بيته أو في

السوق أو في الطريق، فيجردون في وجهه السكاكين ويقولون له  
أعطنا كذا و كذا و إلاّ قتلناك»<sup>1</sup>.

ما كانت الظروف السياسية في هذه البلدان لا تسمح بجريان  
التبادلات التجارية، وكثيرا ما أغلقت الحكومة الصينية الطرق المؤدية إلى  
الصين كوسيلة للحفاظ من التسلل الأجنبي و اندساسه،<sup>2</sup> ولقد حدث مثلا وأن  
اضطربت التجارة في طريق من الطرق التجارية بين شرق العالم الإسلامي  
والصين بسبب غارات التبتيين، كان ذلك في القرن الثامن الميلادي، مما سمح  
بتوقف الطريق البري.<sup>3</sup>

و نظرا لهذه المشاكل ومع مشقة طول الطريق البري، كانت  
التجارة البحرية هي الأفضل، إذ يقول مقبول: « وقد كانت التجارة على ما  
تشير إليه الأدلة تحمل بحرا لا برا ».<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> بزرک بن شهریار: المصدر السابق، ص 144.

<sup>2</sup> عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 152.

<sup>3</sup> موريس لومبارد: المرجع السابق، ص ص 68 و 69.

<sup>4</sup> السيد مقبول: المرجع السابق، ص 115.

## خاتمة:

يجدر بنا في ختام عرضنا لموضوع تجارة المسلمين مع الهند و الصين خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، الوقوف عند أهم المحطات فيه لاستخلاص و استنباط النتائج و التي يمكن حصرها في النقاط التالية:

**أولاً:** تعتبر التجارة الرابط الوحيد الذي لا يزال يربط بين الشعوب، لذلك، فقد بقي التبادل التجاري على وجه الخصوص بين المسلمين و الأمتين العظيمتين الهند و الصين صامداً خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، برغم المصاعب و العقبات المتنوعة التي كانت تعترضه كالعوامل الجغرافية و الطبيعية والأزمات و الهزات السياسية و الصدمات العسكرية و اللصوصية، حيث بقيت التجارة في العديد من الأحيان قناة الاتصال الوحيدة بين الأمم، بل إن ما فرقته تلك الموانع و العقبات جمعته التجارة، فكانت بحق صلة وصل بين الشعوب في السلم و الحرب؛

**ثانياً:** إن تطور و تنامي الرواج التجاري بين المسلمين و بلاد الهند و الصين الذي بلغ ذروته و أوج عطائه إنما كان نتيجة لكثرة و تزايد متطلبات قصور الملوك و الأمراء وإلحاح أفرادها المستمر على مواد الترف و التحف الشرقية الثمينة، خاصة و أن العالم الإسلامي آنذاك عرف نشوء دويلات مستقلة و سعي كل منها بالتشبه بالدولة الأم من حيث البلاط و الحاشية و الأبهة و البذخ، و بعيداً عن حياة القصور حظيت كذلك العديد من المجتمعات الإسلامية بتحسين كبير في وضعية أفرادها المعيشية جراء الخدمات الاجتماعية من صحة و مسكن و تعليم و تحسن دخلهم، الشيء الذي جعل الكثير من التجار الذين كانوا يجنون من هذه التجارة أرباحاً طائلة و يجمعون

على إثرها أموالاً ضخمة يحرصون كل الحرص على جلب تلك البضائع الثمينة و المطلوبة، من مواطنها الأصلية البعيدة بالهند و الصين مهما كانت الصعاب و المخاطر التي سيواجهونها، تحدوهم في ذلك روح المغامرة و تحدّي المجهول، و لقد تزامن مع ذلك تطور علم الجغرافية و بداية استعمال البوصلة عند المسلمين، الشيء الذي شجعهم في الذهاب إلى أبعد نقطة في الصين و هي "الصين صين" أو ما يسمى حالياً كوريا. و في مقابل ذلك يحرص التجار الهنود و الصينيون في مقايضة أو شراء بعض السلع من المسلمين جراء حاجة بلادهم الماسة لها و رغبة منهم كذلك في تنمية ثروتهم. فقد ساهم ذلك كله في رسم فضاء واسع للمبادلات التجارية على طول و امتداد المحيط الهندي عبر المجال البحري ابتداءً من باب المندب مروراً بعمان و مضيق هرمز و الديبل ثم شبه القارة الهندية فالمالاوي و جاوة إلى غاية الصين، أما المجال البري فيمتد من شمالي الشام ثم العراق فخراسان فأسيا الوسطى إلى غاية التبت ثم الصين و الذي يشكل مجموعة من المسالك و الطرق البرية أهمها ما يسمى حالياً طريق الحرير المشهورة التي لا زالت معالمها قائمة شامخة و شاهدة على مرور حضارات عديدة عليه إلى يوم الناس هذا، و بالتالي، فلم يكن هذا الفضاء التجاري الواسع مجالاً لازدهار التبادل التجاري و الاقتصادي أو التمثيل الدبلوماسي فحسب، بل كان أيضاً مجالاً خصباً للتلاقح الحضاري و التنوع الفكري و الثقافي بين الأمم المنتمة إليه و تبادل التأثير فيما بينها؛

**ثالثاً:** كان العالم الإسلامي عبارة عن منطقة كبيرة للتجارة الحرة و ميداناً واسعاً للتكيف الاقتصادي بين الشرق و الغرب الذي لا مجال فيه للهيمنة الاقتصادية القطبية أو فرض منطق اقتصادي معيّن بل ترك المجال للجودة و المنافسة الاقتصادية الحرة السليمة، و دليل ذلك عدم احتكار المسلمين

للتجارة الشرقية مع الهند و الصين و إنما تركوا المجال مفتوحاً أمام طوائف عديدة من التجار من جنسيات و أديان مختلفة للتنافس النزيه فيه.

**رابعاً:** لقد أعطت تجارب أولئك التجار المغامرون و خبراتهم في مجال الرحلات و الأسفار الطويلة ثمارها على شكل كتابات جغرافية أو مذكرات ثمينة فيها أوصاف دقيقة و تقارير مفصلة لبلدان نائية بعيدة و أمم و شعوب غريبة أو مجهولة، بحيث اعتُبرت حينذاك بمثابة اكتشافات جديدة ثمينة في غاية الأهمية، اعتمدت فيما بعد كمراجع موثوقة للبحث في المجال الجغرافي و الاستكشافي بالنسبة لأجيال جاءت بعدهم من الجغرافيين و المستكشفين و المغامرين الجدد من المسلمين و غيرهم و خاصة الأوربيين.

**خامساً:** كان التجار الأثرياء المسلمون يمثلون جانباً هاماً من جوانب الحضارة لدورهم الحضاري الذي كانوا يؤدونه في الحفاظ على ديمومة الدولة و حماية كيانها من الانهيار جراء الأزمات كانت التي تمر بها، حيث كانوا يساهمون في معالجة العجز الذي كانت تعاني منه خزينة الدولة من حين لآخر، و ذلك بإقراضها قروضاً لتجاوز أزماتها المالية الخانقة، مما مكن البعض منهم من كسب نفوذ سياسي في الحكم، بل أن هناك من الوزراء من كانت له تجارات؛

**سادساً:** ساهمت طوائف متعددة من التجار من مختلف الجنسيات و العرقيات و الأديان في ازدهار التبادل التجاري و ازدياد الرواج التجاري ضمن نفس المجالين البري و البحري دائماً، فكانت جاليات اليهود و النصارى بمختلف طوائفهم من نسطورين و يعقوبيين و غيرهم، إضافة إلى الهنود و الصينيين ثم المسلمين بجنسيهم العربي و الفارسي منتشرة على امتداد العوالم الثلاثة

الإسلامي و الهندي و الصيني في الحواضر الكبرى مثل بغداد و أصفهان و الملابار و كانتون، كما كان لها وكلاء تجاريون متواجدون في جل المحطات التجارية البرية منها و البحرية. فكان أولئك التجار بمثابة وسطاء تجاريين لنقل و توزيع و ترويج المبادلات التجارية. كما كان الاحتكاك متواصلا بين تلك الطوائف نتيجة التعاون و تبادل المنافع و الخبرات فيما بينهم، بل تطورت في بعض الأحيان إلى تكوين شراكة فعلية فيما بينها، لأنه في بعض الأحيان كانت بعض الطوائف متخصصة في نوع معين من التجارة دون الآخر، لذلك كان هناك نوع من التكافل و التكامل و التعاون فيما بينها؛

**سابعاً:** كما أن تطور فن التعامل التجاري و المالي بين التجار ساهم بشكل كبير في ازدهار و ترقية التبادل التجاري، حيث بدأ تعميم استعمال الصكوك و السندات المالية و غيرها من الأوراق المالية الذي أدّى إلى اختزال العديد من العمليات التجارية الكبيرة و تسهيلها و تذليل المصاعب التي تواجهها و تفادي المخاطر التي تهدد نقل الأموال، و لم يكن تداول هذه الأوراق المالية مقتصرًا في البلاد الإسلامية بل كان تداولها أيضاً في أقصى الشرق و خاصة في الصين؛

**ثامناً:** و أخيراً، تعتبر الطرق و المحطات التجارية البرية منها و البحرية قنوات ربط حقيقية بين تلك الأمم و الشعوب التي يتم عبرها التبادل التجاري فيما بينها، فبدونها لا يتم ذلك. و نظراً لأهميتها، انكب الخلفاء و الأمراء العباسون على تطوير و توسيع شبكة المواصلات البرية و توفير و تحسين وسائل النقل البحرية، وضمان أمنها، فشقت الطرق في البر و حفرت الآبار، وأنشأت النزل و المضاييف، وصهاريج الماء في الطرق ليستقي منها المسافرين و التجار و دوابهم.



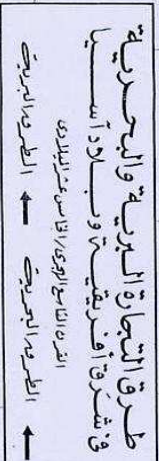
كما شجعت الملاحة البحرية، وذلك بتوفير السفن وصيانتها وإقامة الورشات لإصلاحها وتنظيفها من الرواسب والشوائب المتعلقة بها بعد كل رحلة، كما عمدت إلى توفير الأمن في الطرقات وتأمين العمليات التجارية.

لذلك، فقد عرفت الطرق و المحطات التجارية الممتدة بين العالم الإسلامي و العالمين الهندي و الصيني ديناميكية لا مثيل لها، فمن مرفأ عدن و مسقط و سيراف و الديبل كان يتم شحن أو تفريغ الحمولات من و إلى الملابار و خانقو ثم يتم نقلها عبر طرق و محطات بحرية، فكانت على وجه الخصوص السفن الإسلامية أو الصينية المشحونة بالبضائع غادية و رائحة بينها. كذلك الحال بالنسبة للبر كانت قوافل الجمال و الحمير المحملة بالبضائع تتنرّى على طول الطرق و بين المحطات البرية بين بلاد الإسلام و الهند و الصين.

فأصبحت شبكات الطرق البرية و البحرية و محطّاتهما مجالاً واسعاً للتعارف بين الشعوب و تبادل المنافع والخبرات فيما بينها، ليس في الميدان الاقتصادي فحسب، بل حتى في مجالات أخرى كالثقافة و الفكر و العلوم و الفنون بمختلف ألوانه.

## قائمة الملاحق

YYL

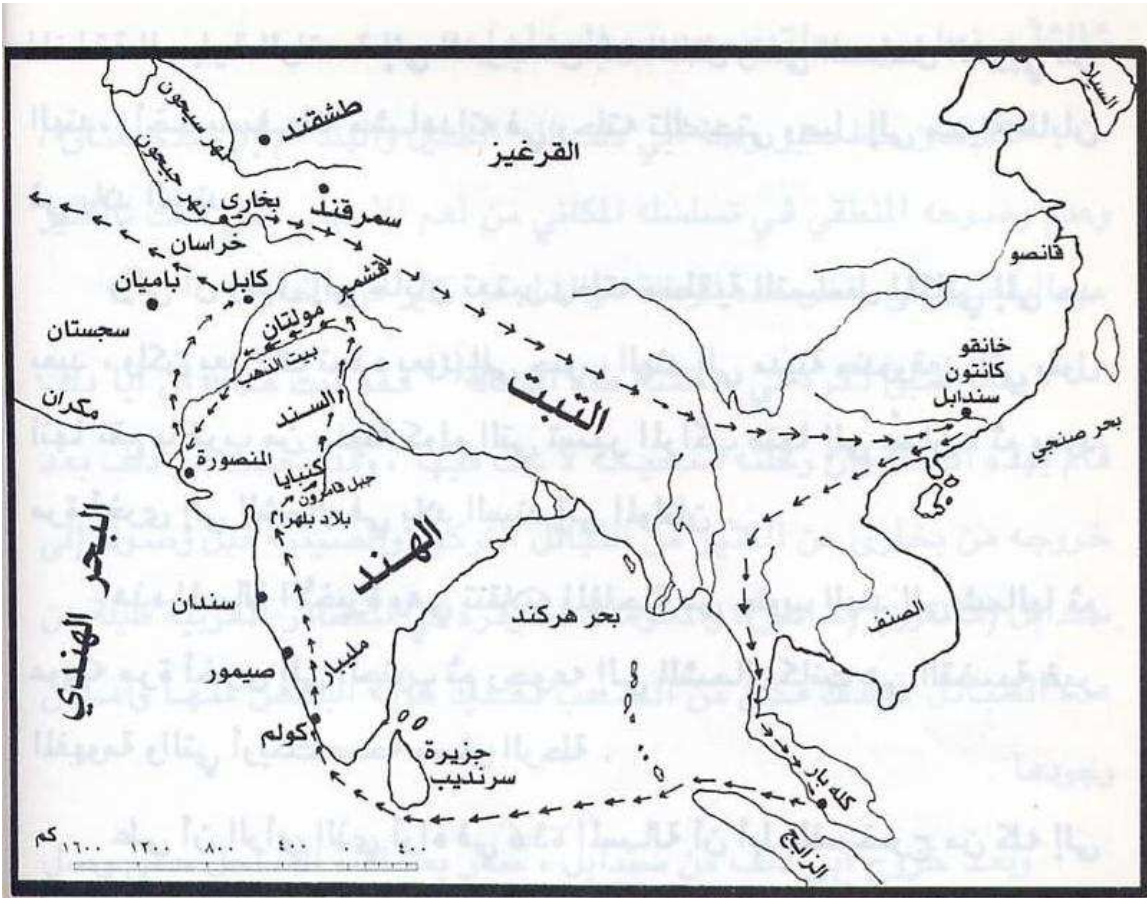


الشكل:1 حسين مؤنس: المرجع السابق، الخريطة 180، ص 388.









خريطة من عمل الباحث تصور خط سير رحلة أبي دلف الى الصين ، والهند .

إعتمد الباحث في تعيين أسماء المواقع والمدن على :

\* حوراني : جورج فاضلو (العرب والملاحة في المحيط الهندي)

\* رحلة أبي دلف

\* النديم : الفهرست

\* Price, William C. (An historical Atlas of Islam) E. J. Leiden, 1981.

**الشكل 3:** الخريطة أدرجها محقق كتاب الرسالة الأولى لأبي دلف مسعر بن المهلهل، ص 34.





## ملحق 2: مجموعة هامة من العملات و المسكوكات الإسلامية

البنك المركزي اليمني

التفصيل من النقود عبر العصور

### عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦ هـ)

درهم برونز، دمشق الوزن: ٨,٠ جم القطر: ٢٧ مم.

#### OBVERSE: الوجه

المركز: رسم شخص واقف يعتمر عمامة ممسكاً بيده ما يشبه السيف وحوله كتابات يقرأ منها على الجانبين أمير المؤمنين عبد / الملك بن مروان الطوق: في الجانب الأيمن بسم الله ضرب بدمشق سنة ..

#### REVERSE: الخلف

المركز: الإمام .. لدين الله أمير المؤمنين الطوق: الملك لله .. الدين والدنيا .

### الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ)

درهم فضة ، واسط ٩٧ هـ الوزن: ٢,٧ جم القطر: ٢٨ مم .

#### OBVERSE: الوجه

المركز: لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدرهم بواسط في سنة سبع وتسعين (حول الكتابة ثلاث دوائر على شكل حبات نيمية يليها خمس حلقات صغيرة موزعة بمسافات متساوية ثم دائرة مسننة عند الحافة) .

#### REVERSE: الخلف

المركز: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، (هذه الكتابة بين طوقين والطوق الأخير عند الحافة مع وجود خمس حلقات

**الشكل 5:** البنك اليمني المركزي: النقود في اليمن عبر العصور، تقديم: عبد العزيز عبد الغني رئيس مجلس الشورى، مطابع شركة الصناعات المتنوعة و مواد التعبئة، صنعاء، الجمهورية العربية اليمنية 1426 هـ-2005م، ص 58.

### أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ):

درهم فضة، البصرة ١٤٤ هـ، الوزن: ٢,٨ جم القطر: ٢٨ مم.

#### OBVERSE: الوجه



المركز: لا إله إلا  
الله وحده  
لا شريك  
له

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدرهم بالبصرة سنة أربعة وأربعين ومائة .  
الطوق الخارجي: ثلاث حلقات متجاورة موزعة في ثلاثة مواضع على أبعاد متساوية بينها ثلاثة أشكال للهِلال والنجمة وكتابة غير واضحة .

#### REVERSE: الخلف



المركز: محمد  
رسول  
الله

(حواله ثلاثة إطارات بخطوط صغيرة)  
الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .  
يليه خمس حلقات بأبعاد متساوية مرتبطة بالإطار البارز عند الحافة .

### أبو عبد الله محمد المهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ)

درهم فضة، مكة ١٦٢ هـ، الوزن: ٢,٩ جم القطر: ٢٦ ملم.

#### OBVERSE: الوجه



المركز: لا إله إلا  
الله وحده

لا شريك له (حواله ثلاثة إطارات صغيرة متجاورة تتداخل فيها الكتابة يليها خمس حلقات موزعة  
ثم الحافة التي تبدو متآكلة أو ناقصة في بعض أجزائها) .

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدرهم بمكة سنة اثنين وستين ومئة .

#### REVERSE: الخلف



المركز: محمد رسول

الله مما أمر به الأمير محمد بن أمير المؤمنين

جعفر (يعلو الكتابة ثلاث نقط ودائرتان محببة)

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

الشكل: 6 البنك اليمني المركزي: المرجع السابق، ص 61.



### هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٢ هـ)

دينار ذهب، سنة ١٧٠ هـ الوزن: ٣,٣ جم القطر: ١٨ مم.  
الكتابة على مركز الوجهين إذ يلاحظ حدوث قص على الحافة.



الوجه: OBVERSE:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

الخلف: REVERSE:

محمد رسول الله.



### عبد الله المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ)

يتميز هذا الدينار بأن كتاباته واضحة بالخط الكوفي.  
دينار ذهب، دمشق ٢٠٦ هـ الوزن: ٣,٤ جم القطر: ١٩ مم  
الوجه والظهر بدون خطوط فاصلة.



الوجه: OBVERSE:

المركز: لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

الظوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

الخلف: REVERSE:

المركز: محمد

رسول

الله

الظوق: بسم الله ضرب هذا الدينار بدمشق سنة ست ومئتين.



الشكل 7: البنك اليمني المركزي: المرجع السابق، ص 62.

## الموفق بالله ذو الوزارتين لقب بطلحة أخ الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩ هـ)

درهم فضة، دمشق ٢٦٧ هـ الوزن: ١,٥ جم القطر: ٢٠ مم.

### الوجه: OBVERSE:



المركز: لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

الموفق بالله

الطوق الداخلي: بسم الله ضرب هذا الدينار بدمشق سنة سبع وستون ومفتين. الطوق الخارجي: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

### الخلف: REVERSE:



المركز: لله

محمد

رسول الله

المعتمد على الله

ذو الوزارتين

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

## الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ)

دينار ذهب، صنعاء ٢٨٥ هـ الوزن: ٣,٢ جم القطر: ٢١ مم

### الوجه: OBVERSE:



المركز: لله

محمد

رسول

الله

المعتضد بالله.

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

### الخلف: REVERSE:



لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

الطوق الداخلي: بسم الله ضرب هذا الدينار بصنعاء سنة خمس وثمانين ومائتين.

الطوق الخارجي: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.



### المكتفي بالله (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ - ٩٠٨ م)

درهم فضة، دمشق ٢٩٠ هـ الوزن: ١,٨ جم القطر: ٢٥ مم

#### الوجه: OBVERSE:

كتابه واهية

المركز: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

الطوق الداخلي: بسم الله ضرب هذا الدرهم بدمشق سنة مائتين وتسعين

الطوق الخارجي: وكل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

#### الخلف: REVERSE:

المركز: محمد رسول الله

المكتفي بالله.

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.



### الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ - ٩٢٢ م)

دينار ذهب، صنعاء ٣٠٠ هـ، الوزن: ٣,١ جم القطر: ٢٠ مم

#### الوجه: OBVERSE:

لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له.

الطوق الداخلي: بسم الله ضرب هذا الدينار بصنعاء سنة ثلاثمائة.

الطوق الخارجي: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

#### الخلف: REVERSE:

لله

محمد

رسول

الله

المقتدر بالله.

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.



الشكل 9: البنك اليمني المركزي: المرجع السابق، ص 65.

المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) (٩٠٨ - ٩٣٢ م)

درهم فضة، دمشق ٣٠٣ هـ - الوزن ٢,٤٠ جم - القطر: ٢٨ مم.  
نقص جزئي على الحافة وشرح في الجانبين

الوجه: OBVERSE:



المركز: لله

محمد

رسول الله

المقتدر بالله

الطوق: كتابات فيها طمس في الوسط، محمد رسول الله... لحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الخلف: REVERSE:



المركز: لا إله إلا

الله وحده محمد رسول الله

أبو العباس أمير المؤمنين.

الطوق الداخلي: بسم الله ضرب هذا الدرهم بدمشق سنة ثلاث وثلاثمائة.

الطوق الخارجي: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
وَحْدَهُ  
لَا شَرِيكَ لَهُ  
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

## قائمة المصادر و المراجع

## قائمة المصادر و المراجع

### أولاً: المصادر:

1. ابن الأثير (أبو الحسن بن علي أبي الكرم): الكامل في التاريخ، ط 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون تاريخ.
2. الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1409 هـ - 1989 م.
3. الإصطخري (أبو إسحاق بن محمد الفارسي): المسالك و الممالك، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة و الإرشاد، الإدارة العامة و الثقافة، دار القلم 1381 هـ - 1961 م.
4. الألوسي (محمد شكري الألوسي البغدادي): بلوغ الأرب، عني بشرحه محمد بهجت الأثري، الكتب العلمية، بيروت (بدون تاريخ).
5. البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي): صحيح البخاري، ضبط و ترقيم و شرح و فهرسة و تخريج الأحاديث الدكتور مصطفى ديب البغا، نشر مشترك موفم للنشر مع دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 1992.

6. بزرك (بن شهريار الناخذة الرامهرمزي): عجائب الهند برها  
وبحرها و جزائرها، تحقيق عبد الله محمد الحبشي إصدارات المجمع  
الثقافي، 1421هـ - 2000م أبو ظبي.

7. ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم اللواتي  
الصنهاجي): رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب  
الأمصار و عجائب الأسفار، دار الشرق العربي بيروت (بدون تاريخ).

8. البلاذري (أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود المكنى بأبي  
الحسن): فتوح البلدان، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى  
1350هـ - 1932م.

9. البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد): تحقيق ما للهند من مقولة،  
مطبوعات دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1373هـ - 1958م.

10. الترميذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة): سنن الترميذي،  
ط 1، تخريج و ضبط و ترقيم صديقي جميل العطار ، دار الفكر،  
بيروت 1422هـ - 2004م.

11. التطيلي (بنيامين الرابي بنيامين بن بونه التطيلي النباري  
الأندلسي): رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة عزرا حدّ، دراسة و تقديم:  
عبد الرحمان عبد الله الشيخ، المجمع الثقافي، أبو ظبي الإمارات  
الغربية المتحدة 1423هـ - 2002م.

12. بن تيمية تقي الدين: مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد بن القاسم، مكتبة المعارف المغرب.
13. الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل): اللطائف و المعارف، دار المناهل للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1416 هـ — 1960م.
14. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: التبصر بالتجارة، المجمع العلمي بدمشق، 1351 هـ — 1932 م.
15. الجاحظ البصري أبو عثمان عمرو بن بحر: البخلاء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر الجزائر 1997م.
16. بن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد): رحلة ابن جبير، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، سلسلة "أنيس" 1988م.
17. بن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد): المنتظم في تاريخ الأمم، دراسة و تحقيق عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، راجعه و صححه، نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 1415هـ-1995م.
18. ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد): جمهرة أنساب العرب، سلسلة ذخائر العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، دار المعارف بمصر، 1391هـ-1971م.



19. ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد): المحلى بالآثار، تحقيق عبد الغفار سليمان البغدادي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع 1421هـ - 2001م.
20. الحموي (أبو عبد الله ابن عبد الله ياقوت): معجم البلدان، دار بيروت للطباعة النشر، بيروت 1399 هـ - 1979م.
21. الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار، ط 2، مكتبة لبنان 1984م.
22. ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي النصيبي): صورة الأرض، ط2، منشورات دار الحياة، بيروت (بدون تاريخ).
23. ابن خرداذبة (أبو القاسم بن عبد الله): المسالك والممالك، تقديم وفهرست: الدكتور محزوم، ط2 دار إحياء التراث العربي (بدون تاريخ).
24. خسرو ناصر: سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، ط 2، دار الكتاب الجديد، بيروت 1970م.
25. بن خلدون (عبد الرحمان المغربي): المقدمة من كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ضبط و وضع الحواشي خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر، بيروت 1421هـ - 2001م.
26. أبو دلف الخزرجي مسعر بن المهلهل: الرسالة الأولى، دراسة و تحقيق: مريزن سعيد مريزن عسيري، مركز إحياء التراث الإسلامي

بمعهد البحوث العلمية و إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكّة  
المكرّمة 1416هـ - 1995م.

27. الدمشقي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الطالب  
الأنصاري): نخبة الدهر، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، 1923م.

28. أبو داود السجستاني (سليمان بن الأشعث): سنن أبي داود مع  
حاشية عون المعبود، عني بشرحه الحاج حسن إيراتي، دار الكتاب  
العربي، بيروت (بدون تاريخ).

29. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان): سير أعلام  
النبلاء، تحقيق و تخريج الأحاديث: شعيب الأرئوط، ط10، مؤسسة  
الرسالة، بيروت 1414هـ - 1994م.

30. ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر): الأعلاق النفيسة، طبع في  
مدينة ليدن بمطبع بريل، 1891م.

31. السرخسي (أبو بكر محمد بن أبي سهل شمس الدين): المبسوط،  
ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1414هـ - 1993م.

32. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر): تاريخ  
الخلفاء، ط2، دار الجيل، بيروت 1415هـ - 1994م.

33. الشيزري عبد الرحمان بن النصر: نهاية الرتبة في طلب الحسبة،  
ط1، تحقيق الباز العريني، دار الثقافة، بيروت (بدون تاريخ).

34. الصنعاني (محمد بن إسماعيل الأمير اليمني المعروف بالصنعاني): سبل السلام، دار الجيل، بيروت، (بدون تاريخ).
35. الطبري ابن جرير: تاريخ الأمم و الملوك، مراجعة و تقديم و إعداد الفهارس: نواف الجراح، ط1، دار صادر، بيروت 1424هـ-2003م.
36. العسقلاني بن حجر: فتح الباري، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1406 هجرية.
37. القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري): الجامع لأحكام القرآن، دار التراث العربي، بيروت 1965م.
38. القرماني (أحمد بن يوسف): أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ، دراسة و تحقيق أحمد حطيط و فهمي سعد، ط1، عالم الكتب 1416هـ-1992م، بيروت.
39. القلقشندي ( أبو العبّاس أحمد بن علي ) : صحيح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامّة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر ، القاهرة (بدون تاريخ).
40. الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن الحبيب البصري البغدادي): الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، ط2، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابلي الحلبي و أولاده بمصر 1386هـ-1966م.

41. المجيلدي: كتاب أحكام التسعير، تحقيق موسى لقبال، ط 2،  
الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر 1970.
42. بن كثير (أبو الفدا الحافظ): البداية و النهاية، مكتبة المعارف،  
بيروت 1408هـ - 1988م.
43. المروزي (الطيب شرف الزمان طاهر): أبواب الصين و الهند،  
Minorsky, The . BY / V Arabica texte (circa A.D.M 120) with an English  
translation and commentray Society, Rovenor, street, Royal Asiatic  
.London
44. المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي): مروج الذهب و  
معادن الذهب و الجواهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد المجيد، ط 2،  
المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 1407هـ - 1987م.
45. المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي): التنبيه  
و الإشراف، بإشراف لجنة تحقيق التراث، دار مكتبة الهلال، بيروت  
1993م.
46. مسكويه أحمد بن محمد: تجارب الأمم، عني بنسخه و تصحيحه:  
هـ.ف. أمدروز بمطبعته بشركة التمدن الصناعية بمصر المحمية سنة  
1332هـ - 1914م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
47. مسلم (أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري):  
صحيح مسلم، بشرح النووي محيي بن زكريا، دار المنار  
للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة 1423هـ - 2003م.
48. ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ط 2، ديوان المطبوعات  
الجامعية، الجزائر، 1982م.

49. النسائي (أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن علي بن بحر):  
سنن النسائي، شرح السيوطي، حاشية السندي، دار الكتاب العربي،  
بيروت، (بدون تاريخ).

50. النووي (محيي الدين بن شرف): المجموع شرح المذهب،  
تحقيق الدكتور مطرحي دار الفكر للطباعة و النشر 1421هـ-  
2000م، بيروت.

51. الهمذاني (أبو بكر أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الفقيه)،  
مختصر كتاب البلدان، مطبع بريل، طبع بمدينة ليدن  
المحروسة 1302هـ\_1885م، نشر دار الكتاب اللبناني.

52. بن الوردي (سراج الدين أبي حفص عمر): خريدة العجائب  
و فريدة الغرائب، ط3، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان 1991م.

53. اليعقوبي (أحمد بن يعقوب بن واضح): كتاب البلدان، مطبع بريل  
مدينة ليدن المحروسة 1891م.

## ثانيًا: المراجع

1. آرنولد توماس: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، عبد الحميد عابدين، و إسماعيل الخراوي، ط 4، مكتبة النهضة، القاهرة 1971م.
2. الأفغاني سعيد: أسواق العرب، ط2، دار الفكر، دمشق، 1379 هجرية - 1960 ميلادية.
3. بروي إدوارد: تاريخ الحضارات العام (القرون الوسطى)، ط3، منشورات عويدات، بيروت 1994
4. تشين بينغ: جغرافية الصين، ترجمة فريدة وانغ فو، دار النشر الصينية عبر القارات أكتوبر 1999م.
5. تشين شي: الصين، ط1، دار النجم الجديد، بكين 1993.
6. الجزيري عبد الرحمان: كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، تحقيق أحمد فريد المزيدي و محمد فؤاد رشاد، المكتبة التوفيقية، القاهرة (بدون تاريخ).
7. جودة حسنين جودة: جغرافية العالم القديم الإقليمية، ط1، منشأة المعارف بالإسكندرية 1998م.
8. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ط7، دار الأندلس، بيروت 1964م.

9. حلاق حسن: ملامح تاريخ الحضارات، الدار الجامعية، بيروت 1411هـ - 1991م.
10. حوراني جورج فوضلو : العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مطابع الكتاب العربي القاهرة، بدون تاريخ.
11. الخازن وليام: الحضارة العباسية، ط2، دار المشرق ش م م، بيروت 1992م.
12. أبو خليل لشوقي: أطلس دول العالم الإسلامي (جغرافي تاريخي اقتصادي)، ط1، دار الفكر المعاصر بيروت 1419هـ - 1999م.
13. دراسات ألمانية حول الشرق الأوسط، ط1، تحقيق أبو جين قيرت ، تحرير و ترجمة: فؤاد ابراهيم، محمد الحجيزي، جرونت روتر، مانفرد شنايدر، ط1 المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت، 1983م.
14. دتلف نلسن وأصحابه: التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين علي، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1958 م.
15. ديورنت ويل: قصة الحضارة، ترجمة أحمد بدران، ط 1 دار الجيل بيروت، 1992م.
16. رايلي كافين: الغرب و العالم(الحضارة من خلال موضوعات) ترجمة: عبد الوهاب محمد المسيري، هدى عبد الحميد حجازي، مراجعة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية

يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، رمضان  
1405هـ - يونيو 1985م.

17. رسلر جاك: الحضارة العربية، ترجمة الدكتور خليل، ط2،  
منشورات عويدات، بيروت (بدون تاريخ).

18. الرفاعي أنور: النظم الإسلامية ، دار الفكر المعاصر، بيروت  
1998م.

19. زكي نعيم: طرق التجارة الدولية، المكتبة العربية القاهرة 1393  
هـ- 1973م.

20. أبو سعيد: أحكام السفر وآدابه، دار الإمام مالك، 1415هـ -  
1995م، الجزائر.

21. سالم عبد العزيز: بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و  
الآثار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1411هـ-1991م.

22. سقرن تيم: رحلة السندباد، ترجمة سامي غريز، وزارة التراث  
القومي و الثقافة 1405هـ-1975م، سلطنة عمان.

23. سيف محمد: الحياة الاقتصادية في نجد والحجاز، ط 2، مؤسسة  
الرسالة، بيروت (بدون تاريخ).

24. فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية، الهيئة العلمية  
للتأليف و النشر، القاهرة 1970.

25. عادل أحمد: الطريق إلى المدائن، دار النفائس، ط3، بيروت،  
بدون تاريخ.



26. عاقل نبيه: تاريخ العرب القديم، المطبعة الجديدة، دمشق (1395 هـ – 1396 هـ) (1975 م – 1976 م).
27. عثمان عبد العزيز مع التقي محمد: جغرافية الوطن العربي، مكتبة الربيع، حلب، سوريا (بدون تاريخ).
28. الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: بلاد الهند في العصر الإسلامي، ط 2، دار الفكر العربي، القاهرة 1996 م.
29. فوري مبارك: العرب و الهند في عهد الرسالة، ترجمة إبراهيم عزّت عبد الجليل، الهيئة المصرية العامة، القاهرة 1973 م.
30. الكبيسي حمدان عبد المجيد: الحياة الاقتصادية و تطورها في المدن في عهد الازدهار الإسلامي، دار الحرية للطباعة، بغداد 1988 م.
31. لقبال موسى: الحسبة المذهبية، ط 1 (ش، و، ن، ت) الجزائر 1981 م.
32. لنتون رالف: شجرة الحضارة، تقديم محمد سويدي، "الأنيس" سلسلة العلوم الإنسانية تحت إشراف علي الكنز، موفم للنشر 1990، الجزائر.
33. لوبيز روبرت: ثورة العصور الوسطى التجارية 950-1350م، ترجمة: محمود أحمد أبو صورة، مراجعة صلاح الدين حسن السوري منشورات شركة ELGA، فاليتا- مالطا 1997 م.
34. متز آدم: الحضارة الإسلامية، في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة، الدار التونسية للنشر، تونس 1405 هـ \_ 1986 م.

35. المراغي أحمد، تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ).

36. مقبول السيد: العلاقات العربية الهندية، ترجمة نقولا زيادة، الدار المتحدة للطباعة والنشر، 1974م.

37. الملاح رجائي مع الملاح دوروثي: عبقرية الحضارة العربية منبع الحضارة الأوروبية، ترجمة: عبد الكريم محفوظ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1972م.

38. مؤنس حسين: أطلس تاريخ الإسلام، ط 1، الزهراء للإعلام العربي القاهرة 1307-1987م.

39. ميكيل أندري: الإسلام و حضارته، ترجمة زينب عبد العزيز، مراجعة كمال الدين الحناوي منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت.

40. الندوي محمد إسماعيل: تاريخ العلاقات بين الهند والبلاد العربية، ط 2 دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ.

41. هو ذانج: دراسة حول المعاملات بين الصين و العرب في العصر الوسيط، ندوة الدراسات العمانية "حصاد" ذو الحجة 1400هـ / نوفمبر 1980م، وزارة التراث القومي و الثقافة.

42. هول ريتشارد: إمبراطوريات الرياح الموسمية، ط1، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية، أبو ظبي 1999م.

43. هونكه زغريد: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، و كمال الدسوقي، مراجعة مارون عيسى الخوري، ط6، دار صابر بيروت 2000م.

44. هويدي فهمي: الإسلام في الصين، سلسلة عالم المعرفة الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب، الكويت 1401هـ- 1981م.

### المراجع الأجنبية

1. Aly Mazahéri : La Vie Quotidienne des Musulmans au Moyen Age X<sup>e</sup> au XIII<sup>e</sup> siècle, Librairie HCHETTE , Paris sans date, p 195 et 196.
2. Denys Lombar: La Chine imperiale, presse universitaire de France, Paris 1967.
3. Dominique Sourdél et Janine Sourdél :La civilisation de l'islam classique, collection des grandes civilisation, Arthaud, Paris 1968.
4. Vadime Ellisseff , Jean Nadou , Gaston Wiet et Philippe Wolff : Histoire de l'humanité (Moyen-age), UNESCO, Paris 1992, V3, P108).

### المعاجم والموسوعات

1. البستاني بطرس: محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 1993م.
2. جرجس جرجس: معجم المصطلحات الفقهية و القانونية، مراجعة القاضي أنطوان الناشف، ط 1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت 1996م.
3. الشامي يحيى: موسوعة المدن الإسلامية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت 1993م.

4. العفيفي عبد الحكيم: موسوعة ألف 1000 مدينة إسلامية، ط2، مكتبة الدار العربية للكتاب، مدينة نصر القاهرة 1421هـ - 2000م.

5. الكيلاني: موسوعة السياسة، ط2، المؤسسة العربية لدراسات النشر، بيروت 1993م.

6. المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، ط 2، دار المعارف، بيروت، بدون تاريخ.

7. بن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري): لسان العرب، ط2، دار صادر بيروت 2004م.

8. الموسوعة العربية العالمية: ترجمة بتصرف عن دائرة المعارف العالمية Woorld Book Encyclopedia، مدير الترجمة و التحرير صلاح الدين الزين الطيب، النسخة الدولية 1994، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع ، الرياض.

9. A-Kondo et Kondratiev : Nouveau Larousse Encyclopédie, Larousse, Paris Cedex 06 – 2003.

## الدوريات و المجلات:

1. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الرابع.

2. JOURNAL ASIATIQUE, AOUT SEPTEMBRE 1846

## الفهرس

## فهرس المواد:

1

### مقدمة

فصل أول: مدخل تمهيدي: التجارة في الإسلام بين الأثر الديني و البعد الجغرافي و خصائص القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد)

21

22

1. تعريف التجارة

23

2. مكانة التجارة في الإسلام و أهميتها عند العرب و المسلمين

33

3. أثر الإسلام في انتشار التجارة الإسلامية

36

4. البعد الجغرافي و التاريخي للعلاقات التجارية بين المسلمين و الهند و الصين

46

5. مستجدات القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)

55

### فصل الثاني: التجار والشركات التجارية

59

#### المبحث الأول: التجار

62

1- تصنيف التجار حسب أدوارهم

62

القسم الأول: الركـاض

63

القسم الثاني: الخزان

65

القسم الثالث: المجهز

65

2- تصنيف التجار حسب عرقياتهم وأديانهم

66

1- التجار اليهود

70

2- التجار النصارى

72

3- التجار المسلمون

76

4- التجار الهنود

67

5- التجار الصينيون

80

#### المبحث الثاني: تصنيف الشركات التجارية

80

1- تعريف الشركات التجارية

82

2- أصناف الشركات التجارية

82

(1) شركة الأبدان

84

(2) شركة العنان

84

(3) شركة المفاوضة

85

(4) شركة الوجوه

86

3 - حكمها

87

### فصل الثالث: تنظيم التجارة

<b>88</b>	<b>المبحث الأول: تنظيم المعاملات المالية بين التجار</b>
88	(1) العملة النقدية:
98	(2) الصكوك
99	(3) السفاتج
101	(4) دور الصرف
105	(5) الجهيذة
<b>108</b>	<b>المبحث الثاني: طرق وأساليب التعامل التجاري</b>
<b>109</b>	<b>المبحث الثالث: تنظيم الأسواق و المبادلات التجارية</b>
110	I) الأسواق
110	1- تنظيمها
116	2- مراقبتها
120	3- أشهر الأسواق
140	II) المبادلات التجارية
140	(1) الواردات
143	(2) الصادرات
<b>145</b>	<b>فصل رابع: النقل التجاري</b>
<b>146</b>	<b>المبحث الأول: النقل التجاري البحري</b>
151	1- المحطات التجارية البحرية
152	1- الأبلسة
156	2- سيراف
158	3- قيش (كيش)
159	4- عمان
165	5- عدن
166	6- الديبل
169	7- المنصورة
173	8- المولتان (المنتان)
176	9- الملابار
181	10- سرنديب ( سيلان )
183	11- خانقو(كانتون)
186	12- خمدان
187	13- كوانشو (زيتون)

188	14- لوقين
188	11-خانجو (هانجشو)
190	16- كله بار
192	2 - المسالك و الطرق البحرية
196	— مصاعب الطرق البحرية
<b>198</b>	<b>المبحث الثاني: النقل البري</b>
198	أولا : المحطات البرية:
198	1- محطة الري
199	2- خراسان
201	3- سجستان
202	4- مكران
203	5- كرمـان
204	6- فارس
205	ثانيا : المسالك والطرق التجارية البرية
210	— مصاعب الطرق البرية
<b>212</b>	<b>خاتمة</b>
217	ملاحق
229	بيبلوغرافيا
245	الفهارس



## فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحة	الأعلام	الصفحة
<b>ألف (أ)</b>		- البرمكي	53
- آدم (عليه		- بلهرا	177
السلام)		- بن مسعود	
- آرمن	181	الأزدي	162
- أكاديين	71	- بوذا	209
- آل سامان	152	- البوهيون	49.47
- الأئمة الأربعة	57	- بن بويه	111.94.53
- إياضية	30	- البياسرة	44
- أبو بكر رضي	159		
الله عنه		<b>تاء (ت)</b>	
- أبو جعفر	33	- تانغ	208 .207 .42
المنصور		- تاوتسنغ	42
- الأحامرة	47 .92 .127 .129 .169	- تغزغز	205
- أحمد بن حنبل	44		
- الإخشيد	86	<b>جيم (ج)</b>	
- الأساورة	53	جبل الراهون	180
- أسامة بن لؤي	44	- لحظة الشاعر	53
- الاسكندنافيين	174	- إين الجصاص	61
- الأمويون	174	- جعفر	160
- إيوان	199	أبوجعفر المنصور	128 .129 .126 .62 .45
	209	- الجلندي	161
<b>باء (ب)</b>			
- بديع الزمان		<b>حاء (ح)</b>	
الهمذاني		حجاج بن يوسف	91
- البرامكة	53	- الحنفية	85
	129		

الأعلام	الصفحة	الأعلام	الصفحة
- أبو حنيفة	86	سين (س)	
- الحسين بن منصور		- سعد بن أبي وقاص	116
- الحلاج	53	- سعيد بن العاصي	137
	53	- السلاجقة	199
<b>خاء (خ)</b>		- سوماري	39
- الخاقاني	48	- سونغ	186 .148 .147 .77 .42
- خمرأويه	60		
- الخلافة الأموية	91 .56	شين (ش)	
- الخلافة العباسية	66 .47 .46	- شافعية	86 .85 .83 .52
<b>دال (د)</b>		صاد (ص)	
- دا-شي	42	- الصقالبة	
- دلتا	177 .152	- الصنبوري	205 .198
- الدولة الساسانية	40	- الصينيون	53
			212 .193 .78 .77 .42 .28
<b>راء (ر)</b>		طاء (ط)	
- الراضي	61	- الطائفة العلوية	95 .43
- ركن الدولة	94	- الطولونيون	47
- روس	204 .198		
- روم	112 .46 .29	عين (ع)	
		- عباد	160
<b>زاي (ز)</b>		- العباسيون	125
- الزط	44	- عبد الله بن الزبير	91
- أبو زيد			
- الأنصاري	160		

الأعلام	الصفحة	الأعلام	الصفحة
---------	--------	---------	--------

	قاف (ق)	- عبد الملك بن مروان
	- قرامطة	91 .92 .93
48.47	- قريش	93
174.170.169.25.24	- القسري (خالد)	120.121
91	- عثمان (رض)	42
	- عراقيون	
	كاف (ك)	- عرب
	204 198 .192 .73 .29	
	- كسرى	.25.24.23
		.44.43.42.41.34.29.26
152.124		.125.121.119.99.90.45
	لام (ل)	.153.149.147.142.141
	- لاتيني	.175.174.172.168.167
		180.179.178.177.176
		.196.189.187.186.185
90	- اللخميون	- عضد الدولة بن بويه
40	- ليوكونج كسيلاو	
186		- علي بن عيسى
	ميم (م)	111 .53
	- المالكية	106 .48
85.83	- المأمون	159
92	- المتتبي	- عمان بن سنان
53	- المجوس	- عمر (رض)
183.180.102	- محمد بن سبكتكين	138.121.119.116.92.3
22	- محمد بن علي	- عمرو بن العاص السلمي
22	- محمد بن القاسم	
172.165	- المستكفي	53
	- مصعب بن الزبير	29.184
147	- المطيع بالله	47
92	- مسيحيون	230
47	- المعتضد	105.70.41.40.26
26		204.185.124
56		.
	فاء (ف)	- الفارابي
		- فارسيون
		- فاطميون
		- ابن الفرات
		- فرس

92	يـاء (ي)	48	المعز لدين الله
71	يزيد بن عبد الملك	84.47	الفاطمي
70.69.68.67.66.65.26	يعقوبيون	106.47	المقتدر
150.104.102.76.72.70	يهود	177	المكتفي
183.180		44	
137			منجروور
69		214.71	الميد
40.90			

92	أبو يوسف	92	نون (ن)
	يوسف بن فنجاس	69	نسطوريون
	يونانية	41.26	
		16	
		92	

92	هـاء (هـ)
76.75.65.44.40.35.29	هارون الرشيد
173.172.167.114.77	هارون بن
214.212.193.175.174	عمران
92	هان
23.172	هبار بن الأسود
	بن هبيرة (عمر)
	هشام بن عبد
	الملك
	هنود

	واو (و)
	الوائق
	الوليد بن عبد الملك

### فهرس الأماكن و البلدان

الأماكن	الصفحة	الأماكن	الصفحة
---------	--------	---------	--------

111	- البحر الأسود	ألف (أ)	
37	- البحر الأصفر	- آسيا	
37	- بحر بوهاي	183.120.71.70.68.41.39 208.207.206.205.200	
	- بحر الصين		- الأبله
182.162.147.37	- بحر العجم	151.150.129.125.123.83 192.164.154.153.152	
203.45.40	- بحر العرب	151	- أبولوجوس
130.45.40.36	- البحر المتوسط	151	- أبولوم
156.68.67.38	- بخارى	193	- أرموز
208.200.95	- براهما بترا	110.71	- أرمينيا
37	- بروفانس	90	- إسبانيا
67	- بصرة	215.104	- أصفهان
113.108.104.95.46.25 125.123.122.121.120.119 151.150.146.134.133.126 176.167.158.155.153.152 205.193.192.191.184.183	- البطائح	147.94.77.39.38.29 192.181.157.156 209.110.37	- أفريقيا
135.134	- بلاد الرافدين		- أفغانستان
150.40.39	- بلسورة	89	- الإمبراطورية البيزنطية
119	- بلقان	36	- أندمان
90	- بلين	29	- إندونيسيا
193.192	- بنجاب	205.106	- الأهواز
37	- البندقية	192	- أوتكين
156.135	- بنغال	179.108.68.39.38	- أوروبا
191.177	- بوتان	156.150.128.127.90 205.200.199.198 135	- إيران
37	- البورز		- إيطاليا
197.198			
	<b>تاء (ت)</b>	<b>باء (ب)</b>	
	- تايوان	127	- بابل
38	- تبت	172.137.36	- باكستان
212.208.135.36		183.147.145.77.70.67	- البحر الأحمر
	<b>الأماكن</b>	<b>الصفحة</b>	<b>الأماكن</b>
	<b>خاء (خ)</b>	110	- تركستان
	- خارك	199	- ترمذ

137	- خانقو	43	- تسيئون
185.184.163.182.43.42	- خرسان	43	(تشيوانتشو)
216.193.189.188.187.186	- خزر	206	- تشانغان
.203.201.200.199.175	- خليج البنغال	207.41	- تشانغ شيان
.213.209.204	- الخليج العربي	165	- تيته
206.136	- الخليج الفارسي	194.195	- تيومة
192.37.36			
206.203.158.128.77.46.77			
184.180.157.156.151.120			

## دال (د)

	- دون هوانغ
208	- ديار بكر
46	- ديبل
169.168.167.166.58	

## راء (ر)

	- راغا
198	- رافضة
169	- راهون
181	- الرقة
45	- رومية
206	- الري
199.198	

## زاي (ز)

	- الزابج
190.184.104	- زاغروس
205	- زيتون
186.148.43	

## ثاء (ث)

- ثارا

## جاء (ج)

192.37	- جاوة
212.194.177.38	- جبل ميجي
208	- جرجان
205.198	- جزائر الذهب
180	- جيحون
203	- جيوتشيوان
207	

## حاء (ح)

	- حباشة
161	- الحبشة
159.135	- حجاز
239.159.137.102.92.25.23	- حوض الهندوس
37	- حوض الغانج
37	- الحيرة
40.37.25	

## الأماكن - الصفحة

### صاد (ص)

	- صحار
.194.164.163.162	

## الأماكن - الصفحة

### سين (س)

	- سجستان
204.203.202.201	

161.160.58 196.195.193	- صندرفولات	128	- السراة
194.163	- صنعاء	195.194.190.184.181.180	- سرنديب
195.192.190.187.184	- صنف	197.196.194	- سقطرى
177	- صيمور	202.201.95	- سمرقند
35.34.33.30.29.28.27 42.41.40.39.38.37.36 65.58.51.49.46.44.43 96.79.78.74.73.69.67 115.114.113.108.107.97 147.145.143.142.136.120 157.152.151.150.149.148 168.165.164.163.160.159 184.183.182.181.178.174 190.189.188.187.186.185 196.195.194.193.192.191 211.210.209.208.207.206	- صين	175.174.173.169.168.167 204.203.194.193.191 209.206	- سند
		176.165	- سندايبور
		169.193	- سندان
		67	- سويس
	<b>طاء (ط)</b>	3	- سيحون
37	- طاجاكستان	156.155.151.147.142.58 185.184.168.160.157 205.216	- سيراف
210.209.208.207.200.39.26	- طريق الحرير	181.36	- سيريلانكا
169	- طوران	37	- سيكيم
		197.182.181.180.178	- سيلان
	<b>عين (ع)</b>		<b>شين (ش)</b>
154.123	- عبدان		- الشام
166.165.164.94.90.58	- عدن	244.213.206.169.160.157 142.134.128.120.119.110 92.71.66.48.45	
61.60.59.57.50.49.41 92.91.73.71.70.69.66 124.121.120.119.111 139.136.135.134.130 169.163.162.157.151 205.204.198.192.182 210.206	- عراق		- شبه الجزيرة العربية
	- عكاظ		
	- عمان	182.176.167.158.137 89.66	
	<b>غين (غ)</b>	38	- الشرق الأدنى
37	- غانج	210.205.192.175.159 150.142.130.45.36.34	- الشرق الأقصى
37	- غوافاري		
		52	- شيراز
		208	- شينجيانج
<b>الصفحة</b>	<b>الأماكن</b>	<b>الصفحة</b>	<b>الأماكن</b>
206.204.203.202.168	- كرمان		<b>فاء (ف)</b>
142.37	- كرومندل		- فارما
36	- كشمير	68.67	- فارس

165	كنايا -	93.90.69.66.42.41.27	
130.37.27	كوريا -	153.128.124.111.110.98	
		162.161.159.158.156.155	
191	كوالا لمبور -	193.189.180.178.175.172	
		206.205.204.203.199	
187.186	كوانشو -	209.206	فرغانة -
206	كوفة -	68.67	فرنجة -
195	كيلون -	68.67	فرنسا -
195.194.177.176.165	كولم (كولم) -	37	فيتنام -
205.158.157	ملي (ملي) -		
189	كيش -		
189	كينساي -	37	قازاقستان -
	كينيسيا -	48	القاهرة -
		209.208.207	قانسو -
166	لام (م) -	37	قرغيستان -
37	لاهوري بندر -	138.66	قدس -
36	لاوس -	204.38	قزوين -
188.187	لكاديف -	71	قسطنطينية -
153.152	لوقين -	67.58	قلزم -
	ليفربول -	209.201	قندهار -
		205.203.157	قيس -
110.70.66	ميم (م) -		
191.190	مابين النهرين -	182.171.78.43.42.28	كانتون -
153.152.120	ماليزيا -	193.187.183	كاوان -
195	مانشستر -	193	كتستيفون -
195	ماهيت -	40	كراتشي -
157.70.67.38	مايط -	166	كرخ -
		133.132.111.66	
الصفحة	الأماكن	الصفحة	الأماكن
37	ميانمار -	38	المحيط الأطلسي -
36	مينيكوي -	186.38	المحيط الهادي -
		107.77.70.40.38.36.27	المحيط الهندي -
119.23		124.40	المدائن -
		125	
		127.126	



37	نون (ن)	154.123	- المدينة
37		133.125.124.123	
37	- نجد	200	- مدينة السلام
185		195.194.192.160.157	
126.123.120.119.46.45	- نهر بالو	110.71.60.53.48.47.45	- المذار
132.131.130.129.128.127		180.169.142	
152.151.150.135.134.133	- نهر برهما بترا	46	- مربد
196.192.191.182.171.153		169	
177.37	- نهر بيلون	.190.126	- مرو
37		47	- مسقط
122.120.119.106.45.40	- نهر جن جبانج	203.202.157	
150.131.130.128	- نهر الدجلة	190	- مصر
37		190	- مصرات
37	- نهر الغانج	190	- المصبية
188		193	
	- نهر غوافاري	171.170.169.168.140.	- المغرب
208.199	- نهر الفرات	37	- المغرب
37.36		193.172.168.166	
	- نهر كستا	203	- الإسلامي
		148.134.128.46	
	- نهر الهندوس	172	- مكران
	- نهر اليانج سي		- ملاي
200.199			- ملاير
194	- نيسابور		- الملايو
205.202	- الننيال		- ملي
203.37			- منصوره
	هـاء (هـ)		- منغوليا
37.36.35.34.33.30.29.28.27	- هراة		- مهران
51.50.49.46.45.44.40.39.38	- هر كند		- موزستان
73.69.67.66.65.61.59.58.57	- هر ممز		- الموصل
	- الهمالايا		- مولتان
	- هند		

الصفحة	الأماكن
115.108.107.104.96.77.76	- هند
135.134.130.125.121.120	
146.145.141.140.139.136	
157.156.155.152.150.149	
171.167.166.165.163.159	
178.177.175.174.173.172	
191.190.189.183.181.180	
200.197.196.194.193.192	
.208.209	
	- هندكوش

200

## واو (و)

150.40  
135.134.129

– واد الرافدين

– واسط

27  
206

## ياء (ي)

156.152.142.138.95.94.62  
.177.163.162.159.157

– يابان

– يانغوان

– يمن